کتاب
منهاج العابدين
فى الموعظة و الأخلاق

و سلوك طريق الاخرة
للغزالي
صاحب الأحياء
عليه الرحمة





کتاب
منهاج العابدين
فى الموعظة و الأخلاق
و سلوك طريق الاخرة
للغزالي
صاحب الأحياء
عليه الرحمة
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
کتاب منهاج العابدين
مؤلف غزالى
شمارهٔ قفسه ١٥٩٢٠

كتاب منهاج العابدين
المنسوب الى الشيخ العارف الغزالي
الشهير وهو ابو حامد محمد بن محمد
مؤلف احياء العلوم
عليه ما يستحقه

منهاج العابدين للامام حجة الاسلام
ابي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ وهو من اخر تصانيفه
رتبه على سبع عقبات الاولى عقبة العلم الثانية التوبة الثالثة العوائق
الرابعة العوارض الخامسة البواعث السادسة القوادح السابعة الحمد والشكر
ا ه كشف الظنون

(تنبيه)
منهاج العابدين ليس للغزالي
انما هو للشيخ الحكيم الغزنوي
صاحب القدر الكبير
على ما نص على ذلك
الشيخ محيي الدين ابن العربي
في محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك الحكيم الجواد الكريم العزيز الرحيم الذي خلق الانسان في احسن تقويم

ولكن لا بد للعبد من العبادة مع العلم والا كان عمله هباء منثورا فان العلم بمنزلة
الشجرة والعبادة بمنزلة الثمرة من ثمراتها فالشرف للشجرة المثمرة اذ هي الاصل لكن
الانتفاع انما يحصل بثمرتها فاذا لا بد من العبادة ليحصل شرف العلم ولا بد للعبد ان
يكون له من كلا الامرين حظ ونصيب لهذا قال الحسن البصري اطلبوا هذا العلم طلبا
لا تضر طلب العلم ولما استقر انه لا بد للعبد منهما جميعا فالعلم اولى بالتقديم لا محالة
فانه الاصل والدليل لذلك قال صلى الله عليه وآله العلم امام العمل والعمل تابعه وانما صار
العلم اصلا مطبوعا يلزمك تقديمه على العبادة لامرين احدهما لتسلم لك العبادة
ولتحصل فانك اولا يجب ان تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه باسمائه
وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل في نعته فربما تعتقد في صفاته شيئا والعياذ
بالله مما يخالف الحق فتكون عبادتك هباء منثورا وقد شرحنا في ذلك من
الخطر العظيم في بيان معنى سوء الخاتمة من كتاب الخوف من كتب احياء علوم الدين
ثم يجب ان تعلم ما يلزمك فعله من الواجبات الشرعية على ما امرت به لتفعل
ذلك وما يلزمك تركه من المناهي لتترك ذلك فكيف تقوم بطاعات لا تعرف
ما هي وكيف هي وكيف يجب ان تفعل ام كيف تجتنب معاصي لا تعرف انها معاصي لكيلا
توقع نفسك فيها فالعبادات الشرعية كالطهارة والصلوة والصوم ونحوها يجب
ان تعلم احكامها وشرائطها حتى تقيمها فربما انت مقيم على شيء سنين وازمانا
مما يفسد عليك طهارتك وصلوتك او يخرجهما عن كونهما واقعتين على وفاق السنة
وانت لا تشعر بذلك وربما يعرض لك مشكل ولا تجد من تسأل عن ذلك وان تعلمته
ثم مدار هذا الشأن ايضا على العبادات الباطنة التي هي مساعي القلب يجب ان تعلمها

من التوكل

من التوكل والتفويض والرضا والصبر والتوبة والاخلاص وغير ذلك مما سنذكره
ان شاء الله ويجب ان تعلم مناهيها التي هي اضداد هذه الامور كالسخط والامل
والرياء والكبر لتجتنب ذلك فان هذه فرائض فرضها الله على الامر بها والنهي عن اضدادها
في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه صلعم كما قال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون واصبروا ان الله مع الصابرين
واصبر وما صبرك الا بالله وقوله وتبتل اليه تبتيلا اي اخلص اليه اخلاصا ونحوها
من الآيات كما نص عليه الامر بالصلوة والصوم فما لك اقبلت على الصوم و
الصلوة وتركت هذه الفرائض والامر بهما من رب واحد في كتاب واحد بل
غفلت عنها فلا تعرف شيئا منها اتبعت من اصبح يعاجل حظه مشغوفا
حتى صار المنكر معروفا والمعروف منكرا ومن اهل العلوم التي سماها الله تعالى
في كتابه نورا وحكمة وهدى ثم اقبل على ما به يكتسب الحرام ويكون مفسدة للحلال
واما تخاف ايها المسترسل ان تكون مضيعا شيئا من هذه الواجبات بل اكثرها
وتشتغل بصلوة التطوع وصوم النفل فتكون في لا شيء وربما انت مصر على
معصية من المعاصي التي تستوجب بها النار وترك مباحا من طعام وشراب
او نوم تبتغي فيه قربة الى الله عز وجل فتكون في لا شيء واشد من ذلك كله انك
تكون في الامر الاول والاصل معصية محضة فتظنه سنة حسن لجهلك بالفرق
بينهما او تفادتهما في بعض الوجوه وكذلك تكون في خضوع وسخط فتظنه تضرعا
وابتهالا الى الله عز وجل او تكون في رياء وغش وتحسبه حمدا لله تعالى او دعوة
للناس الى الخير فتأخذ تعد على الله المعاصي بالطاعات وتحسب الثواب العظيم في

موضع العقوبات فتكون في غرور عظيم وغفلة قبيحة فهذه والله مصيبة قطعية
للعاملين من غير علم ثم مع ذلك ان للاعمال الظاهرة علائق على المساعي الباطنة
يصلحها او يفسدها كالاخلاص والرياء والعجب وذكر المنة وغير ذلك فمن لم يعلم هذه
المساعي الباطنة وحدها واثرها في العبادات الظاهرة وكيف الاحتراز منها وحفظ
العمل منها فقل ما يسلم له العمل الظاهر ايضا فيفوته الطاعات الظاهرة والباطنة
فلا يبقى في يده الا الشقاء والكد وهذا هو الخسران المبين ولهذا قال رسول الله
صلى الله عليه وآله ان نوما على علم خير من صلوة على جهل فان العابد من غير علم
يفسد اكثر مما يصلح قال رسول الله صلى الله عليه وآله في صفة العلم من كلامه
يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء والمعنى بهذه والله اعلم ان اهل الشقاوة
ان لا يتعلم العلم ثم يشتغل ويتعب في العبادة على جهل فما يكون له من ذلك الا
التعنا نعوذ بالله من علم وعمل لا ينفع ولهذا عظمت عناية العلماء الزهاد
العاملين بالعلم رضي الله عنهم خاصة من بين ابناء الناس فانهم صدور الحياة
وملاك العبودية والخدمة لله رب العالمين على العلم وهكذا يكون نظر اولي
الابصار واهل التوفيق والتأييد فاذا تبين لك بهذه الجملة ان الطاعة لا تحصل
للعبد ولا تسلم له الا بالعلم فلزم اذا تقديمه في شأن العبادة واما الخصلة
الثانية التي توجب تقديم العلم ان العلم النافع يثمر خشية الله تعالى ومهابته
قال الله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وذلك ان من لم يعرفه
حق معرفته لم يهبه حق هيبته ولم يعظمه حق تعظيمه وحرمته فصار العلم يثمر
الطاعة كلها ويحجز عن المعصية كلها بتوفيق الله وليس وراء هذين مقصد

للعبد

والعلم

للعبد في عبادة الله فعليك بالعلم ارشدك الله يا سالك طريق الآخرة
اول كل شيء والله ولي التوفيق بفضله ولعلك تقول فقد ورد الخبر عن صاحب
الشرع صلعم انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فما العلم الذي طلبه فريضة
على كل مسلم فما العلم الذي هو فريضة على كل مسلم في العلم الذي طلبه فرض لازم
وما الحد الذي لا بد للعبد من تحصيله في امر العبادة فاعلم ان العلوم التي طلبها
فرض في الجملة ثلثة علم التوحيد وعلم السر اعني ما يتعلق بالقلب ومساعيه
علم الشريعة واما حد ما يجب من كل واحد منها فالذي يتعين فرضه من
علم التوحيد مقدار ما تعرف به اصول الدين وهو ان لك الها عالما قادرا حيا
متكلما سميعا بصيرا واحدا لا شريك له متصفا بصفات الكمال منزها عن
دلالات الحدث منفردا بالقدم عن كل الحدث وان محمدا صلعم عبده ورسوله
الصادق فيما جاء به عن الله سبحانه وتعالى فيما ورد على لسانه صلى الله عليه وآله
وسلم من امور الآخرة ثم مسائل في شعار السنة يجب معرفتها دائما لئلا تبتدع
في دين الله ما لم يأت به كتاب ولا اثر فتكون مع الله تعالى على اعظم خطر وجميع
ادلة التوحيد موجود اصلها في كتاب الله تعالى وقد ذكر شيوخنا رحمهم الله في
كتبهم التي صنفوها في اصول الديانات وعلى الجملة كل ما انت تحتاج اليه الا
مع جهله فطلب علمه فرض لا يسوغ لك تركه فهذه هذه وبالله التوفيق
واما الذي يتعين فرضه من علم السر فمعرفة مواجبه ومناهيه حتى يحصل لك
تعظيم الله والسنة والاخلاص وسلامة العمل وعامة ذلك يأتي في اثناء
هذا الكتاب ان شاء الله عز وجل فاما فرض علم الشريعة فكل ما يتعين عليك

علم التوحيد
علم السر
علم الشرع

فرض فعله وجب عليك معرفته لتؤديه كالطهارة والصلوة والصيام والحج فاما الحج
الزكوة والجهاد ان تعين وجب عليك معرفته لتؤديها والا فلا فهذا حد
ما يلزم العبد تحصيله من العلم لا محالة وتعين فرضيته لا بد لك من ذلك
فان قلت هل يفترض علي من علم التوحيد ما انقض به جميع ملل الكفر والبدع حتى تجد
الاسلام والسنة فاعلم ان هذا فرض على الكفاية وانما يتعين عليك ما تصحح
به اعتقادك في اصول الدين لا غير وكذلك لا يتعين عليك معرفة فروع علم التوحيد
ودقايقه والاشكالات على حيرة من مسايله نعم ان وردت عليك شبهة في
اصول الدين تخاف ان تقدح في اعتقادك فيتعين عليك حل تلك الشبهة
بما امكن من الكلام المقنع والبيانات والمحاورات والمجادلة فانه داء محض لا دواء
له فاحذره جهدك فانه من ان دناه طلبه لم يفلح الا ان يتغمده الله برحمته ولطفه
ثم اعلم انه اذا كان في كل قطر داع من دعاة اهل السنة يحل الشبهة ويرد على اهل
البدعة ويشتغل بهذا العلم ويصفي قلوب اهل الحق عن وساوس المبتدعة فقد
سقط الفرض عنك وعن سواه وكذلك لا يلزمك معرفة دقايق علم السر وجميع
عجايب القلب الا ما يفسد عليك عبادتك فيجب معرفته لتجتنبه وما يلزمك فعله
كالاخلاص والحمد والشكر والتوكل ونحو ذلك فيلزمك معرفته لتؤديه واما
سواه فلا وكذلك لا يلزمك معرفة ساير ابواب الفقه من البيوع والاجارات
والنكاح والطلاق والجنايات وانما كل ذلك فرض على الكفاية فان قلت هل
العقد من علم التوحيد هل يحصل بنظر الانسان من غير معلم فاعلم ان الاستاد
فاتح ومسهل والتحصيل معه اسهل واروح والله تعالى يتفضل على من يشاء

من عباده

من عباده فيكون هو معلمهم ثم اعلم ان هذه العقبة التي هي عقبة العلم
عقبة كؤود ولكن بها تنال المقصود والمطلوب في قطعها اكثر وقطعها اشد بل
وخطرها اعظم كم من عدل عنها فضل وكم من سلكها فزل وكم من تايه فيها
متحير وكم من خاسر منقطع وكم من سالك قطعها في لحظة يسيرة واخر تردد فيها
سبعين سنة والامر كله بيد الله اما نفعه فعلى ما ذكرنا من شدة الحاجة للعبد
اليه وبناء الامر للعبادة عليه لا سيما علم التوحيد وعلم السر فلقد روي ان
الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام فقال يا داود تعلم العلم النافع فقال الهي وما العلم
النافع قال ان تعرف جلالي وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شيء فان هذا
الذي يقربك الي وعن علي رضي الله عنه انه قال ما يسرني لو مت طفلا وادخلت الجنة ولم اكبر فلم
اعرف ربي فان اعلم الناس بالله اشدهم خشية واكثرهم عبادة واحسنهم في الله
نصيحة واما شدته فانه لا بد لنفسك بالاخلاص في طلب العلم ولكن الطلب طلب رايج
لا طلب حاير واعلم ان الخطر عظيم في طلب العلم لتصرف به وجوه الناس اليه
الامراء ويباهي به النظراء ويتصيد به الحطام فتجارته باير وصفقته خاسر
قال ابو يزيد البسطامي رحمه الله عملت في المجاهدة ثلثين سنة فما وجدت شيئا اشد
من العلم وخطره واياك وان يزين لك الشيطان فيقول لك اذا كان قد ورد هذا
الخطر العظيم في العلم فتركه اولى فلا تظنن ذلك فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اطلعت ليلة المعراج على النار فرايت اكثر اهلها الفقراء فقالوا يا رسول
الله من المال قال لا من العلم فمن لم يتعلم العلم لا يتاتى له احكام العبادة والقيام
بحقوقها ولو ان رجلا عبد الله سبحانه وتعالى عبادة ملائكة السموات بغير علم كان

من الخاسرين فشمر في طلب العلم بالبحث والتلقين والتدريس واجتنب الكسل والملال
والا فانت في خطر الضلال والعياذ بالله ثم جملة الامر انك اذا نظرت في دلايل
صنع الله تعالى وما معنى النظر علمت ان لك ولنا الها قادرا عالما حيا مريدا سميعا
بصيرا متكلما منزها عن حدوث الكلام والارادة والعلم متقدسا عن كل نقص وافة
لا يوصف بصفات المخلوقين ولا يشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شيء ولا يتضمنه الاماكن
والجهات ولا تحله الحوادث والافات ونظرت في معجزات الرسول واعلام نبوته
فعلمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامينه على وحيه وما كان السلف يعتقدونه من ان الله تعالى
يرى في الاخرة لانه موجود وليس في جهة وهو غير محل وحقا ان القران كلام الله غير مخلوق
ليس بحروف مقطعة ولا اصوات مختلفة اذ لو كان كذلك لكان من جملة المخلوقات وانه
لا يكون في الملك والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضايه وقدره وارادته
ومشيته فمنه الخير والشر والنفع والضر والايمان والكفر وانه لا واجب على الله لاحد من
خلقه من اثابه فبفضله ومن عاقبه فبعدله وما ورد على لسان صاحب الشرع من امور
الاخرة كالحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والصراط والميزان
فهذه اصول درج السلف رضي الله عنهم على اعتقادها والتمسك بها ووقع عليها الاجماع
قبل ظهور البدع وظهور الاهواء نعوذ بالله من الابتداع في الدين واتباع الهوى
بغير دليل ثم نظرت في اعمال القلب والمواجب الباطنة والمناهي التي ياتي في هذا الكتاب
ليحصل لك علم ثم تعرف جملة ما تحتاج الى استعماله كالطهارة والصلوة والصوم
ونحوه فاذا فعلت هذا اديت فرض الله عليك الذي تشتغل به في باب العلم وتعد
من علماء الله المحدثين الراسخين في العلم ان عملت بعلمك واقبلت على عبادة

معاذ الله

معاذك كنت عبدا عالما عاملا لله تعالى على بصيرة غير جاهل ولا مقلد ولا غافل
ولك الشرف العظيم ولعلمك القيمة والثواب الجزيل وكنت قد قطعت هذه العقبة
وخلفتها وراءك وقضيت حقها باذن الله تعالى والله سبحانه المسؤول ان يعيننا
واياكم بحسن توفيقه وتيسيره انه ارحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب الثاني

في العقبة الثانية وهي عقبة التوبة ثم عليك يا طالب العبادة وفقك
الله بالتوبة وذلك لامرين احدهما ليحصل لك توفيق الطاعة فان شوم الذنوب
يورث الحرمان ويعقب الخذلان وان قيد الذنوب يمنع من المشي الى طاعة الله
والمسارعة الى خدمته وان ثقل الذنوب يمنع من الخفة في الخيرات والنشاط في
الطاعات فان الاصرار على الذنوب يسود القلوب فتجدها في ظلمة وقساوة
لا خلوص ولا صفاء ولا لذة ولا حلاوة وان لم يرحم الله يجر صاحبها الى الكفر و
الشقاوة واعجبا كيف يوفق للطاعة من هو في شوم وقسوة وكيف يدعى الى
الخدمة من هو مصر على المعصية والجفوة وكيف يقرب للمناجات من هو متلطخ
بالاقذار والنجاسات ففي الخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كذب العبد
تنحى الملكان من نتن ما يخرج من فيه فكيف يصلح هذا اللسان لذكر الله فلا جرم
لا يكاد يجد المصر على العصيان توفيقا ولا يخف اركانه لعبادة وان اتفق فكد
لا حلاوة معه ولا صفوة فكل ذلك بشوم الذنوب وترك التوبة ولقد صدق
من قال اذا لم تقو على قيام الليل وصيام النهار فاعلم بانك مكبول وقد
كبلتك خطيتك فهذه هذه والثاني من الامرين انما يلزمك التوبة ليقبل
منك عبادتك فان رب الدين لا يقبل الهدية وذلك ان التوبة عن المعاصي و

وارضاء الخصوم فرض لازم وعامة العبادات التي تقصدها نفل فكيف يقبل منك
تبرعك والدين عليك حال لم تقضه ام كيف تترك لاجله المباح والحلال وانت
مصر على فعل المحظور والحرام وكيف تناجيه وتدعوه وتثني عليه وهو والعياذ
بالله عليك غضبان فهذا ظاهر حال العصاة المصرين على المعصية والله المستعان
فان قلت فما معنى التوبة النصوح وحدها وما ينبغي للعبد ان يفعل حتى يخرج
من الذنوب كلها فاقول اما التوبة فانها فعل من مساعي القلب وهو عند التحصيل في قول
العلماء تنزيه القلب عن الذنب قال شيخنا في حد التوبة انه ترك اختيار ذنب سبق
منه مثله عنه منزلة لا صورة تعظيما لله تعالى وحذرا من سخطه فلها اذا اربع شرائط
١ احدها ترك اختيار الذنب وهو ان يوطن قلبه ويجرد عزمه على انه لا يعود الى الذنب
البتة فاما ان ترك الذنب وفي نفسه انه ربما يعود اليه او لا يعزم على الذنب بل يتردد
٢ فانه ربما يقع له العود فانه ممتنع عن الذنب غير تائب عنه والثاني ان يتوب
من ذنب قد سبق عنه مثله اذ لم يسبق عنه مثله كان متقيا غير تائب الا
يصح القول بان النبي صلعم كان متقيا عن الكفر ولا يصح انه كان تائبا عن الكفر
٣ اذ لم يسبق عنه كفر بحال وان عمر كان تائبا عن الكفر لما سبق عنه ذلك والثالث
ان الذي سبق يكون مثل ما يترك اختياره في المنزلة والدرجة لا في الصورة
الا ترى ان الشيخ الهرم الفاني الذي سبق منه الزنى وقطع الطريق اذا اراد
ان يتوب عن ذلك يمكنه التوبة لا محالة اذ لم يغلق عنه بابها ولا يمكنه ترك
اختيار الزنى وقطع الطريق اذ هو لا يقدر الان على فعل ذلك فلا يقدر على
ترك اختياره فلا يصح وصفه بانه تارك له ممتنع عنه وهو عاجز عنه غير متمكن لكنه

يقدر

يقدر على ما هو مثل الزنى وقطع الطريق في المنزلة والدرجة كالكذب والقذف و
الغيبة والنميمة اذ جميع ذلك معاص وان كان يتفاوت الاثم في حق الادمي في
حق كل واحدة بقدرها لكن جميع هذه المعاصي الواحدة الفرعية كلها في منزلة واحدة
وهي دون البدعة ومنزلة البدعة دون منزلة الكفر فلذلك يصح منه التوبة عن
الزنى وقطع الطريق وسائر ما مضى من الذنوب التي هو عاجز عن امثاله اليوم
٤ في الصورة والرابعة ان يكون اختياره لذلك تعظيما لله وحذرا من سخطه واليم عقابه
مجردا لا لرغبة دنياوية او رهبة من الناس او طلب ثناء او صيت او ضعف في النفس
او فقر او غير ذلك فهذه شرائط التوبة واركانها فاذا حصلت واستكملت فهي توبة
حقيقة صادقة واما مقدمات التوبة فثلث احدها ذكر غاية قبح الذنوب والثانية
شدة عقوبة الله تعالى واليم سخطه وغضبه الذي لا طاقة لك به والثالث ذكر
ضعفك وقلة حيلتك في ذلك فان من لا يحتمل حر شمس ولطمة شرطي وقرص نملة
كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية ولسع حيات كاعناق البخت وعقارب
كالبغال خلقت من النار في دار الغضب والبوار نعوذ بالله من سخط الله وعذابه
فاذا واظبت على هذه الاذكار وعاودتها الليل والنهار فانها ستحملك على التوبة النصوح
من الذنوب والله الموفق بفضله فان قيل الحسن قال النبي صلعم الندم توبة ولم يذكر
شيئا مما ذكرتم من شرائطها وشددتم يقال له اعلم ان الندم غير مقدور للعبد
الا ترى انه تقع الندامة عن امور في قلبه وهو يريد ان لا يكون ذلك والتوبة
مقدورة للعبد مامور بها ثم قد علمنا انه لو ندم على الذنوب لما ذهب به جاه بين
الناس او ما له في النفقة فيها فان ذلك لا يكون توبة بلا ريب فعلمت بذلك ان في

الخبر معنى لم يعلم من ظاهره وهو ان الندم لتعظيم الله وخوف عقابه مما يبعث على
التوبة النصوح فان ذلك من صفات التائبين وحالهم فانه اذا تذكر الاذكار التي ذكرنا
من مقدمات التوبة ندم ثم حملته الندامة على ترك اختيار الذنب وبقي تلك الندامة في قلبه
في المستقبل تحمله على الابتهال والتضرع فلما كان من اسباب التوبة وصفات التائبين
سماه باسم التوبة فافهم ذلك موفقا ان شاء الله تعالى فان قلت كيف يمكن للانسان
ان يصير بحيث لا يقع منه ذنب البتة من صغير او كبير كيف وانبياء الله صلوات الله
عليهم الذين هم اشرف خلق الله عز وجل قد اختلف اهل العلم هل نالوا هذه الدرجة
ام لا فاعلم ان هذا امر ممكن غير مستحيل ثم هو هين والله يختص برحمته من يشاء ثم
من شرط التوبة ان لا يتعمد ذنبا فاما ان يقع منه سهوا وخطأ فهو معفو عنه بفضل الله
وهذا هين على من وفقه الله تعالى فان قلت انما يمنعني عن التوبة اني اعلم من نفسي
اني اعود الى الذنب ولا اثبت على التوبة فلا فائدة في ذلك فاعلم ان هذا من
غرور الشيطان ومن اين لك هذا العلم فعسى ان تموت تائبا قبل ان تعود الى الذنب
واما الخوف من العود فعليك العزم والصدق في ذلك فعليك التمام فان اتم
فذاك وان لم يتم فقد غفرت ذنوبك السالفة كلها وتخلصت منها ولم يكن
لحق عليك الا هذا الحدث الذي حدثته الان وهذا هو الربح العظيم والفائدة الكبيرة
فلا يمنعك خوف العود عن التوبة فانك من التوبة ابدا بين احدى الحسنيين
والله ولي الموفقين وبالهداية وهذه هذه واما الخروج من الذنوب والتخلص منها
فاعلم ان الذنوب في الجملة ثلاثة اقسام احدها ترك واجبات لله تعالى عليك
من صوم او صلوة او كفارة او غيرها فتقضي ما امكن منها والثاني ذنوب بينك

وبين الله

وبين الله تعالى كشرب الخمر وضرب المزامير واكل الربوا ونحو ذلك فتندم على ذلك
وتوطن قلبك على ترك العود الى مثلها ابدا والثالث ذنوب بينك وبين العباد
وهذا اشكل واصعب وهي اقسام قد يكون في المال او في النفس او في العرض او
في الحرمة او في الدين فما كان في المال فيجب ان ترده عليه ان امكنك فان عجزت
عن ذلك لغيبة الرجل او موته وامكن التصدق عنه فافعل فان لم يمكن فعليك
بتكثير حسناتك والرجوع الى الله بالتضرع والابتهال اليه ان يرضيه عنك
يوم القيمة واما ما كان في النفس فتمكنه من القصاص او اوليائه حتى يقتص منك او
يجعلك في حل وان عجزت فالرجوع الى الله والابتهال اليه ان يرضيه عنك يوم
القيمة واما العرض فان اغتبته او بهته او شتمته فحقك ان تكذب نفسك بين
يدي من فعلت ذلك عنده وان تستحل من صاحبه ان امكنك هذا اذا لم تخش زيادة
غيظ وهيج فتنة في اظهار ذلك وتجديده فان خشيت فالرجوع الى الله
ليرضيه عنك ويجعل له خيرا كثيرا في مقابلته والاستغفار الكثير لصاحبه واما الحرمة
بان خنته في اهله وولده او نحوه فلا وجه للاستحلال والاظهار لانه يولد فتنة
وغيظا بل تتضرع الى الله ليرضيه عنك ويجعل له خيرا كثيرا في مقابلته فان امنت
الفتنة والهياج وهو نادر فتستحل منه واما في الدين بان كفرته او بدعته
او ضللته فهو اصعب الامر فتحتاج الى تكذيب نفسك عند من قلت ذلك عنده
وقلت ذلك له وان تستحل من صاحبك ان امكنك والا فالابتهال الى الله سبحانه كلما
جدا والتندم على ذلك ليرضيه عنك وجملة الامر كما امكنك من ارضاء الخصوم عملت
وما لم يمكنك فراجعة الله بالتضرع والابتهال والصدقة ليرضيه عنك فيكون ذلك

في خشية الله تعالى يوم القيمة والرجاء منه بفضله العظيم واحسانه القديم انه اذا علم الصدق
في قلب العبد فانه يرضى خصماه من خزانة فضله وكرمه فاعلم هذا كله واسأل فهذه جملة
فاذا انت عملت بها وصفاه وبرأت القلب عن اختيار مثلها في مستقبل فقد خرجت من
الذنوب كلها فان تحصلت بعض هذه القلب لم يحصل قضاء الفوائت وارضاء الخصوم
والتبعات لان مدوي ابر الذنوب مغفورة ولهذا الباب شرح يطول فلذا اجملت هذا
المختصر فانظر في كتاب التوبة من كتاب احياء علوم الدين اولا وكتاب القربة الى الله ثانيا
وكتاب عجائب القلوب فانك تجد فوائد كثيرة وشرحا شافيا والذي ذكرناه ههنا هو الاصل
الذي لا بد منه وبالله التوفيق **فصل** ثم اعلم يقينا ان هذه العقبة عقبة صعبة فصل
امرها مهم وخطرها عظيم فلقد بلغنا عن الاستاذ ابي اسحق الاسفرايني انه قال دعوت
الله سبحانه ثلثين سنة ان يرزقني توبة نصوحا ثم تعجبت في نفسي فقلت سبحان الله
حاجة دعوت الله فيها ثلثين سنة فما قضيت الى الان فرايت فيما يرى النائم
كان قائلا يقول لي اتتعجب من ذلك اتدري ماذا تسأل انما تسأل ان يحبك اما سمعت الله يقول
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين اهذه حاجة هينة فانظروا الى هؤلاء الائمة
واهتمامهم وسوالهم على صلاح قلوبهم والتزود للمعاد واما القرب والخوف فان
اول الذنب قسوة وآخره والعياذ بالله شوم وقسوة وشقوة واما الائم تنسى
امر ابليس وبلعم بن باعورا كان مبدأ امرهما ذنبا وآخرهما الكفر فهلكا مع الهالكين
ابد الابدين فعليك رحمك الله تعالى بالتيقظ والجهد عسى ان تقلع عن قلبك عرق
هذا الاصرار وتخلص رقبتك من هذه الاوزار ولا تأمن خسارة القلب من الذنوب
وعلامة سواد القلب ان لا تجد من الذنوب مفزعا ولا للطاعة موقعا ولا للموعظة

منجعا



منجعا ولا تستكثر من الذنوب شيئا فتحسب نفسك تائبا وانت مصر على الكبائر ولقد بلغنا
عن احمد بن الحسن انه قال اذنبت ذنبا وانا ابكي عليه اربعين سنة قيل ما هو يا
ابا عبد الله قال زارني اخ لي فاشتريت له سمكا فاكل ثم قمت الى حائط جاري فاخذت
منه قطعة طين فغسل يديه بها فناقش نفسك وحاسبها وسارع الى التوبة
وبادر فان الاجل مكتوم والدنيا غرور وتضرع الى الله وابتهل واذكر حال
ابينا آدم عم الذي خلقه الله تعالى بيده وحمله الجنة على اعناق الملائكة بذنب
لا ذنبا واحدا فنزل به ما نزل حتى روي ان الله تعالى قال له يا آدم اي جار كنت لك
قال نعم الجار يا رب قال يا آدم اخرج من جواري وضع عن راسك تاج كرامتي فانه
لا يجاورني من عصاني حتى انه روي بكى على ذنبه مائتي سنة حتى قبل توبته وغفر ذنبه
الواحد هذا حال الصفي نبيه وصفيه في ذنب واحد فكيف حال الغير في ذنوب لا تحصى
وهذا التضرع التائب حابيها له فكيف بالمصر المنهمك ولقد احسن من قال شعرا على
تفنده من يتوب فكيف نجا حال من لا يتوب فان تبت ثم نقضت وعدت الى الذنب
تائبا فعد الى التوبة مبادرا وقل لنفسك لعلي اموت قبل ان اعود الى الذنب
هذه المرة وكذلك ثالثا ورابعا كما احدثت الذنب فعد بالتوبة ثم فاتخذها
التوبة والعود اليها حرفة فلا تكن في التوبة اعجز منك في الذنب ولا يأسك
ولا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب ذلك فانه دلالة الحزم اما تسمع قوله صلى الله
عليه وسلم خياركم كل مفتن تواب اي كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه والرجوع
الى الله بالندامة والاستغفار وتذكر قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فهذه هذه وبالله التوفيق **فصل** وجملة

الامر وانك اذا ابتدأت فبرأت قلبك عن الذنوب كلها بان توطنه على ان لا تعود
الى الذنب ابدا البتة فليكن ما كان منك على حد علم الله صدق عزمك من قلبك حتى
ويرضى الخصم ما امكنك وتقضي الفوائت بقدر ما تقدر عليه وترجع في الباقي الى الله
سبحانه بالابتهال والتضرع ليكفيك ذلك ثم تذهب فتغتسل وتغسل ثيابك وتصلي
اربع ركعات كما يجب ثم تضع وجهك على الارض في مكان خال لا يراك الا الله سبحانه
وتعالى ثم تجعل التراب على راسك وتمرغ وجهك الذي هو اعز اعضائك في
التراب بدمع جار وقلب حزين وصوت عال وتذكر ذنوبك واحدا واحدا ما امكنك و
تلوم نفسك العاصية عليها وتوبخها وتقول اما تستحين يا نفس اما آن لك
ان تتوبي الست طاقة بعذاب الله الك حاجة بسخط الله سبحانه وتذكر من هذا
كثيرا وتبكي ثم ترفع يديك الى الرب الرحيم سبحانه وتعالى وتقول عبدك الآبق رجع
الى بابك عبدك العاصي رجع الى الصلح عبدك المذنب اتاك بالعذر فاعف
عني بجودك وتقبلني بفضلك وانظر الي برحمتك اللهم اغفر لي ما سلف
من الذنوب واعصمني فيما بقي من الاجل فان الخير كله بيدك وانت بنا رؤف
رحيم ثم تدعو دعاء الشدة وهو يا من يحل عظائم الامور يا منتهى همة المهمومين
يا من اذا اراد امرا ان يقول له كن فيكون احاطت بنا ذنوبنا وانت المذخور
لها يا مذخورا لكل شدة كنت ادخرتك لهذه الساعة فتب علي انك انت التواب
الرحيم ثم اكثر من الدعاء والتذلل وقل يا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا تغلطه
المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين اذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك انك
على كل شيء قدير ثم تصلي على النبي صلعم وتستغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين

في آداب التوبة

والمسلمات

والمسلمات وترجع الى طاعة الله جل جلاله فتكون قد تبت توبة نصوحا وقد
خرجت من الذنوب طاهرا كيوم ولدتك امك واحبك الله سبحانه ولك من
الامر والثواب عليه من البركة والرحمة ما لا يحيط به وصف واصف وحصل لك الامن
والخلاص من عقوبات المعاصي ومصايبها في الدنيا والآخرة وكنت قد قطعت هذه
العقبة باذن الله والله تعالى ولي الهداية بمنه وفضله **الباب الثالث**
في العقبة الثالثة وهي عقبة العوائق ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله
بدفع العوائق حتى تستقيم عبادتك وقد ذكرنا ان العوائق اربعة احدها الدنيا
ودفعها بالتجرد عنها والزهد فيها وانما لزمك التجرد عنها والزهد لامرين احدها
ليستقيم لك العبادة وتكثر فان الرغبة في الدنيا تشغلك اما ظاهرك بالطلب واما
باطنك بالارادة وحديث النفس وكلاهما يمنع من العبادة فان النفس والقلب
واحد فاذا اشتغل بشيء انقطع عن ضده وان مثل الدنيا والآخرة كمثل الضرتين
ان ارضيت احديهما اسخطت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب بقدر ما تميل الى
احدهما اعرضت عن الاخر اما شغلها بالظاهر فقد روينا عن ابي الدرداء انه
قال زاولت بين العبادة والتجارة فلم يجتمعا فاقبلت على العبادة وتركت التجارة
وعن عمر رضي انه قال لو كانتا تجتمعان لاحد غيري لاجتمعتا لي لما اعطاني الله من
القوة واللين فاذا كان الحديث كذلك فاخذ بالقاسية واما شغلها القلب
هو الباطن لمكان الارادة فما روي عن النبي صلعم انه قال من احب دنياه اضر بآخرته
ومن احب آخرته اضر بدنياه فانه واما يبقى على ما بقي فبان لك انه اذا اشتغل
ظاهرك بالدنيا وباطنك بالارادة فلا تتيسر لك العبادة حقها فاما اذا

منها فتفرغت بظاهرك وبالجملة فتيسر لك العبادة بل يعاونك اعظم العون عليها
ولهذا روى عن سيد البشر ... رسول صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا زهد فى الدنيا استنار
قلبه بالحكمة ... وبه فى العبادة فتجده هذه واكثانى من الامرين
بكثرة علمك وبعظم قدره وشرفه فلهذا قال صلى الله عليه وسلم ركعتان من رجل زاهد قلبه
خير واحب الى الله تعالى من عبادة المتعبدين الى اخر الدهر ابدا سرمدا فاذا كانت العبادة
شرفت وكثرت لذلك فحق لطالب العبادة ان يزهد فى الدنيا ويتجرد عنها فان
قلت فما معنى الزهد فى الدنيا وحقيقة ذلك فاعلم ان الزهد عند علمائنا
زهدان زهد مقدور للعبد وزهد غير مقدور فالزهد الذى هو مقدور
ثلثة اشيا ترك طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك اختيارها و
ارادتها واما الزهد الذى هو غير مقدور للعبد فهو برودة الشى على قلب
الزاهد ثم الزهد الذى هو مقدور للعبد مقدمة لهذا الزهد الذى هو غير
مقدور فاذا اتى العبد بهذه بان لا يطلب شيا عنده من الدنيا وان يفرق
ما عنده منها وترك الطلب واختيارها وارادتها لا فانها فانها اورثته
هذه برودة الدنيا على قلبه لاجل الله وعظم ثوابه وهذه عندى هو الزهد الحقيقى
ثم اعلم ان اصعب الامور الثلثة انما هو ترك الارادة بالقلب فكم تارك لها
بظاهره محب مريد بباطنه فهو فى مكابدة ومقاساة من نفسه شديدة
والشان كل فى هذه الم تسمع قوله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا الحكم منه بنفى الارادة دون الطلب والفعل
للمراد وهو قوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد

حرث الدنيا

الزهد

حرث الدنيا نؤته منها وقوله تعالى ومن اراد الاخرة وقوله تعالى من كان يريد العاجلة
اما ترى الاشارة كلها الى الارادة فامرها هو المهم اذا لكن العبد اذا وطن
واستقام على الاولين اعنى الترك والتفريق فما هو لكن فضل الله ان يوفقه للثالث
هذه الارادة والاختيار عن قلبه فانه المفضل الكريم عز وجل ثم الذى يبعث على
الترك والتفريق ويهون عليك خلك ذكر افات الدنيا وعيوبها وقد اكثر
الناس القول فى ذلك فمنه قول بعضهم تركنا الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها
وكثرة عنائها وخسة شركائها قال الشيخ الامام كان من هذا الجزء العبد فلهذا
لان من شكا فواق احبته احب صالدو ... ترك شيئا لمكان الشركاء وفيه الخلة
لو انعود ... القول البالغ فيه ما قال شيخنا ان الدنيا عدوة الله سبحانه وتعالى
وانت محبه ومن احب احدا يبغض عدوه قال فانها فى اصلها جيفة الا ترى
ان اخرها الى الفناء والفساد والتلاشى والاضمحلال لكنها جيفة ضمخت بطيب
وطليت بزينة فاغتر بظاهرها الغافلون وزهد فيها العاقلون فان قيل
فما حكم الزهد فى الدنيا اهو فرض ام نفل فاعلم ان الزهد عندنا يقع فى
الحلال والحرام وهو فى الحرام فرض وفى الحلال نفل ثم منزلة هذا الحرام فى
الطاعة منزلة الميتة المنتفخة لا يقدم عليها الا عند الضرورة واما الزهد
فى الحلال منزلة الميتة لا يتناولون منها الا القدر الذى لا بد منه والحرام عندهم بمنزلة
النار ولا يخطر ببالهم قصد تناولها وهذا معنى البرودة على القلب ان تنقطع
همته عنها وينفك بها ويبكى طاحيا فلا تبقى لها فى قلبه اختيار ولا ارادة
فان قلت كيف يمكن ان نصير الدنيا فى شهواتها ولذاتها الجيفة المطلوبة عند

اشان بمنزلة النار او بمنزلة الجيفة المنتفخة المضطربة والطبيعة تحن الى الطبع
طبعنا فاعلم انه يحق الترهيب الخاص وعلم افاتها وفسادها فى اصلها فيصير عنده
كذلك وانما يغتر بها الراغبون الجاهلون عن عيبها وافاتها المغترون
بظاهرها وزينتها وساضرب لك مثلا لذلك فاعلم ان هذا مثل بانسان
صنع خبيصا بزانه ما هو السكر او عسل ثم طرح فيه فطعة سم قاتل وابصر ذلك
رجل ولم يبصره اخوه ووضع الخبيص بين ايديهما امر بهما وفرح الرجل الذى يرى
جعل فيه من السم يكون زاهدا فى ذلك الخبيص لا يخطر بباله تناوله ويعد تناول
البتة ويكون ذلك عنده بمنزلة النار بل اصعب كان ربما يعلم من اقدم فلا يغتر
بظاهره المزخرف ومن حرص عليه وكم يصبر عنه والحذر يتعجب منه ومن صاحبه
... وعادى فيه فى ذلك فهذا مثل حرام الدنيا مع البصراء المتقين
وجهال الراغبين واما حلال الدنيا وان لم يطرح فيه السم لكن يروم ويخلط
فيه ثم نتنه وضجحه فالرجل الذى شاهده منه ذلك الفعل يكون مستقذرا
لذلك الخبيص نافرا عنه لا يكاد يقدم عليه الا عند الضرورة وشدة الحاجة
والذى لم يشاهد ذلك فجاهل بانه مغتر بظاهره حريص عليه مكب
متعجب فهذا مثل حلال الدنيا مع الزهد بين اهل البصيرة والاستقامة
واهل الرغبة والغفلة وانما اختلف حال الرجلين مع تساويهما بالطبع والبنية
لموضع النظر بصارة وعلم كان لاحدهما وجهل وغفلة كان للاخر فلو علم
الراغب ابصر علم الزاهد لكان زاهدا مثله ولو جهل الزاهد وعمى عن ذا
الذى عمى عنه الراغب كان راغبا مثله فعلمت بهذا ان التمييز لمكان البصائر

دون

دون الطبائع فهذا اصل حقيقى وكلام مبين سديد لا يعرفه الا من عقل وانصف
والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق والهداية بفضله فان قيل فلا بد من قدر من
الدنيا ليكون لنا قواما فكيف نزهد فيها فاعلم ان الزهد فى الفضول عما لا يحتاج
البدن فى قوام البنية فالمقصود القوام والقوة حتى نعبد الله تعالى لا الاكل والشرب
والتلذذ والله تعالى ان شاء اقامه بلا شى وان شاء فبشى حاصل عندك بلا طلب
وكسبك وان شاء بشى من غيبه لا من حيث لا تحتسب من غير طلب وكسب كما
قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا لا حاجة
لنا الى الطلب والارادة فان لم تقو على ذلك وطلبت واردت فانوبه لكان اعانة فى
على عبادة الله دون الشهوة واللذة فانك اذا نويت ذلك كان الطلب والارادة
منك خيرا وطلبا للاخرة بالحقيقة لا للدنيا فلا يقدح فى زهدك ان شا الله
فاعلم هذه الجملة راشدا وبالله التوفيق العائق الثانى الخلق ثم عليك رحمك الله
واياه لطاعته بالتفرد عن الخلق وذلك لامرين احدهما انهم يشغلونك عن
عبادة الله تعالى على ما حكى انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيد
منهم فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله اشهى الى فقلت انت وحدك فقال معى
ربى وملكاى فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت اين الطريق
فاشار بيده الى السماء وقام ومر وقال الخلق اذا يشغلونك عن العبادة بل يعوقونك
منها بل يوقعونك بالشر والهلاك على ما قال حاتم الاصم رحمه الله طلبت من هذا
الخلق خمسة اشياء فلم اجد طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت
اعينونى عليها ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت لا تمنعونى اذا ... فقلت

العائق الثانى

ندعو لنا الحاجة من اهل العلم فلا تزداد عليها ان لم انا ابكم فعلوا و
تركتم واشتغلتم ... نفسي ثم اعلم انه لا فرح في الدين ان النبي صلعم وصف
زمان العزلة وبين فيه واخبر اهله وامر بالعزلة وكان صلعم اعلم الناس بمصالح
هذا وانصح هذا الناس لانفسنا فان وجدت زمانك على ما وصف وبين فاعمل امره
واقبل نصيحته ولا شك في انه صلعم كان اعرف بما يصلح لك في زمانك والمتأمل
بالعلل الكامنة ولا تخادع نفسك والافات حالك ولا تعتذر لان والوصف
الذي ذكرناه في الخبر المشهور عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال بينا نحن
حول رسول الله صلعم اذ ذكر الفتنة فقال اذا رايتم الناس قد مرجت عهودهم و
خفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه فقلت ما اصنع عند
ذلك جعلني الله فداك فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ
ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة وذكر في
هذا الخبر قال ذلك ايام الهرج قيل وما ايام الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه
وذكر ابن مسعود في خبر اخر للحارث بن عميرة انه قال يوشك ان يأتي
عليك زمان كثير خطباؤه قليل علماؤه وكثير سؤاله قليل معطوه الهوى
فيه قائد العلم قال ومتى ذلك قال اذا اميتت الصلوة وقبلت الرشى وبيع
الدين بعرض يسير من الدنيا فالنجاء النجاء ثم النجا فلنصح ما ذكر في هذه
الاخبار شاهد بعينك في زمانك واهله فانظر لنفسك ثم ان السلف الصالح
رحمهم الله اجمعوا على الخوف من زمانهم واهله واثروا العزلة وامروا بها وتواصوا
به فلا شك انهم كانوا ابصر وانصح وان الزمان لم يصلح بعدهم حتى كان

النصح

بل

بل شرا منه وامر وهو ما ذكر عن يوسف بن اسباط انه قال سمعت الثوري
يقول والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة في هذا الزمان قلت انا
لئن حلت في زمانه ففي زماننا هذا وجبت ... وعن سفيان الثوري
ايضا رضي الله عنه انه كتب الى عباد الخواص بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فانك
في زمان كان اصحاب محمد صلعم يتعوذون بالله من ان يدركوه فيما بلغنا و
لهم من العلم ما ليس لنا فكيف بنا حين ادركناه على قلة العلم وقلة الصبر
وقلة الاعوان على الخير وكدر من الدنيا وفساد من الناس فان عمر بن الخطاب
قال في العزلة راحة من خلطاء السوء وفي مثل هذا قبل هذا الزمان الذي
كان الخوف فيه عن قول كعب وعن قول ابن مسعود ان دام ذا الامر لا يحزن على احد
فينا يموت ولم نفرح بمولود وقيل وحدثت عن سفيان بن عيينة انه قال للثوري
اوصني قال اقلل معرفة الناس قلت يرحمك الله اليس قد جاء في الخبر اكثروا
من معرفة المؤمنين فان لكل مؤمن شفاعة قال لا احسبك رايت قط ما
تكره الا ممن تعرف قلت اجل ثم مات فرايته بعد موته في المنام فقلت
اوصني فقال اقلل من معرفة الناس فان التخلص منهم شديد وقد قيل في معنى
هذا الخبر وما ذلك من لاح المشيب بعارضيه افتش من هذا الورى وأكشف
ان عرف الناس الا ذممتهم جزى الله خيرا كل من لست اعرف وقال الفضل هذا
زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع
ما تنكر وعن داود الطائي رحمه الله صم الدنيا واجعل فطرك الاخرة وفر من الناس
فرارك من الاسد وعن ابي عبد الله حارث المحاسبي انه قال ... احب

شعرا

شعرا

كتاب اخلاق الابرار للمؤلف

ان ... فاعانه الله على بالرواية والاخبار في هذا الباب اكثر من ان يحتمله هذا
الكتاب وقد صنفنا ... كتابا مفردا وسميناه كتاب اخلاق الابرار والنجاة من
الاشرار ... العاقل يكفيه اشارته والله ولي التوفيق
والهداية بفضله **الفصل الثاني** ... التفرد عن الناس في هذا الشأن اذا ان الناس
... عليك ما يحصل لك من العبادة ان لم يعصمك الله تعالى بسبب ما يعرض
لهم من داعي الرياء ... صدق يحيى بن معاذ رضه حيث قال رؤية
الناس بساط الرياء ... فخافوا على انفسهم من هذا المعنى حتى
تركوا الملاقات والتزاور ولقد ذكر ان هرم بن حيان قال لاويس القرني
يا اويس ... للقاء فقال اويس قد وصلتك بما هو انفع لك منهما
... الغيبة لان الزيارة واللقاء يعرض فيهما التزين والرياء و
قيل لسليمان الخواص قدم ابراهيم بن ادهم افلا تاتيه فقال لان القى شيطانا
ماردا احب الي من ان القاه فاستنكروا ذلك من قوله فقال اني اذا لقيته اخاف
ان اتزين له واذا لقيت شيطانا امتنع منه ولقد التقى الامام ... بعض العارفين
فتذاكرا مليا ثم دعوا ... فقال له العارف ما اظنني جلست مجلسا
انا ارجى من مجلسي هذا فقال له العارف ما اظنني جلست مجلسا انا اخوف من
مجلسي هذا ... الى احسن ما عندك ... فتحدثت بها ونظمتها بين يدي
وانا كذلك ... فبكى الامام مليا حتى غشي عليه وكان سبب ذلك ...
... الحاكم ...
الا ... فهذه حال اهل الزهد والرياضة في ... فكيف حال اهل الغفلة

احسن و

والبطالة

والبطالة بل حال اهل الشر والجهالة اعلم ان الزمان قد اجمع في فساد عظيم واصبح
الناس في ضر كثير فانهم يشغلونك عن عبادة الله حتى لا يكاد يحصل لك منها
شيء ثم يفسدون عليك ما حصل حتى لا يكاد يحصل لك منها شيء يسلم لك منها
شيء فلن تجد الا العزلة والتفرد عن الناس والاستعاذة بالله من شر هذا
الزمان واهله والله هو الحافظ بفضله ورحمته فان قيل فما حكم العزلة والتفرد
عن الناس فبين لنا حال طبقات الخلق فيها والحد الذي يجب منها فاعلم رحمك الله
فاتانا ان الناس في هذا الباب رجلان رجل لا حاجة للخلق اليه في علم
بيان حكم فاولى بهذا الرجل التفرد عن الناس فلا يخالطهم الا في جمعة او جماعة
او عيد او مجلس علم بالسنة او حاجة في معيشة لا بد له من ذلك بجوارحه
بشخصه ويلزم كثرة لا يعرف ولا يعرف فاما ان احب هذا الرجل ان ينقطع عن
الناس فلا يخالطهم في امر من الامور من دين ودنيا او جماعة وجمعة وغيرها
لما يرجو في ذلك من المصلحة والفراغة فانه لا يجد الا بامرين اما ان ينتقل
الى موضع لا يلزم فيه الاتيان بهذه الفروض كرؤوس الجبال وبطون الاودية ونحوها
ولعل هذا اصل الوجه الذي دعا العباد الى المواضع البعيدة عن الناس وله
ان يتيقن بالحقيقة ان الضرر الذي يلحقه في مخالطة الناس بسبب هذه الفروض
اعظم من تركها فحينئذ يكون له عذر في ذلك ولقد رايت انا بمكة حرسها الله بعض
المشايخ المتفردين من اهل العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام في الجماعات مع قربه
منه وسالته عن حاله ... في ذلك بما في حاله ... فذكر من عذره
ما اشرنا اليه وهو ان ما يجد من الثواب لا يفي بما يجده من الاثام والتبعات في

الخروج الى الجمعة ولقاء الناس فلينتزه وجملة الامر في العين على العمد والقاعم
بالعذر وهو عليم بذات الصدور ولكن الطريق العدل عند الاول بان يتهادى
الناس في الجماعة والجمعة وحضور الجنازات وبما يتم فيما سوى ذلك فان احب الطريق
الثاني بان ينقطع عن الناس بمرة فسبيله الخروج الى مواضع لا يتوجه عليه هذه
الفروض فيها ثم ان الطريق الثالث ان يكون مع الناس في مصر واحد لا يحضر
ولا جمعة لعذر يوجد في ذلك من ورعه ومنعه عليه فانه يحتاج الى انفراد فيه
عوارض عظيمة حتى يحفظ عند ذلك ومنه خطر من الغلط فالاولى ان المسلم
واحفظ له ولا يدوم الى الهداية بفضله واما الرجل الثاني فرجل يكون قدوة في
دينهم لبيان نحو اورد الى مبتدع ودعوة الحجة بفعل او قول ويحوز لك
فهو يسمع هذا الرجل الاعتزال عن الناس بل ينصب نفسه بينهم ناصحا
للخلق لله ذابا عن دين الله مبينا لاحكام الله فلقد روينا عن رسول الله
انه قال اذا تسلطت ظهرت البدع وسكت العالم فقد لعنه الله هذا اذا
كان بينهم واذا خرج من بينهم فلا يجوز له ايضا ذلك ولقد حكي عن الاستاد
ابي بكر بن فورك رحمه الله انه قصد ان ينفرد بعبادة الله تعالى عن الخلق فبينما
هو في بعض الجبال اذ سمع صوتا ينادي يا ابا بكر اذا صرت من حجج الله على
خلقه تركت عبادة الله فرجع وكان هذا سبب صحبته للخلق وذكر لي ماموس
بن احمد ان الاستاد ابا بكر قال لعباد جبل لبنان يا اكلة الحشيش تركتم
امة محمد في ايدي المبتدعة واشتغلتم ههنا باكلون الحشيش قالوا انا
لا نقوى على صحبة الناس وانما اعطانا الله قبلا من ذلك فسلف

بعد ذلك

اعني ذلك كما بين الجامع الجلي والخفي وكان لهم من غزارة علمهم العلم الجم والنظر
الدقيق في سلوك طريق الاخرة واعلم ان مثل هذا الرجل المحتاج اليه من الناس
في باب الدين يحتاج في صحبة الناس الى امرين شتى اليهما اشد حاجة الى طويل
وحلم عظيم ونظر لطيف واستعانة بالله واتحذر والثاني هذا ان يكون في البعض
معتزلا عنهم وان كان بالشخص معهم فان كلموه كلمهم وان زاروه عظمهم وفادهم
وشكرهم وان سكتوا عنه واعرضوا واهتموا استغنم ذلك منهم وان كان في حق
يخرج من عندهم وان تحابوا الى العفو وشرح لهم وجهرهم بل رد عليهم ورحمهم
ان يعامل لهم ثم يقوم بجميع حقوقهم من الزيارات والعيادات وقضاء الحاجات
التي يرفع الله بها مكنه ولا يطالبهم في المكافآت ولا يحاسبهم ليستوفي لهم
من نفسه استيحاشا الى ذلك ويا شطهم وانا بينا الى فاقد ومنقطع به
والاخص ان يعطي ويحتمل منهم الاذى ويظهر لهم البشر ويجعل بالا هو لهم حكم
جلبا منه عنهم فيفا سيبها ومعا لجها في سره وباطنه ثم يحتاج مع ذلك الى نظر
لنفسه خاصة فيجعل لها حظا من العبادة الى الصبح كما قال عمر بن الخطاب
ان تمت الليل لا ضيعن نفسي وان تمت النهار لا ضيعن الرعية فكيف لي بالنوم
بين هاتين وفي هذا المعنى عن لي ابيات من الشعر وهي

وان كنت في هذا الامة راعيا • موطن على ان سوف يكلب الوقائع •
بنفس وقوم عندك كل كر بهة • وقلب صبور وهو في الصدر جامع •

لها ما بك فرد واسلك لهم • وسرك مكتوم لذي اوب ضايع •
وذكرك مسموع وداؤك معلوم • وتعزك بسام وبطنك جائع •
وقلبك مجروح وسوقك كاسد • وفضلك ملموم وطعنك شائع •
وفي كل ايام الشهر داع غصة • من الدهر والاخوان والقلب جازع •
واذا ما شغل الناس عن غرته • وليلك سوف غاب عند الطالع •
فيها لك عزائم الحزن ودمعة • ليدم عين وعبرة عند الذرائع •
ثم يكون بالنفس معهم وبالقلب بعيدا عنهم وذلك لعمري امر شديد وعيش نكد
وقد يقول قد اوصى به غش مع اهل زمانك ولا تقبلهم ثم قال ما اشد
هذا العيش مع الاحياء والاعداء والاموات وعن ابن عباس قال الطالب الناس
ما هم صحبهم دينهم كما حكيته وفيه نكتة مقصوده فاقول اذا دارت الفتن
بعضها ببعض وتراجع الامر والى الناس عن امرائهم مدبرين لا يرجون في مؤمن
الا ولا ذمة ولا يطلبون عالما ولا يوقرون مقبلا ولا يعنيهم امر دينهم البتة
وترى الفتنة تعم العامة وتدب بين الخاصة فالعالم عند ذلك العزلة والتفرد
ودفن العلم واخاف ان ما ذكرناه هو هذا الزمان النكد الصعب والله المستعان
وعليه التكلان وهذا حكم المعنى الثاني والتفرد عن الناس فامنهم فان الغلط فيه عظيم
وضرره كثير وبه امد الا التوفيق فان قيل اليس روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالجماعة
فان الشيطان مع الفرد وهو من الاثنين ابعد فاعلم ان هذا ورد وورد
ايضا الزم بيتك وعليك بالخاصة وامر بالعزلة والتفرد في زمان الشر
ولا بد من قوله صلى الله عليه وسلم ولا بد من الجمع بين الخبرين بحول الله وقوته وتوفيقه

فاقول

فاقول قوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالجماعة يحتمل ثلاثة اوجه احدها يعني في الدين والحكم
اذ لا يجتمع هذه الامة على ضلالة كما في الخبر والاجماع حجة لما تلقته الجمهور من
الامة والشذوذ عنهم باطل وضلال فاما ان يعتزل عنهم لصلاح في دينه فليس
هذا من ذلك في شيء والثاني عليكم بالجماعة لئلا تنقطعوا عنهم في جمعهم وجماعاتهم
ونحوها فان فيها قوة الدين وجمال الاسلام وغيظ الكفار والملحدين وفي ذلك من
ذلك من بركات عند الله ونظر منه بالرحمة ولذلك لا ينبغي ان نحث المتفرد ان
ينادل الناس في جموع العامة في الجمعات يجانبهم في الصحبة والمحاورات
سائر الامور لما فيها من خير وسلامة والثالث ان ذلك من جهة ان الفتنة للرجل
الضعيف في امر الدين وانما الرجل البصير القوي في دين الله اذا راى زمان
الفتنة الذي حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامة منه وامرهم بالعزلة عنه فالعزلة
اولى لما في الخلطة من الفساد والافة وان لا ينقطع عن جموع الاسلام الجمعات
والعامة فان اراد ان ينفرد عن الناس مرة فيسكن شاهق الجبل او
بطن فلاة لصلاح يراه في دينه ثم قلت ولا ارى مثل هذا الرجل الا كان الا
ويكنفه الله من حسنات الجماعات والجمعات وسائر جموع الاسلام فيخص لئلا
يفوته الحظ منها ايضا فان جموع الاسلام من احد مجانبه ودعا الى مكان واف
نفيس الناس وفضل وامثال كذا سمعنا من حال الابدال انهم يحضرون جموع الاسلام
الجماعات ويسيرون من الارض حيث شاؤا فان الارض لهم قدم واحد وفي الاخبار
ان الارض تطوى لهم ويناد ونه بالمعجزات ويحفظون بانواع البر والكرامات
فهنيئا لهم بما ظفروا به واحسن الله عزاء من غفل عن النظر في خلاص نفسه

واعاد ... كما شا الله وبعد عرض لي في حقيقة عالى
ابيات ... اتصل الوصل لمولفه

• ... • ويفنيا من بين بين جارعى •
• بين حال الوصال والاجتناب • ثم يجلي القلوب بالبعاد هذا •
• نفسح الحال للالباب • فاسقنا منك شربة تذهب الغم •
• وتهدي الخطوب بالصواب • يا طبيب الحكام يا مرهم الجرح •
• ويا منقذ ... الاوصاب • فلنقبض الان عنان

... الى المقصود ومن شان العزلة وفضل حوجها من شرطها الادب قال ابو ... قال النبي ... يا ابنه اني الجلوس في المساجد ... عن التفرد ولعل ... ما ذكرناه وايضا فانه يجلس في المجلس ... الناس ... ويكون بالشخص معهم وفي المعنى منفردا وهذا هو المعنى في العزلة والتفرد ... التفرد بالشخص والمكان وانما ذلك ... وعند قول ابراهيم بن ادهم ... احدا جامعا ومن ... وحشا فان قيل ... طريق الاخرة والكون فيها فاعلم ان ... هذا الشأن لعامة اهل العلم والاجتهاد وذلك انهما جمعا المعنيين والنافرين القسمين احدهما العزلة عن الناس والتفرد عنهم بالصحبة والمخالطة والمزاحمة في امورهم والثانية المشاركة معهم في جمعهم وجماعاتهم وتكثير سواد الاسلام لتحصيل السلامة التي هي للمتفردين والاجر الكبير الذي

هو لعامة المسلمين مع ما للناس منهم من العون والبركة والنصيحة فصار ذلك لكون بينهما اعدل طريق واحسن حال واسلم سبيل واصلح الشأن اقام اكثر العارفين بين الناس لنفعهم للناس ولعبادة الله تعالى عن ... ومشاهدة الخلق ... وحسن ... فان لسان الحال افصح من لسان المقال فصار ذلك احسن ... في امر الدين والعلم والعبادة واحكام واجبة فان قيل في اهل ... مع المجتهدين والمرتاضين ... فاعلم انهم اذا كانوا ثابتين على ... عن خلقهم منهم اجل اخوان في الله عز وجل واصحاب اعوان على عبادة سبحانه ولا اسعك عنهم عزلة ... وعن ... انه منهم جماعات يتعاونون بالبر والتقوى ... واما اذا تغيروا وتركوا ... واخلوا ... عن ... فحكم هذا المجتهد المرتاض الحكمة مع ... الناس ... وشاركهم في خيراتهم ... اهل العزلة ... من المتفردين فان ... ان يخرج من بينهم الى مكان آخر لصلاح ... في نفسه ... فاعلم ان هذه المدارس والرباطات بمنزلة حصن حصين يتحصل بها المجتهدون عن القطاع والسراق وان الخارج بمنزلة ... من شأن الشياطين عسكر اعسكر ... فكيف حاله اذا خرج الى الصحراء ... هذا العدو من كل جانب ... فانا الكبش

لهذا الضعيف لا لزوم الحصن والصحراء ... اذا خرج عن ان الكون في الحصن احوط على كل حال ... من الغلبات والافتنانات واذا كان كهذه الجملة فالكون مع رجال الله والصبر على ... الصحبة اولى ... وطالب الخير ... حال ... للقوي البالغ مبلغ الاستغنا عن ... منهم فاعلم هذه الجملة وتاملها ... فان قيل في القول عند زيارة الاخوان في الله تعالى ومواصلة الاصحاب ... فاعلم ان زيارة الاخوان في الله تعالى من جوهر عبادة الله تعالى ... الله عز وجل مع ما فيها ... وصلاح القلب لكن ... ان يخرج في ذلك الى ... فال النبي ... زر غبا تزدد حبا واعلم ان ... عن الرياء والتزين ... اللغو والغيبة ونحو ذلك ... عليك وعلى اخيك ... يحكى ان الفضيل وسفيان تذاكرا ... فقال سفيان يا ابا علي ... انا ما جلسنا ... قال ... يا ابا علي ... ما عندي ... فبكى سفيان ... يكون مجالسة للاخوان ... في احتياط ... لطف ... ونفورك عن الناس ... وعلى اخيك ... خير كثير ونفع عظيم ... فان قلت فما يبعثني على العزلة عن الناس والتفرد ويهون علي ذلك فاعلم ان الذي يهون عليك ذلك ثلثة امور احدها استغراق الاوقات في العبادة

فان في العبادة شغلا او ان الاستيناس بالناس من علامة الافلاس فاذا رايت نفسك تطلع الى ملاقاة الناس ... فاعلم ان ذلك فضول ... والبطو ... احسن من قال شعر
• ان الفراغ الى سلامك فادني • ولربما اجل لفضول المضارع •
فاذا ... لعبادة ربها ... المناجاة فاستانست بجناب الله واشتغلت عن الخلق استوحشت من صحبتهم ومن كلامهم وفي الخبر ان موسى عم كان اذا رجع من المناجات يستوحش من الناس وكان يجعل اصبعيه في اذنيه لئلا يسمع كلامهم وكان كلامهم عنده في التفرد والخلوة في ذلك كاصوات الحمير فعليك يا فالم ... احذ الله صاحبا ودع الناس جانبا والثاني قطع الطمع عنهم ... لان من لا يرجوا نفعه ولا يخاف ضره فوجوده وعدمه عليك سواء والثالث ... ذلك ... فان هذه الاوصاف ... عن صحبة الناس الى باب الله والتفرد لعبادته ... والعصمة العاقبة ... الشيطان ثم عليك يا اخي بمحاربة الشيطان وقهره ... احدهما انه لا مطمع فيه ... الا ... اصلا ... اثنين من كتاب الله سبحانه وتعالى احدهما قوله الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين والثانية قوله

ان الشيطان اكثر علمه فاتخذه عدوا وهذا اقصى التحذير وغايته والخصلة الثانية
انه مجبول على عداوتك منتصب لمحاربتك فهو اناء الليل واطراف النهار
يرميك بسهامه وانت غافل فكيف يكون الحال ثم ومع ذلك فعلت يمكنه
احزنه وهو ان في عبادة الله ودعوة الخلق الى باب الله تعالى بفضل
وذلك وهذا اشد صنيع الشيطان وهمه ومراده وحرفته ونقوته فانك
ممن وشددت وسطك لمعاندة الشيطان ونكايته ومناقضته فهو ايضا
شد وسطه لمعاداتك ومقاتلتك ويمكر بحتى يفسد عليك شانك
بل حتى يهلكك واشاد لا باس من جانبك فان الذي يسعى ويجتهد
باهلاك الخلق ومناقضته ولا تعاطيل بل يواخذه ويعاديه كالكفار و
اهل الضلال واهل الزيغ في بعض الاحوال فكيف تظن فيمن قام
لمحاربته ولمجوده لمناقضته فلو اذا مع الناس عداوة خاصة ومع الشيطان
المجتهد في العبادة والعلم عداوة خاصة فان امرك له مهم ومع عليك
اعوان اشد هاء منك نفسك وهواك ولهم اسباب منها الخيل وابواب
انت عنها غافل ولقد صدق يحيى بن معاذ رضي الله عنه حيث قال الشيطان فارغ
وانت مشغول وهو يراك وانت لا تراه وانت تنسى الشيطان وهو لا ينساك
ومن نفسك الشيطان عليك عون فاذا لا بد من محاربته وقهره والا فلا تامن
من الفساد والهلاك فان قلت فبأي شيء تحصل على محاربة الشيطان و
باي شي اظهره وادفعه فاعلم ان لاهل السنة فيه طريقين احدهما ما قال
بعضهم ان التدبير في دفع الشيطان الاستعاذة بالله لا غير فان الشيطان

العنا عنه في هذه م

كلب

كلب سلطه عليك وان اشتغلت بمحاربته ومعالجته تعبت وضاع عليك وقتك
وربما يقطع بك ويعقرك ويجرحك فالرجوع الى رب الكلب ليصرفه عنك
اولى الثاني ما قال الآخرون ان الطريق المجاهدة والقيام بالدفع والرد و
المخالفة قلت والذي عندي ان الطريق الصحيح الجامع في امره ان تجمع بين
الطريقين فتستعين بالله اولا عن شره كما امرنا وهو الكافي شره ثم ان رأيتنا
يتغلب علينا علمنا انه ابتلاء من الله تعالى ليرى صدقنا في مجاهدتنا وحال ثباتنا
في امره سبحانه ويرى صبرنا كما يسلط الكفار علينا مع قدرته على كفاية امرهم
وشرهم ليكون لنا حظ من الجهاد والصبر والتمحيص والشهادة كما قال تعالى
وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء وقال تعالى ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين فكذلك الامر في
ثم ان محاربته وقهره فيما قال علماؤنا رحمهم الله تعالى ثلاثة اشياء احدها
ان تعرف وتتكلم مكائده وحيله فلا يجترئ عليك كاللص اذا علم ان
صاحب الدار قد احس به رجع والثاني ان تستخف بدعوته فلا تعلق قلبك به
ولا تتبعه فانه بمنزلة الكلب النابح ان اقبلت عليه لعب بك وتجرأ وان اعرضت
سكت والثالث ان تديم ذكر الله في جنب الشيطان كالاكلة في جنب ابن ادم
فان قلت فكيف يعلم مكائده وكيف الطريق الى معرفة ذلك فاعلم ان الوساوس
هي بمنزلة السهام الذي يرميها وذلك انما يتبين لك بمعرفة الخواطر و
اقسامها والثاني حيله بمنزلة الشبكات التي ينصبها وذلك يتبين
بمعرفة المكايد واوضاعها وطرقها ولعلنا نذكر علما في ابواب الخواطر

وقد صنفنا كتابا سميناه تلبيس ابليس وكتابنا هذا لا يحتمل الاكثار ولكنا نذكر
لك ان شاء الله تعالى من كل واحد منهما اصلا يكفينا اذا اعتصمت به فاما
اصل الخواطر فاعلم ان الله تعالى وكل بقلب ابن ادم ملكا يدعوا الى الخير يقال
له الملهم ولدعوته الالهام وسلط في مقابلته شيطانا يدعوا العبد الى الشر يقال
له الوسواس ولدعوته وسوسة فالملهم لا يدعوا الا الى الخير والوسواس
لا يدعوا الا الى الشر في قول اكثر علمائنا وقد حكي عن شيخنا ان الشيطان ربما
يدعوا الى الخير وقصده في ذلك الشر بان يدعوه الى المفضول ليمنعه
عن الافضل ويدعوه الى الخير ليجره الى ذنب عظيم لا يفي خيره بذلك الشر
من عجب او غيره فهذان داعيان داعيان على قلبه يدعوانه وهو يسمع قلبه
ويدل على ذلك ما روي في الاخبار اذا ولد لبني ادم مولود قرن الله به
ملكا وقرن الشيطان به شيطانا فالشيطان جاثم على اذن قلب ابن ادم اليسرى
والملك جاثم على اذن قلبه اليمنى فهما يدعوانه وقال النبي صلى الله عليه وسلم للشيطان لمة بابن
آدم وللملك لمة يعني من وله بالدعوة ومن قوله لمحة بالمكان والم به ثم ركب
الله في بنية الانسان طبيعة مائلة الى الشهوات ونيل اللذات كيف كانت
من حسن وقبح فذلك هوى النفس الصارف الى الافات فهذه ثلاثة دواع
ثم اعلم بعد هذه المقدمة ان الخواطر هي اثار تحدث في قلب العبد تبعثه
على الافعال او التروك وتدعوه اليها وسميت خواطر لاضطرابها في خطرانه
الريح ونحوه وحصولها جميعا في قلب العبد بالحقيقة من الله تعالى لكنها
اربعة اقسام منها ما يحدثه الله سبحانه في القلب ابتداء فيقال له الخاطر فقط

وقسم

وقسم يحدثه موافقا لطبع الانسان فيقال له هوى النفس ويدرب ابهما وقسم
يحدثه عقيب دعوة الملهم فينسب اليه ويقال له الالهام وقسم ينسب اليه ابا نها
خاطر من الشيطان فانما هي بالحقيقة حادثة عند دعوته فهي كالسبب في ذلك
ولكنها تنسب اليه فهذه اربعة اقسام من الخواطر ثم اعلم بعد هذا التقسيم
ان الخاطر الذي من قبل الله ابتداء قد يكون بخير اكراما والزاما للحجة وقد يكون
من قبل الملهم لا يكون الا بخير لانه ناصح مرشد لم يرسل الا لذلك واما الخاطر الذي
من قبل الشيطان لا يكون الا بشر اغواء واستزلالا وربما يكون بالخير مكرا
واستدراجا والذي يكون من قبل هوى النفس يكون بالشر وربما بالخير نفعا
وتعسفا ولعل وحيث عن بعض السلف ان هوى النفس قد يدعوا الى خير و
المقصود منه شر كالشيطان فهذه انواعها ثم بعد هذه انك تحتاج الى
معرفة ثلاثة فصول لا بد لك منها البتة ومنها المقصود احدها الفرق
بين خاطر شر ابتدائي او هوى او شيطاني وما يفرق بينها فان لكل واحد منها
دفعا من نوع اخر والثالث الفرق بين خاطر خير ابتدائي او الهامي او شيطاني
لتتبع ما يكون من الله او من الملهم وتجتنب ما يكون من الشيطان او الهوى وكذلك
على قول من يقول به فاما الفصل الاول قال علماؤنا رحمهم الله تعالى اذا اردت
ان تعرف خاطر الخير من خاطر الشر وتفرق بينهما فزنه باحد الموازين الاربع
فيتبين لك حاله اولا اعرض الامر الذي خطر ببالك على الشرع فان وافق جنسه
فهو خير وان كان بالضد برخصة او شبهة فهو شر فان لم يتبين لك
بهذا الميزان فاعرضه على الاقتداء فان كان في فعله اقتداء بالصالحين

الفصل الاول

مهو خير وان كان بصفة اتباع الصالحين فهو شر فان لم يتبين لك بهذا الميزان فاعرضه على النفس والهوى فانظر فان كان مما تنفر عنه النفس نفرة الطبع لا نفرة خشية وترهيب فاعلم انه خير وان كان مما تميل اليه النفس ميل طبع وجبلة لا ميل رجاء الى الله تعالى ورغبة فهو شر اذ النفس امارة بالسوء لا تميل باصلها الى خير فبأحد هذه الموازين اذا نظرت واعملت النظر يتبين لك الخاطر الخير من خاطر الشر والله تعالى ولي الهداية بفضله انه جواد كريم واما الفصل الثاني ان تفرق بين خاطر شر يكون من قبل الشيطان وبين خاطر شر يكون من هوى النفس او من الله فانظر فيه من ثلثة اوجه احدها ان صحبته صميما ثابتا على حالة واحدة فهو من الله ومن هوى النفس فان صحبته مترددا مضطربا فاعلم انه من الشيطان وكان بعض العارفين يقول مثل هوى النفس مثل النمر انما انت عبد مقهور الا بمعونة بالغ ومقهور ظاهر ومثل الخارجي الذي يقاتل حتى يقتل فانه لا يكاد يرجع حتى يقتل ومثل الشياطين مثل الذباب تطرده من جانب فيجيء من جانب اخر وثانيها ان وجدته عقيب ذنب احدثته فهو من الله اهانة وعقوبة الشؤم ذلك الذنب قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال شيخ الامام هكذا تؤدي الذنوب الى شؤم القلب اولها خاطر ثم يؤدي الى الشهوة والتمرن وان كان لهذا الخاطر مبتدا لا عقيب ذنب كان منك فاعلم انه من قبل الشيطان هذا في الاكثر انه لا يبتدئ بدعوة الشر ويطلبه الاغواء بكل حال وثالثها ان وجدته لا يضعف ولا يقل بذكر الله فهو من الشيطان في الاكثر كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى من شر

الوسواس



الوسواس الخناس ان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله خنس واذا غفل وسوس واما الفصل الثالث اذا اردت ان تفرق بين خاطر خير يكون من الله تعالى وما يكون من الملك فانظر في ذلك من ثلثة اوجه فان كان قويا صميما فهو من الله وان كان مترددا فهو من الملك اذ هو بمنزلة ناصح يدخل من كل جانب ويجيء عليك بعرض كل نصح رجاء اجابتك ورغبتك في الخير والثاني منها ان كان عقيب اجتهاد منك وطاعة فهو من الله تعالى قال الله سبحانه وتعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا زادهم هدى وان كان مبتدا فهو من الملك في الاغلب والثالث منها ان كان في الاصول والاعمال الباطنة فهو من الله سبحانه وتعالى وان كان في الفروع والاعمال الظاهرة فهو من الملك في الاكثر اذ الملك لا سبيل له الى معرفة العبد في الاكثر واما خاطر الخير الذي يكون من قبل الشيطان استدراجا الى شر هو اعظم من ذلك فقال شيخنا انظر ان وجدت نفسك في ذلك الفعل الذي خطر بقلبك مع نشاط لا مع الخشية ومع العجلة لا مع تأن ومع امن لا مع خوف ومع عمى العاقبة لا مع البصيرة فاعلم انه من الشيطان فاجتنبه وان وجدت نفسك على ضد ذلك مع خشية لا مع نشاط ومع تأن لا مع عجلة ومع خوف لا مع امن ومع بصيرة العاقبة لا مع عمى فاعلم انه من الله تعالى او من الملك قلت انما كان النشاط خفة في الانسان للفعل من غير بصيرة وذكر ثواب ينشط في ذلك الثاني محمودا الا في مواضع معدودة وذكرت في الخبر العجلة من الشيطان الا خمسة من تزويج البكر اذا ادركت وقضاء الدين اذا وجب وتجهيز الميت اذا مات

وقرى الضيف اذا نزل والتوبة من الذنب اذا اذنبت واما الخوف فيحتمل ان يكون في تمامه او ابر عاوجه مد وحفظها او قبول الله تعالى اياه واما بصارة العاقبة بان ترجو ثواب ونتيقن انه خير وشر ويحتمل الورد الثواب في العقبى وعاقبة فاعلم ذلك موفقا للخير فهذه جملة الفصول الثلثة التي لو تملك معرفتها في فصل الخواطر فاعرفها ثم انظر فيها ما استطعت فانها من العلوم اللطيفة والاسرار الشريفة في هذا الباب اما الحيل والمخادعات من الشيطان فنحن نذكر لك و مثالا في مكائد الشيطان مع ابن ادم في الطاعة من سبعة اوجه احدها انه ينهاه عنها فان عصمه الله تعالى ردّه بان قال انى محتاج الى التزود الى الاخرة لابد لى من الدنيا ودّع هذه الدنيا للاخرة التي لا تنفصل لها ثم يامره بالتسويف فان عصمه الله تعالى ردّه بان قال ليس اجلي على انى ان سوفت اليوم الى غد فعمل الغد فلى عمل لكل يوم عملا ثم يامره بالعجلة فيقول اعجل لتفرغ لكذا وكذا فان عصمه الله عز وجل ردّه بان قال قليل العمل مع التمام خير من كثيره مع النقصان ثم يامره باتمام العمل مراءاة للناس فان عصمه الله تعالى ردّه بان قال الحتى اعمل عمل ارائه الناس الا يكفيه في رؤية الله تعالى ثم يريد ان يوقعه في العجب فيقول ما اعظمك وما ايقظك فان عصمه الله تعالى ردّه بان قال المنة لله تعالى في ذلك دوني وهو الذي خصني بتوفيقه وجعل العمل خيرا بفضله ولولا فضله فما قيمة هذا العمل في جنب نعم الله تعالى علي وفي جنب معصيتي له ثم ياتيه من وجه سادس وهو اعظمها ولا يتفطن له الا المتيقظ وهو ان يقول اجتهد انت في السر فان الله سيظهر عليه ويلبس على كل عامل عمله ما اراد به الشر بابن الوراء فان عصمه الله ردّه بان قال

يا ملعون

فصل العقل

يا ملعون الى الآن كنت تأتيني من وجه افساد عملي والآن تأتيني من اصلاحه لتفسده انما انا عبد الله وهو سيدي ان شاء اظهر وان شاء اخفى وان شاء جعلني خطيرا وان شاء جعلني حقيرا وذلك اليه ولا ابالي ان اظهر ذلك للناس ولم يظهر فلم يسلبني شيء ثم ياتيه من وجه سابع ويقول لا حاجة الى هذا العمل لانك ان خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل وان خلقت شقيا لم ينفعك فعله فان عصمه الله ردّه بان قال انما انا عبد وعلى العبد امتثال الامر لعبودية والرب اعلم بربوبيته يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد الا انه ينفعني العمل كيف ما كنت لاني ان كنت سعيدا احتجت اليه لزيادة الثواب وان كنت شقيا فانا احتاج اليه لئلا الوم نفسي وعلى ان الله لا يعاقبني على الطاعة بكل حال ولا تضرني وعلى انى ان ادخلت النار وانا مطيع احب الي من ان ادخلها وانا عاص فكيف ووعده حق وقوله صدق وقد وعد على الطاعة بالثواب فمن اتى الله تعالى على الايمان والطاعة لن يدخل النار البتة ويدخل الجنة لا لاستحقاقه بعمله الجنة لكن لوعد الله الصادق ولهذا المعنى اخبر الله تعالى عن السعداء فقال الحمد لله الذي صدقنا وعده فتفطن رحمك الله فانك كما ترى وتسمع وقس عليه سائر الافعال والاحوال واستعن بالله تعالى فانما بيده الامر كله وهو المؤمن ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم العائق الرابع النفس ثم عليك عصمك الله واياي بالحذر من هذه النفس الامارة بالسوء فانها اضر الاعداء وبلاؤها اصعب البلاء وعلاجها اعسر الاشياء وداؤها اعضل الداء ودواؤها اشكل الدواء وانما ذلك لامرين احدهما

انها عدو من داخل واللص اذا كان من البيت عزت الحيلة فيه وعظم الضرر
لقد صدق القائل حيث قال * نفسي الى ما ضرني داعي * تكثر اسقامي واوجاعي *
كيف احتيالي من عدوي * اذا كان عدوي بين اضلاعي * والثاني انها
محبوب والانسان عمي عن عيب محبوبه لا يكاد يبصر عيبه كما قال القائل * وعين
الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدي المساويا * فاذا يحسن الانسان
عن نفسه كل قبيح ولا يكاد يطلع على عيبها وهي له عدو في عداوتها واضرارها وما
اوشك ان يوقعه في فضيحة وهلاك وهو لا يشعر الا ان يحفظه الله تعالى بفضله
ويعينه عليها بحسنه ثم اخي تامل ايها الرجل نكتة واحدة مقنعة وهي اذا نظرت
وجدتها اصل كل فتنة وفضيحة وخزي وهلاك وذنب وآفة وتعب في خلق الله
من اول الخلق الى يوم القيامة من قبل هذه النفس اما وحدها واما بعونها او
مشاركتها او مساعدتها فاول المعصية لله تعالى كان من ابليس وكان سببه بعد
القضاء السابق هو النفس بكبرها وحسدها الفتنة بعد عبادة ثمانين الف
سنة فبقي فيما بقي في بحر الضلال يعوم الى ابد الابدين اذ لم يكن هنالك دنيا
ولا خلق ولا شيطان بل كانت النفس بكبرها وحسدها فعلت ما فعلت ثم ذنب
ادم وحواء عليهما السلام منهما شهوة النفس في ذلك الحرص منهما على البقاء و
الحيوة حتى اغترا بقول ابليس فكان ذلك اذا بعون النفس وتركيبها حتى سقطا
بذلك من جوار الله وبقيا لفردوس الى هذه الدنيا الحقيرة النكدة الفانية
المهلكة تعبا ما بقي وبقي اولاده ما بقوه من ذلك اليوم الى ابد الابدين
ثم قابيل وهابيل كان السبب في امرهما الحسد والنفخ ثم حديث هاروت وماروت

كان

كان السبب فيه نهما الشهوة ثم هلم جرا الى يوم القيامة لا تجد في الخلق فتنة
ولا فضيحة ولا ضلالا ولا معصية الا واصلها النفس وهواها والا كان الخلق
في سلامة وخير فاذا كان عدوا بهذا القدر كان يجب على العاقل ان يهتم بامره
والله تعالى ولي التوفيق والهداية بفضله فان قلت فما الحيلة لنا اذا في هذا
العدو وما التدبير في امره فتبين ذلك فاعلم انا ذكرنا فيما تقدم ان امرها
عسير وصعب لا يمكن قهرها بمرة كسائر الاعداء اذ هي المطية والالة وقيل ان
اعراضها دعا الانسان يحزنها الكيف سد ذلك كل هذا الانسان ولا يمكن اهمالها
بمرة لمكان شرها فيحتاج الى طريق بين طريقين تربيته وتقويته بقدر ما تحمل
فعل خير وتضعيف وتحديد على حد لا يمنا دخل شيء من امرها في علاج شديد تلو
لطيف ثم قد ذكرنا ان امرها ان نلجمها اللجام التقوى والورع لتحصل الفايدتان
جميعا فان قيل هذه دابة جموح وبهيمة صعبة شكيبة لا تنقاد للجام قال علماؤنا
فما الحيلة فيها حتى يمكنه الجامها فاعلم انك يمنها الصادق والحيلة فيها بذلتها
حتى تنقاد اللجام قال علماؤنا ان تيسر الله تعالى اذا لالم النفس وتكسر هواها بثلثة
اشياء احدها منع الشهوات فان الدابة الحرونة تلين اذا حبست وتقصر من
علفها والثاني حمل اثقال العبادات عليها فان الحمار اذا زيد في حمله مع
نقصان علفه تذلل وانقاد والثالث الاستعانة بالله عز وجل والتضرع اليه
بان يعينك والا فلا خلاص لها تسمع قول يوسف عم يخبر الصادق ان النفس
لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فاذا واظبت على هذه الامور الثلثة انقادت
لك النفس الجموح باذن الله ثم تبادر الى تملكها وتلجمها وتامن شرها فان

قلت فبين الان ما هو التقوى حتى نطلبه فاعلم ان التقوى كنز عزيز فلئن ظفرت
به فكم تجد فيه من در شريف وعلق نفيس وخير كثير ورزق كريم وفوز كبير وغنم
جسيم وملك عظيم فكان خير الدنيا والاخرة جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة
التقوى وتامل ما في القران من ذكرها وكم علق بها من خير وكم وعد عليها من اجر و
ثواب وكم اضاف اليها من سعادة وانا اعد لك جملها اولها المدحة والثناء
قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور والثاني الحفظ والحراسة
قال الله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا والثالث التاييد والنصرة
قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا وقال تعالى والله ولي المتقين والرابع
النجاة من الشدائد والرزق من الحلال قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب والخامس اصلاح العمل قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم والسادس غفران الذنوب قال الله تعالى
ويغفر لكم ذنوبكم والسابع محبة الله تعالى ان الله يحب المتقين والثامن القبول قال
الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين والتاسع الاكرام والاعزاز قال الله تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقيكم والعاشر البشارة عند الموت قال الله تعالى الذين امنوا
وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة والحادي عشر النجاة من النار قال الله
سبحانه ثم ننجي الذين اتقوا وسيجنبها الاتقى الذي والثاني عشر الخلود في الجنة قال الله
تعالى اعدت للمتقين فهذه كل خير وسعادة في الدارين تحت هذه الخصلة التقوى
فلا تنس نصيبك ايها الرجل منها ثم الذي يختص هذا الشان من امر العبادة ثلثة
اصول احدها التوفيق والتاييد اولا وهو للمتقين كما قال الله ان الله مع المتقين

والثاني

والثاني اصلاح العمل واتمام التقصير وهو للمتقين كما قال تعالى يصلح لكم اعمالكم
الثالث قبول الاعمال وهو للمتقي قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ومدار
العبادة على هذه الامور الثلثة التوفيق اولا حتى يعمل ثم الاصلاح للتقصير حتى
يتم ثم القبول اذا تم وهذه الثلثة التي يتضرع فيها العابدون الى الله تعالى
ويسالون فيقولون ربنا وفقنا لطاعتك واتمم تقصيرنا وتقبل منا وقد وعد الله تعالى
ذلك كله على التقوى واكرم بها المتقي سائلا لم يسال فعليك بهذه التقوى
ان اردت عبادة الله بل ان اردت سعادة الدنيا ولقد صدق القائل *
* من اتقى الله فذاك الذي * سيق اليه المتجر الرابح * وقال اخر
* من عرف الله فلم تغنه * معرفة الله فذاك الشقي *
* ما يصنع العبد بعز الغنى * والعز كل العز للمتقي * وكتب بعضهم على
بعض القبور ليس زاد سوى التقى * فخذ الزاد او دع * ثم تامل اصلا
واحدا وهو انه هب انك قد تعبت جميع عمرك في العبادة وجاهدت وكابدت
حتى حصل لك ما تمنيت الشان كل الشان في القبول وقد علمت ان الله تعالى يقول
انما يتقبل الله من المتقين فيرجع الامر كله الى التقوى فلذلك روي عن عائشة
انها قالت ما اعجب رسول الله شيء من الدنيا ولا اعجبه احد الا ذو تقى وعن قتادة
انه مكتوب في التورية يا ابن ادم اتق الله ونم حيث شئت وبلغني عن عامر بن
عبد قيس انه بكى عند موته وكان يصلي كل يوم وليلة الف ركعة ثم ياوي الى فراشه
فيقول يا ماوى كل شر والله ما رضيتك لله طرفة عين فقيل له ما يبكيك فقال
قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ثم تامل نكتة اخرى وهي اصل من الاصول

وهو ما ذكر ان بعض الصالحين قال لبعض اشياخه اوصني فقال اوصيك بوصية الله
تعالى رب العالمين للاولين والآخرين وهو قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم واياكم ان اتقوا الله قلت اليس الله اعلم بصلاح العبد من كل احد
اليس هو انصح له وارحم وارأف من كل احد ولو كانت في العالم خصلة هي اصلح
للعبد واجمع للخير واعظم للاجر واجل في العبودية واعظم في القدر واولى بالحال
وانجح للآمال من هذه الخصلة التي هي التقوى لكان الله امر بها عباده واوصى خواصه
بذلك لكمال حكمته وسعة رحمته فلما اوصى بهذه الخصلة الواحدة جميع الاولين
والآخرين من عباده في ذلك واقتصر عليها علمت انها هي الغاية التي لا متجاوز
عنها ولا مقتصر دونها وانه قد جمع كل نصح ودلالة وارشاد وتنبيه وتأديب وتعليم
وتهذيب في هذه الوصية الواحدة كما يليق بحكمته ورحمته وعلمت ان هذه
الخصلة التي هي التقوى هي الجامعة لخير الدنيا والآخرة الكافية لجميع المهمات
المبلغة الى اعلى الدرجات في العبودية وهذا الاصل لا مزيد عليه وفيه كفاية
لمن ابصر النور واهتدى وعمل به لذلك واستغنى والله ولي الهداية والتوفيق
بمنه فان قلت لقد عظم قدر هذه الخصلة وجل موقعها واشتدت الحاجة الى
معرفتها ولكنك تعلم ان كل خطير وكبير يحتاج في تحصيله الى كلفة كبيرة ومؤنة كثيرة
غالية وجهد شديد فاذا كان ان هذه الخصلة عظيمة كبيرة والمجاهدة في طلبها
والقيام بحقها والعناية في تحصيلها ايضا لفضل كبير وشان عظيم فان المكارم
على حسب المكاره وان اللذات على حسب المؤونات والله سبحانه يقول والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وان الله تعالى هو الموفق الذي بيده تيسير كل عسر فاسمع

ونبذ

ونتبينه لك بيان هذه الخصلة حتى تعلمها ثم القيام بها واستعن بالله
حتى تعمل بما تعلم فان الشان كله في ذلك والله تعالى ولي التوفيق والهداية
فنقول اعلم ان التقوى في قول شيوخنا هي تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق عنك
مثله حتى يحصل للعبد من قوة العزم على تركها وقاية بينه وبين المعاصي هكذا
قال شيخنا وذلك ان اصل لفظة التقوى في اللغة هي الوقوى وهو مصدر كما
يقال وقى يقي وقاية ووقوى فابدلت عن الواو تاء كما هو في الوكلان والتكلان
ونحوهما فقيل تقوى فاذا الحاصل وقاية بين العبد والمعاصي من قوة عزمه على
تركها وتوطين قلبه على ذلك فهو صفة حاصلة وقد يقال لذلك الذي هو
العزم والتوطين تقوى ثم التقوى في القرآن تطلق على ثلاثة اشياء احدها بمعنى
الخشية والهيبة قال الله تعالى فاياي فاتقون وقال واتقوا يوما ترجعون فيه
الى الله والثاني بمعنى الطاعة والعبادة قال الله سبحانه يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس اطيعوا الله حق طاعته وقال مجاهد هو
ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر والثالث بمعنى تنزيه
القلب عن الذنوب فهذه هي الحقيقة في التقوى دون الاولين الا ترى ان الله تعالى
يقول ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ذكر الطاعة
والخشية ثم ذكر التقوى فعلمت ان حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية
وهي تنزيه القلب عما ذكرناه ثم قالوا منازل التقوى ثلاثة تقوى عن الشرك
وتقوى عن البدعة وتقوى عن المعاصي الفرعية ولقد ذكرها الله في آية واحدة
وهو قوله عز وجل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم

اصل ثاني

اتقوا واحسنوا فالتقوى الاولى تقوى عن الشرك والايمان الذي ذكره معها
في مقابلة التوحيد والتقوى الثانية عن البدعة والايمان الذي ذكره معها
اقرار عقود السنة والجماعة والتقوى الثالثة عن المعاصي الفرعية ولا اقرار
في هذه المنزلة فقابلها بالاحسان وهي الطاعة والاستقامة عليها فيكون
منزلة مستقيمي الطاعة فالآية بجمعت ذكر المنازل الثلاث منزلة الايمان ومنزلة
السنة ومنزلة استقامة الطاعة فهذا ما قال العلماء في بيان معنى التقوى
قلت اما وجدت التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال وهو ما روي في الخبر عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما سمي المتقون متقين لتركهم ما لا باس به حذرا مما به باس
فاحببت ان اجمع بين ما قاله العلماء وما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيكون
حدا جامعا ومعنى بالغا فقلت التقوى هو اجتناب كل ما تخاف منه ضررا في
الدين الا ترى انه يقال للمريض المحتمي انه يتقي اذا اجتنب كل شيء يضره في
بدنه من شراب وطعام وفاكهة وغيرها ثم الذي يخاف منه الضرر في امر
الدين قسمان محض الحرام والمعصية وفضول الحلال لان الاشتغال بفضول
الحلال والانهماك فيه يجر الى الحرام ومحض العصيان وذلك لشره النفس
وطغيانها وعتو الهوى وعصيانها فمن اراد ان يامن الضرر في امر دينه
اجتنب الخطر وامتنع عن فضول الحلال حذرا ان يجره الى محض الحرام على ما
قاله لتركهم ما لا باس به حذرا عن الوقوع في الحرام فالتقوى البالغة الجامعة
اجتناب كل ما فيه ضرر لامر الدين وهو المعصية والفضول فهذا تفصيلها
واما اذا اردنا تحديدها على موضوع علم الشرع فنقول حد التقوى الجامع تنزيه

القلب

القلب عن شر لم يسبق عنك مثله بقوة العزم على تركه حتى يصير ذلك وقاية
بينك وبين كل شر ثم الشرور على قسمين اصلي وهو ما نهي عنه نهيا
وهو فضول الحلال كالمباحات الماخوذة بالشهوات فالاولى التقوى فرض
يلزم بتركها عذاب النار والثانية تقوى خير وادب يلزم بتركها الحبس
والحساب والتعيير واللوم فمن اتى بالاولى فهو في الدرجة الدنيا من التقوى
وهي منزلة مستقيمي الطاعة ومن اتى بالاخرى فهو في الدرجة العليا من
التقوى وهي اعلى تلك منزلة المتقيين في المباح فاذا جمع العبد بينهما
على اجتناب كل معصية وفضول فقد استكمل معنى التقوى وقام بجميعها
وجمع كل اجزائها فهذا هو الورع الكامل الذي هو ملاك امر الدين وذلك
منزلة الادب على ما ذكرت فهذا معنى التقوى وبيانها في الجملة ثم
موقعها ان شاء الله تعالى فان قلت فصل لي الان هذا المعنى في النفس و
استعمالها فان الحاجة جاءت من هنالك لنعلم كيف تلجم هذه النفس
بهذا المعنى الذي حصلت من حقيقة التقوى فاقول اجل انما تفصيله في امر
هذه النفس ان تقوم عليها بقوة العزم فتمنعها عن كل معصية وتصونها
عن كل فضول فاذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت الله في عينك واذنك
ولسانك وقلبك وبطنك وفرجك وجميع اركانك وألجمتها بلجام التقوى
ولهذا الباب شرح طويل وقد اشرنا اليه في كتاب احياء العلوم واما الذي
لا بد منه هاهنا ان نقول من اراد ان يتقي الله فليراع الاعضاء الخمسة فانها
الاصول وهي العين والاذن واللسان والقلب والبطن فيحرص عليها بالصيانة

لها تحتمل في الحال من آفات الدين من معصية وحرام وفضول واسراف
في حلال واذا حفظت هذه الاعضاء رجوت ان يكون سائر الاركان ويكون
[…] بالشر الخامسة بجميع […] فلا […] الحاجة الى بيان خمسة فصول
لهذه الاعضاء وتفصيل الحكم في حق كل واحد منها على قدر ما يليق بهذا
الكتاب

الفصل الاول في العين

عليك وفقك الله وايانا بحفظ العين فانها
سبب كل فتنة واذكر في امرها ثلاثة اصول كافية احدها ما قال الله تعالى قل
للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما
يصنعون واعلم انك اذا تاملت هذه الاية فاذا فيها مع قصرها ثلاثة معان عزيزة
التاديب والتنبيه والتهديد واما التاديب فقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم
[…] ادب العبد الراسخ والتاديب بادبه الا يكونون […] الادب محجب
فلا يرى ذلك الا في حضور المجلس والمثول بالحضرة فافهم هذه النكتة وراع
[…] ما فيها واما التنبيه فقوله تعالى ذلك ازكى لهم على معنيين
والله اعلم احدهما ذلك اطهر لقلوبهم والزكاة الطهارة والزكية المطهرة و
الثاني ذلك انمى لخيرهم واكثر لان الزكوة في الاصل النمو فنبه على ان في
غض البصر تطهير القلب وتكثير الطاعات والخير وذلك انك ان لم تغض بصرك
وارسلت عنانها تنظر الى ما لا يعنيك فلا يخلو اما ان تقع عينك على حرام فان
تعمدت فذنب وكبيرة وربما تعلق قلبك بذلك فتهلك ان لم يرحمك الله تعالى
ولقد روي ان العبد […] النظر يبغل منها قلبه كما يبغل الاديم في الدباغ لا ينتفع
به احد وان كان مباحا فربما تشغل قلبك به وجاءت الوسواس والخواطر بسببه و

لعلك

ولعلك لا تصل اليه فيبقى مشغول القلب منقطعا عن الخير وان كنت لم تنظر لكنت مستريحا
عن ذلك كله وفي هذا المعنى ذكر عن عيسى عليه السلام واياكم والنظرة فانها تزرع في القلب
الشهوات وكفى بها فتنة لصاحبها وقال ذو النون نعم حاجب الشهوات
غض الابصار ولقد احسن من قال

وانت اذا ارسلت طرفك رائدا … لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر … عليه ولا عن بعضه انت صابر

فاذا انما كنت غاض البصر حافظا
للعين لا تنظر الى ما لا يعنيك ولا يهمك كنت نقي الصدر فارغ القلب
مستريحا عن كثير من الوسواس سالم النفس عن الافات مع ابد الخيرات فتنبه
لهذه النكتة الجامعة والله تعالى الموفق بمنه وفضله واما التهديد
فقوله تعالى ان الله خبير بما يصنعون وقال تعالى يعلم خائنة الاعين و
ما تخفي الصدور وكفى بهذا تحذيرا لمن خاف مقام ربه فهذا اصل
واحد من كتاب الله تعالى والاصل الثاني ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان النظر الى محاسن المرأة سهم من سهام ابليس فمن تركها اذاقه الله
طعم عبادة تسره وان صح ذلك حصل برد العبادة ولذة المناجاة من
العباد والعابدين بكل […] وهذا شيء مجرب […] من اذا
امتنع عن النظر الى ما لا يعنيه يجد لذة للعبادة […] للقلب صفوة
لم يجدها قبل ذلك والاصل الثالث ان تنظر الى كل عضو من اعضائك
يصلح لماذا […] لماذا […] حتى […] الصورة وتحفظه فالرجل الذي
في رياض الجنة وقصورها والعين لكاس الشراب […] والثمار وكل شيء منها

الاعضاء آخر والعين لا تراه النظر الى رب العالمين وبعين في الدارين كرامة اجل
واكبر من ذلك […] ينظر […] مثل هذه الكرامة بعصيان و
[…] هذه الاصول الثلاثة اذا احسنت التامل فيها كفتك المؤنة
في هذا الفصل والله ولي التوفيق
الاذن […]
سمعك عن الغناء والفضول بعد ذلك لامرين احدهما ما روي ان المستمع شريك
القائل وفي خبر انه يقول نحن من الطرفين اوساطها و[…]
[…] عن كلام القبيح كصون اللسان عن النطق به فانك عند سماع
القبيح […] فاتقه والثاني ان ذلك يهيج الخواطر والوسواس
[…] الاشتغال بالدين فما يبقى العبادة […] ثم اعلم
[…] الذي يقع في قلب الانسان […] الطعام الذي يقع في
[…] النافع ومنه الضار ومنه الغذاء ومنه السم بل ان بقاء
الكلام […] اكثر وابلغ فان الطعام يزول عن المعدة بنوم وبعرق وربما
يبقى اثره […] بل اثره من نفس الانسان واما
الكلام الذي يقع في قلب الانسان فربما يبقى مدة جميع عمره لا يغيب فان
كان شيئا قبيحا فلا يزال يشغله ويفتنه ويورد بسببه خواطر في القلب
ووساوس […] ان يعرض عنها و[…] عن ذكرها […] نعوذ
بالله تعالى من شرها ولا بأس ان […] احوالا
[…] عظيمة بسبب ذلك ولو كنت حفظت سمعك عن ما لا يعنيك كنت عن هذا
المؤنة مستريحا فلينظر الانسان العاقل في ذلك وبالله التوفيق

اللسان ثم عليك بحفظ اللسان وضبطه وقيده فانه اشد الاعضاء
جماحا وطغيانا واكثرها فسادا وعدوانا ولقد روي ان سفيان بن عبد الله
انه قال قلت يا رسول الله ما اكثر ما تخاف علي فاخذ صلى الله عليه وسلم
بلسان نفسه ثم قال هذا وعن يونس بن عبيد قال اني وجدت نفسي تحمل
مؤنة الصوم في الحر الشديد بالبصرة ولا تحمل ترك كلمة لا تعنيها فعليك
اذا بالحفظ جدا وابذل المجهود وخذ اصول احدها ما روي عن ابي
سعيد الخدري ان ابن آدم اذا اصبح تكفر الاعضاء كلها اللسان
وتقول نشدتك الله لتستقيم فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت
اعوججنا […] والمعنى والله اعلم ان نطق اللسان يؤثر في اعضاء
الانسان بالتوفيق والخذلان ويؤكد هذا المعنى ما حكي عن مالك بن دينار
انه قال اذا رأيت قساوة في قلبك ووهنا في بدنك وحرمانا
في رزقك فاعلم انك تكلمت فيما لا يعنيك والاصل الثاني حفظ
وقتك فان اكثر ما يتكلم به الانسان من غير ذكر الله تعالى […] ولا يكون
لغوا […] الوقت […] وذكر ان حسان بن ابي سنان مر على غرفة […]
فقال منذ كم بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال يا نفسي المغرورة […]
عن ما لا يعنيك فعاقبها بصوم سنة قلت فطوبى للمجاهدين بانفسهم
ويا ويح للغافلين الذين خلعوا العذار وارخوا العنان والله المستعان
ولقد صدق القائل واحسن بقوله واذا احببت […] الخوض في الباطل
فاجعل مكانه تسبيحا واغتنم ركعتين في ظلمة الليل اذا كنت خاليا

وتكلم قال المولوي في
المثنوي […]
[…]
[…]

الاصل الثالث حفظ الاعمال الصالحة فان لم يصن لسانه واكثر مقالة يضيع لا محالة
في غيبة الناس ... من كثر كلامه كثر سقطه والغيبة هي الصاعقة المهلكة
للطاعات كما قيل ان مثل من يغتاب الناس مثل من نصب منجنيقا يرمي به
حسناته شرقا وغربا وبلغنا عن الحسن انه قيل له يا ابا سعيد ان فلانا
اغتابك فبعث اليه بطبق رطب وقال بلغني انك اهديت الي حسناتك
فاحببت ان اكافيك ويذكر في الغيبة عن ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا
لاغتبت امي لانها احق بحسناتي ويذكر انه فاتت حاتما الاصم ليلة القيام
فعيرته زوجته فقال ان قوما صلوا بالليل البارحة فلما اصبحوا نالوا مني
فيكون صلاتهم يوم القيامة في ميزاني الاصل الرابع السلامة من آفات
الدنيا ... قال ... لا تكلم بلسانك ما تكسر به اسنانك وقال اخر
لا تطلق لسانك يفسد عليك شانك وقال احفظ لسانك لا تقول فتبتلى
ان البلاء موكل بالنطق وقال ابن المبارك احفظ لسانك ان اللسان سريع الى
المرء في قتله وان اللسان دليل الفؤاد يدل الرجال على عقله وعن ابن
المطيع لسان المرء ليث في كمين اذا خلى عليه اغار فاحبسه عن الخنا
بلجام صمت يكون لك من بليات ستاره وفي المثل السائر رب كلمة
تقول لصاحبها دعني الاصل الخامس كفاية آفات الاخرة وعاقبتها وذكر فيه
نكتة واحدة وهي انك اما ان تقول حقا محظورا او شفاها او فضولا مباحا
من فضول لا يعنيك فان كان محظورا ففيه عذاب الله تعالى الذي لا طاقة
لك به ولقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال البلاء اسرع الى من يتطوف ...

فرايت

فرايت قوما يأكلون الجيف فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون
لحوم الناس ولقد قال حاتم لمعاذ اقطع لسانك عن ... العورات وطلب
العيوب ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار وعن علي ... ان
في الغيبة ... القلب عن الهدى ... العبد العصمة من ذلك بفضله هذا
في الكلام المحظور واما المباح ففيه اربعة امور احدها شغل الكرام الكاتبين
بما لا خير فيه ولا فائدة وحق المرء ان يستحيي منهما فلا يؤذيهما قال الله تعالى
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الثاني ارسال الكتاب الى الله تعالى من
اللغو والهذر فليحذر العبد من ذلك وليخش الله وذكر ان بعضهم نظر الى
رجل يتكلم في الخنا فقال يا هذا انما تملي كتابا الى ربك فانظر ما ذا تملي
الثالث قراءته يوم القيامة بين يدي الملك الجبار على رؤوس الاشهاد ثم
الشدائد والاهوال عطشان عريان جوعان منقطعا عن الجنة محبوسا
عن النعمة الرابع اللوم والتعيير لما ذا قلت وانقطاع الحجة والحياء من رب
العالمين ... والفضول فانه يكثر ... ويكفي بهذه الاصول
واعظا لمن اتعظ ولقد ... في كتاب اسرار معاملات الدين ما فيه مقنع
فانظره ... ان شاء الله تعالى القلب ثم عليك بحفظ
القلب بحسن النظر في ذلك وبذل المجهود فانه اعظم هذه الاعضاء خطرا
واكثرها اثرا وادقها امرا واشقها اصلاحا واذكر فيه خمسة اصول
مقنعة الاول قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله تعالى
يعلم ما في قلوبكم وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور ... ذكره وكرر ذكره في

القرآن ويكفي بذلك للعبد العليم الخبير تحذيرا وتنبيها للخواص من العباد لان
المقام ... النبي ... فانظر ماذا يعلم من قلبك والاصل الثاني
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم واعمالكم وانما ينظر الى
قلوبكم فالقلب اذا انه موضع نظر رب العزة فيا عجبا ممن يهتم بوجهه الذي هو منظر الخلق
فيغسله وينظفه من الاقذار والادناس ويزينه ولا يهتم بقلبه الذي هو مطلع رب العالمين على
دنس فيه وشين وآفة وعيب بل يهمله بفضائح واخباث ... ولو اطلع
عليها الخلق لهجروه وعلى واحد منها لتبرؤوا منه وطردوه والله المستعان والاصل
الثالث ان القلب ملك مطاع ورئيس متبع والاعضاء كلها تبع فاذا صلح المتبوع صلح
التبع واذا استقام الملك استقامت الرعية يبين ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب
واذا كان صلاح الكل في ذلك وجب صرف العناية اليه والاصل الرابع ان القلب خزانة
كل جوهر للعبد نفيس وكل معنى خطير اولها العقل واجلها معرفة الله التي هي
سبب سعادة الدارين ثم البصائر التي بها التقدم والوجاهة عند الله ثم النية الخالصة
في الطاعات التي بها يتعلق ثواب الابد ثم انواع العلوم والحكم التي هي
شرف العبد وسائر الاخلاق الشريفة والخصال التي بها تفاضل الرجال على ما فصلنا
وشرحنا في كتاب اسرار معاملات الدين فحقيق مثل هذه الخزانة ان يحفظ ويصان
عن الادناس والآفات ويحرس ويحرز من السراق والقطاع ويكرم ويجل بضروب
الكرامات لئلا يلحق تلك الجواهر العزيزة دنس ولا يظفر بها والعياذ بالله عدو
الاصل الخامس انك ان تأملت حاله ... احوال ... من اعضاء ابن ادم

احدها

احدها ان العدو قاصد اليه مقبل عليه ملازم له فان الشيطان جاثم على قلب ابن
ادم فهو موضع الالهام والوسوسة ... الملك والشيطان والثاني
ان الشغل له اكثر فان الهوى والعقل كلاهما فيه فهو معترك العسكرين الهوى وجنوده
فهو ابدا محل تجاذبهما ... وحقيق بالثغر ان يحرس ويحصن ويعتنى
والثالث ان العوارض له اكثر فان الخواطر له كالسهام لا تزال تقع فيه وكالمطر لا تزال
يمطر عليه ليلا ونهارا لا ينقطع ولا انت تقدر على منعها فتمتنع وليس هي بمنزلة العين
التي هي بين جفنين تغمض فتستريح او يكون في موضع خال او ليل مظلم فيكفي رؤيتها
واللسان الذي هو وراء الحجابين الاسنان والشفتين وانت قادر على منعه وتحكمه
بل القلب غرض للخواطر لا تقدر على منعها والتحفظ منها بحال ولا تكاد تنقطع عنك
بوقت ثم النفس مبادرة الى اتباعها والامتناع عن ذلك بجهد الطاقة امر شديد
ومحنة عظيمة والرابع ان علاجه عليك عسير اذ هو غيب عنك فلا تكاد ...
فيه آفة وتعرض له حاجة ويحتاج ان تبحث عن ذلك ثم البحث بطول الجهد ودقة
النظر وكثرة الرياضة الخامس ان الآفات اليه سريع فهو في الانقلاب ... فلقد
قيل ان القلب اسرع انقلابا من القدر في غليانها ولذلك ...
من تقلبه الرياح ... ثم ان زلة القلب والعياذ بالله هو اكبر
اعظم ووقوعه اصعب قطع ادناه ميل الى غير الله سبحانه وتعالى واقصاها الكفر بالله
اما تسمع قوله تعالى ابى واستكبر كان الكبر بقلبه فحمله على الاباء والكفر ...
اما تسمع قوله تعالى ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه كان الميل واتباع الهوى
بقلبه فحمله على ذلك الذنب المشوم سببه اما تسمع قوله تعالى ونقلب افئدتهم و

وابصارهم في الدنيا وابدانهم وبذرهم ونطعنا انهم يعمهون ولهذا المعنى امرها الرجل
خاف عباد الله الخواص على قلوبهم وبكوا عليها وحزنوا عنا بتهم اليها قال الله سبحانه
وصفهم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار جعلنا الله واياكم من المعتبرين
بالعبر المهتمين بمواضع الخطر الموفقين لاصلاح قلوبهم بحسن النظر انه ارحم الراحمين فان
قيل ان امر هذا القلب مهم جدا فاخبرنا عن المعاني التي تصلحه وتنفعه من الافات
التي تفسده فنستعين بالله على ذلك ونوفق للاجتهاد في العمل بذلك قال الراعي اعلم ان تفصيل
هذه المعاني الطويل لا يحتمله هذا الكتاب في انما عليها الاخرة عنوا باخراج ذلك
وتصنيفه في هذه النكتة لا عزو وقد ذكروا انما يحتاج اليه من ذلك سبعين خصلة
محمودة في اضدادها المذمومة من الافعال والمساعي الواجبة والمحظورة ونحو
ذلك في سائر تفاصيلها ولعمري ان من احمد امور دينه وانتبه عن رقدة
الغافلين نشط لنفسه الى ان يكون محصل جميع ذلك والعمل به كثيرا اذا وفقه الله تعالى
وقد ذكرنا بقية منها في شرح عجائب القلب من كتاب احياء علوم الدين و
اتينا على شرح عجائبها جميعها بتفصيلها وكيفية علاجها في كتاب اسرار معاملات
وهو كتاب مستقل بنفسه عظيم الفائدة ولا ينتفع به الا فحول العلماء والمحققين
في علم الاخرة وموضوع هذا الكتاب ان ينتفع به المبتدي والقوي والضعيف
فنظرنا في الاصول التي لا بد من ذكره في علاج القلب والحاجة اليها ماسة
ولا غنية عنها البتة في شان العبادات فوجدناها اربعة امور هي من اهم
العاملين وافات المجتهدين وهي فتن القلوب في طلبات النفوس وفتن
وفتنين ونتعرو ونتلف واربعة في مقابلتها فيها قوام العبادة انتظام الامور

وصلال

وصلال القلوب في الافات الاربع الامل والاستعجال والحسد والكبر والمناقب الاربع
ضد الامل والثاني في الامر والنصيحة للخلق والتواضع والخشوع فهذه هي الاصول
في صلاح القلب وفساده والنكت التي عليها المدار فلتبدأ بالجهود في التحرز
عن هذه الافات والتحصيل لهذه المناقب لتكون المؤن وتظفر بالمقصود
انشاء الله تعالى ويستحرز عن هذه الافات بكل الات وجز مفتقد اما طول
الامل فانه اعاقبوا عن كل خير وطاعة الجالب لكل شر وفتنة فانه الداء العضال
الذي يوقع الخلق في انواع البليات واعلم انه اذا طال املك هاج لك
منه اربعة اشياء احدها ترك الطاعة والكسل فيها تقول سوف افعل
والايام بين يدي ولا يفوتني ذلك ولقد صدق داود الطائي حيث يقول
من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن طال امله ساء عمله وقال يحيى بن معاذ
الرازي الامل قاطع من كل خير والطمع مانع من كل حق والصبر صابر الى كل خلص
والنفس داعية الى كل شر والثاني ترك التوبة وتسويفها تقول سوف اتوب
في الايام سعة وانا شاب التوبة بين يدي وانا قادر عليها
متى اردتها وربما اغتاله الحمام على الاصرار واختطفه الاجل قبل اصلاح
العمل والثالث الحرص على جمع الاشتغال بالدنيا عن الاخرة تقول اخاف
الفقر في الكبر ربما اضعف عن الاكتساب ولا بد من شيء فاضل اوجه لمرض
او هموم او فقر وسيئ قليل هذا ونحوه يحركك الى الرغبة في الدنيا والحرص عليها
والاهتمام للرزق تقول اي شي اكل واي شي البس وهذا الصيف الى شيء
لعل العمر طويل فاحتاج والحاجة مع الشيب فضيحة ولا بد من قوت وغنية

سمعت قال عيسى بن مريم الدنيا ثلاثة ايام امس مضى ما بيدك منه شيء وغدا
لا تدري اتدركه ام لا ويوم انت فيه فاغتنم ثم قال الحسن رحمه الله الدنيا ثلث ساعات
ساعة انت فيها وساعة لا تدري اتدركها ام لا فليست تملك بالحقيقة الا
ساعة واحدة اذ الموت من ساعة الى ساعة ثم قال شقيق زاهد رحمه الله الدنيا
ثلث انفاس نفس مضى عملت فيه ما عملت ونفس لا تدري اتدركه ام لا اذ كم
من متنفس نفسا واحدا ففاجاه الموت قبل الاخر فليس تملك الا نفسا واحدا
الا يوما ولا ساعة فبادر في هذا النفس الواحد الى طاعة الله تعالى قبل ان
يفوت والى التوبة فلعلك في النفس الثاني تموت ولا تهتم بالنفس والرزق
فلعلك لا تبقين تحتاج اليه فتكون قد ضيعتها والهم فضلا وما عسى ان
يهتم الانسان بالرزق ليوم واحد او ساعة واحدة او نفس واحد اما
تذكرن ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لاسامة رحمه الله اما تعجبون من اسامة المشتري الى الوليد
الى شهر ان اسامة لطويل الامل والله ما وضعت قدما فظننت اني
ارفعها ولا لقمة فظننت اني اسيغها حتى يدركني الموت والذي نفسي
بيده ان ما توعدون لات وما انتم بمعجزين فاذا انت ايها الرجل تذكرت
هذه الاذكار وواظبت على تلك الاعادة والتكرار تقصر املك باذن الله
تعالى فترى نفسك تبادر الى الطاعات وتعجل توبتك وتنقطع عنك همة
وتزهد في الدنيا وطلبها فيخفف حسابك ويقنعك ويقنع قليل في تذكره
الاخرة واهوالها وما هو الانس الى نفس تصير اليها وتغابنها واحدا
واحدا فرقوا عنك الشوق وتبدي تلك الرافة والصفوة وتستشعر عنده

عن الناس هذه واشباهها محركات الى طلب الدنيا والرغبة فيها والجمع لها والمنع لما عندك
منها والرابع القسوة والنسيان للاخرة فانك اذا تقول تعيش طويلا لا تذكر الموت
والقبر بل تامن فوات ولا طالبا بل على ما روي عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال
قتلني هم يوم لم ادركه قيل له كيف ذلك يا ابا ذر قال ان املي جاوز اجلي فاذا كان
القسوة في القلب والغفلة عن الاخرة لانك اذا تاملت العيش الطويل لا تذكر
الموت والقبر كما قال علي بن ابي طالب عليه السلام اخوف ما اخاف عليكم اثنان طول
الامل واتباع الهوى الا وان طول الامل ينسي الاخرة واتباع الهوى
يصدك عن الحق فاذا يصير فكرك ومعظم قلبك في تحصيلات الدنيا واسباب
العيش في صحبة الخلق ويجود للقسوة القلب فانما رقة القلب وصفوته
بذكر الموت والقبر والثواب والعقاب واحوال الاخرة واذا لم يكن شيء
من ذلك فانى يكون لقلبك رقة وصفوة قال الله تعالى فطال عليهم الامد
فقست قلوبهم ولانك اذا طولت املك قلت طاعتك وتاخرت توبتك
وكثرت معصيتك واشتد حرصك وقسا قلبك وعظمت غفلتك عن
العاقبة فذهبت العبادة بالله ان لم يرحم الله تعالى اخرتك فاي حال
اسود من هذا واي افة اعظم من هذا وكل هذا بسبب طول الامل فاما اذا
قصرت املك وقربت من نفسك موتك وتذكرت حال اقرانك واخوانك
الذين فاجاهم الموت في وقت لم يحتسبوا ولعل حالك مثل حالهم فاحذر
بانفسك الغرور واذكر ما قال عون بن عبد الله رحمهم الله كم من مستقبل يوما
لا يكمله ومنتظر غدا لا يبلغه لو رايتم الاجل ومسيره لا بغضتم الامل وغروره اما

سمعت

ذلك الحزن من الله والخشية منه شغلك امر عبادتك ويقوى الرجاء ان يقعدك عن عاقبتك فتظفر بالمراد في الاخرة وكل ذلك بعد فضل الله تعالى بسبب هذه الخصلة التي هي قصر الامل ولقد حكي ان زرارة بن ابي اوفى قيل له في النوم بعد موته اي الاعمال ابلغ فيما عندكم قال الرضا وقصر الامل فانظر لنفسك ايها الاخ وابذل المجهود في هذا الاصل الكبير فانه الاهم والاعظم في صلاح القلب والنفس والله ولي المؤمنين واما الحسد فانه المفسد للطاعات الباعث على الخطيئات وانه الداء الذي ابتلي به الكثير من القراء والعلماء فضلا عن العامة الجهلاء حتى اهلكهم الله واوردهم النار اما تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار بستة العرب بالعصبية والامراء بالجور والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرساتيق بالجهل والعلماء بالحسد وان بلية بلغ شومها ان اوردت العلماء النار لحقيق ان يحذر منها والحسد يجمع خصالا اشياء احدها افساد الطاعات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والثاني فعل المعاصي والشرور على ما قال وهب الحاسد تلك علامات يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة قلت وحسبك ان الله امر بالاستعاذة من شر الحاسد فقال ومن شر حاسد اذا حسد كما امر بالاستعاذة من شر الشيطان فانظر كم ليس في الشر والفساد حتى ان لم يرض له السيطان والساحر حتى لا استعاذ عليه ولا استعاذة الا بالله رب العالمين والثالث التعب والغم من غير فائدة بل مع كل وزر ومعصية كما قال ابن السماك رحمه الله ما رايت ظالما اشبه بالمظلوم من الحاسد نفس دائم وعقل هائم وغم لازم واكثر ما يعمي القلب حتى لا يكاد يفهم كما

من

من احكام الله تعالى ولقد قال سفيان الثوري رحمه الله عليك بطول الصمت تملك الورع ولا تكن حريصا على الدنيا تكن حافظا ولا تكن طعانا تنج من السن الناس ولا تكن حاسدا تسرع الفهم الخامس الحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراد وينصر على عدو كما قال حاتم الاصم الطعين غير ذي دين والعائب غير عابد والنمام غير مامون والحسود غير منصور قلت الحسود كيف يظفر بمراد ومراده زوال نعم الله على عباده المسلمين وكيف ينصر على اعدائه وهم عباد الله المؤمنون ولقد احسن ابو يعقوب فيما قال اللهم صرنا على تمام النعم على عبادك وحسن احوالهم وان يسهل عليك الطاعة ويكثر شرك ومصيبتك ويعظك ويحب النفس نور القلب وصفاه والنصر على الاعداء والظفر بالمطلوب فاي داء يكون ادوى منه وعليك بمجاهدة نفسك من ذلك والله ولي المؤمنين واما الاستعجال والتركي فانه الخصلة المفوتة للمقاصد الموقعة في المعاصي وان منها اسنى وافات اربع احدها ان يفصل العابد من المرتقى الجزوا الاستقامة ربما يستعجل في سلوكها ولعسر لك يوقفها فاما ان يقعد ويقف ويترك الاجتهاد فيحرم تلك المنزلة واما ان يعلوا في الجهد واتعاب النفس فينقطع من تلك المنزلة فهو افراط وتفريط وكلاهما ينتج الاستعجال ولعلنا رويناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان دينا هذا متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وفي المثل السائر وان لم يستعجل يصل وبعضهم قد يبعد بذلك عن حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل والثانية ان يكون للعابد مدعوا الله تعالى فيها ويكثر الدعاء فيحرم ربما يستعجل الاجابة فيعجز فيها

فلا يجد شيئا فيفتر ويسام ويترك الدعاء فيحرم حاجته ومقصوده والثالثة ان يظلمه انسان فيغضب فيستعجل بالدعاء عليه فيهلك مسلم بسببه فيجاوز الحد فيقع في معصية وهذا قال الله تعالى ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا والرابعة ان العبادة وملاكها الورع والورع اصله النظر البالغ في كل شيء والبحث التام عن كل شيء هو بصدد من اكل وشرب ولبس وفعل فاذا كان الرجل يستعجل في الامور عن رشاد ولا يتثبت فيها ويتبين لم يقع منه توقف ونظر في الامور ويبادر في تسارع الى كل كلام يقع في الزلل والى كل طعام يقع في الحرام والشبهة وكذلك في كل امر فيفوته الورع واي خير في عبادة بلا ورع واذا كان في خصلة الانقطاع عن منازل الخير وحرمان الطاعات وهلاك المهلك وهلاكه يتخطى الورع الذي هو راس المال فحق الانسان ان يهتم لها بالاناة ويحمل النفس بعدها والله تعالى الموفق بفضله ومنه واما الكبر فانه الخصلة المهلكة واسا اما تسمع قوله تعالى ابى واستكبر وكان من الكافرين وليتحقق هذه الخصلة بمثل الخصال التي تقدح في عمل انها تنظر في الاصل وتقدح في الذات والاعتقاد فاذا قويت وغلبت لا يتدارك والعياذ بالله ثم قل ما يوجبها على صاحبها اربع افات احدها حرمان الحق عمي القلب عن معرفة ايات الله واحكامه قال الله سبحانه سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار والثانية المقت والبغض من الله سبحانه وتعالى قال سبحانه انه لا يحب المستكبرين وروي ان موسى عليه السلام قال يا رب من ابغض خلقك اليك قال من تكبر قلبه وغلظ لسانه وصفق

عينه

عينه وبخل يده وساء خلقه والثالثة الخزي والنكال في الدنيا والاخرة قال حاتم احذر الموت على الكبر والحرص والخيلاء فان المتكبر لا يخرجه الله من الدنيا حتى يريه الهوان من ارذل اهله وخدامه والحريص لا يخرجه الله سبحانه حتى يحوجه الى كسرة او شربة ولا يجد مساغا والمختال لا يخرجه من الدنيا حتى يمرغه ببوله وقذره وقيل من تكبر يعرض او ويرثه الله ذلا والرابعة النار والعذاب في العقبى على ما روي ان الله سبحانه يقول الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما ادخلته نار جهنم والمعنى ان العظمة والكبرياء من الصفات التي تختص بي ولا ينبغي لاحد غيري كما ان رداء الانسان وازاره يختص به ولا ينبغي لاحد ان يشاركه فيه وان خصلة تفوتك معرفة الحق وفهم ايات الله واحكامه التي هو اصل كل دين ثم تثمر لك المقت من الله سبحانه والخزي في الدنيا والنار في الاخرة لا يسع العاقل ان يغفل عن ذلك في نفسه ولا يصلح بازاء تلك الخصال الجد والتحري والاستعانة بالله من ذلك وهو جل وعز ولي العصمة بمنه وجوده بعض ما حضرنا في هذه الخصال الاربع من الافات وحسب العاقل واحدة منها فضلا عن الكل اذا اهمه امر قلبه وحاله على امر دينه والله الموفق فان قلت فاذا كان الامر بهذه المنزلة من افات هذه الخصال فيلزم التحفظ منها فلا بد من معرفة حقيقتها وحدودها فبين لنا ذلك لنعرف كيف الطريق الى التحفظ منها اعلم ان في كل واحد منها كلاما كثيرا وقد استقصينا القول فيه في كتابي الاحياء والاسرار وبعض ما ذكرناه لا بد من ذكره ولا يقع المخرج

هناو

عنه فتقول [illegible] التوفيق فهذا الامل ثم اعلم انا انما نريد بالحياة للوقت
و[illegible] بان يشتغل بالاستغناء عنه واحد
عن حاصل [illegible] كما وشرط الصلاح في الارادة فاذا ان تكون حياتك
[illegible] بعد نفس الى او ساعة تامة او يوم ثان بالحكم والقطع فانت
آمل [illegible] فذلك منك معصية اذ هو حكم على الغيب فان قيده بالمشية والعلم من
الله فتقول اعيش ان شاء الله وان علم الله اني اعيش فقد خرجت عن حكم الامل
كذلك [illegible] وشرط الصلاح فخرجت عن حكم الامل ووصف بعض الامل من حيث ترك الحكم منه فعليك
[illegible] الحكم في ذكر البقاء وارادته والمراد بالذكر ذكر القلب ثم المراد منه التوطين
[illegible] وتثبيت القلب فافهم واسترا ان شاء الله تعالى ثم الامل بان امل العامة
وامل الخاصة فامل العامة ان يريد الحياة والبقاء لجمع الدنيا والتمتع بها
وهذه معصية محضة وضدها قصر الامل لحال الله سبحانه وتلبيهم الامل فوت
يسلمون [illegible] امل الخاصة ان يريد البقاء لاتمام عمل خير فيه مضطر وهو مالا يبقى
السلاح الا فيه فانه ربما يكون خيرا وهين لا يكون فيه لعيب فيه او في اتمامه صلاح
بان يقع بسببه في عجب او انه لا يقوم بها هذا الخير فاذا ابقى العبد ابتداء في
صلوة او صوم او غزو ان حكم بانه يتمه اذ هو غيب ولا ان يقصده لا قطعا
لانه ربما لا يكون له فيه صلاح ثم يقيد ذلك بالاستغناء او بشرط الصلاح
لتخلص من عيب الامل لحال الله سبحانه وتقدس لقيده ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك
غدا الا ان يشاء الله وضد هذا الامل فيما قال علمائنا النية والنا قالوا

ذلك على وجه الاشياع لان الناوي بالنية المحمودة يكون مستغرقا بالكل
فهذا حكم الامل في النية المحمودة اذا قد مضت الحاجة اليه [illegible] فيها ما عنها
في الاصل الاصيل فالواو في حقها الثاني الجامع ان النية [illegible] المحمودة ارادة
احسن عمل مبتدا بقبل انا الاعمال بالحكم مع ارادة ناصة اتمامه بالتفويض
والاستغناء فان قبل فلم جاز الحكم في الابتداء ووجب التفويض والاستغناء في
الاتمام قيل لان الخطر اذ هو في حال الابتداء الحبس شي صراح عنك وثبوت
الخطر في الاتمام قيل لان الخطر في الاتمام اذ هو في حال الابتداء الحبس شي
صراح عنك والثبوت الخطر في الاتمام اذ هو يقع في غيبة صراح نفيه الخطر
انه خطر الوصول لاقتداء هل يصل الحي للاتمام لا وخطر الفناء لانه لا يدري في ذلك هل هو
صلاح ام لا فاذا وجب الاستغناء لخطر الوصول والتفويض لخطر الفناء [illegible]
حصلت الارادة هل هذه الشروط تكون نية محمودة مخرجة عن حد الامل
انه نفسا [illegible] هذه وعلم ان حصول قصر الامل ذكر الموت وحسن
حصته ذكر مجاوة الموت واخذه على غفلة وغرة وهو في غرور وقد دفعا حفظ
هذه الجملة وتحصيلها موفقا ان الحاجة اليها ثابتة ودع عنك تضييع الوقت الشغل
والقال وملاقاة الرجال والله الموفق بفضله واما الحسد فهو ارادة زوال
نعم الله تعالى على اخيه المسلم مما له فيه صلاح فان لم يرد زوالها عنه ولكن يريد لنفسك
مثلها فهو غبطة وعلى هذا وعلى مجلل في الحسد الا في اثنين الخبر لا غبطة الا في
ذلك تعبر عن غبطة بالحسد لاشاعه المقاربة بينهما فان لم يكن له فيها صلاح واردت
زوالها عنه فذلك عرج فهذا الفرق بين هذه الخصال واما ضد الحسد فهو

النصيحة وهي ارادة [illegible] ارادة بقاء نعمة اخيه المسلم مما له فيه صلاح فان قيل
كيف [illegible] صلاح او فساد لتحسده او تنصحه فاعلم انه يكون لنا
غالب الظن [illegible] الظن مما يجري مجرى العلم في هذه المواضع ثم ان
اشتبه عليك فلا تريد زوال نعمة احد من المسلمين ولا بقاءها الا مقيدا بالتفويض
من [illegible] الصلاح لتخلص من حكم الحسد ويحصل لك فائدة النصيحة واما حصن
النصيحة المانع عن الحسد [illegible] ذكرها اوصى الله الى عن موالاة المسلمين و
حسن هذا الحصن ذكر ما عظم الله تعالى من حق المؤمن ورفع من قدره ومالكه عنده من
الكرامة العظيمة في العقبى وما لك فيه من الفوائد الجليلة في الدنيا من النعاود
والتظاهر والجماعات ثم ما يرجى من شفاعته في الاخرة فهذه ونحوها مما يبعث
على تحقيق كرامة المسلم ويجتنب النفس حتى تعيذ اعطاه الله تعالى والله ولي التوفيق
واما العجلة فانها المعنى الراتب في القلب الباعث على الاقدام على الامر بادنى خاطر
دون التوقف فيه والاطلاع عليه والاستطلاع منه والاستعجال الاسراع والعمل به
حذر الافات وهو المعنى الراتب في القلب الباعث على الاحتياط في الامور والنظر
فيها والتاني في اتباعها والتماديها واما التوقف فضد التصف فان تحتنا
الفرق بين التوقف والتاني ان التوقف قبل الدخول في الامر حتى يستبين له
رشده والتاني بعد الدخول فيه حتى يؤدي لكل جزء منه حقه ثم معلوماتك الافات
ذكر وجوه الخطر في الامور التي لعرضها للاقدام وحروبها فان المخوفة منها
وذكر فائدة النظر والتبيين السلامة وما في التعسف والاستعجال من الندامة
والملامة وهذه واشباهها مما يبعث على التاني والتوقف في الامور ويمنع من

الاستعجال والتعسف والله ولي العصمة برحمته واما الكبر فاعلم انه خاطر في رفع
النفس واستحقارها رضا والتواضع اتباعه ولكل واحد منهما حالتان ضحى خاطر التواضع
العادي هو الاكتفاء بالدون من الملبس والمسكن وترك حب التكبر في مثل ذلك
عن ذلك والتواضع الخاص هو توطين النفس على قبول الحق ممن كان وضيعا او شريفا
والتكبر في مثل ذلك الرفع من ذلك وهو معصية وخطيئة عظيمة ثم حصن التواضع
العادي ان تذكر مبدأك ومنتهاك وما انت عليه في الحال ومرجع الكافات والاذاء
كما قال بعضهم اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك
حامل عذرة وحصن التواضع الخاص هو ذكر عقوبة العادل عن الحق المتمادي
في الباطل فهذه جملة كافية لمن استبصر والله الموفق برحمته واما البطن
حفظه ثم عليك بحفظ البطن واصلاحه فانه اشق الاعضاء اصلاحا على الجملة
واكبرها مؤنة وشغلا واعظمها ضررا واثرا الاثر المنبع والمعين ومنه تهيج الامور
في الاعضاء من قوة وضعف وعفة وجراح ونحوه فعليك اذا بحيث انه عن
الحرام اولا والشبهة ثم من فضول الحلال ثانيا ان كانت لك همة في عبادة الله
سبحانه اما الحرام والشبهة فانما يلزمك البحث عنها لثلاثة امور اولها حذرا
من نار جهنم قال الله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في
بطونهم نارا وسيصلون سعيرا قال النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به والثاني
ان اكل الحرام والشبهة مطرود لا يوفق للعبادة اذ لا يصلح لخدمة الله تعالى الا كل
طاهر قلت انا العبد لله قد منع الجنب عن الدخول في بيته والمحدث عن مس كتابه
قال عز من قائل ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وقال تعالى لا يمسه الا المطهرون

مع ان الجنابة والحدث امر مباح فكيف بمن هو منغمس في نجاسة الحرام وخباثة السحت و
الشبهة وهو يدعي الى حضرة الله العزيز ذكره الشريف قدسه سبحانه كلا والله لا يكون
ذلك ابدا وقال يحيى بن معاذ الرازي الطاعة مخزونة في خزائن الله ومفاتيحها
الدعاء واسنانها الحلال فاذا لم يكن للمفتاح اسنان فلا ينفتح الباب واذا
لم ينفتح باب الخزانة كيف يصل الى ما فيها من الطاعة والثالث ان آكل الحرام و
الشبهة محروم ان اتفق له فعل خير فهو مردود عليه غير مقبول منه فانه لا يكون
له من ذلك الا العناء والكد وشغل الوقت فالصوم كم من قائم الليل ليس له من قيامه الا
السهر وكم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والظماء وعن ابن عباس رضي الله عنه
لا يقبل الله صلوة امرئ في جوفه حرام فهذه هذه واما فضول الحلال فانه افة
للعبادة وبلية لاهل الاجتهاد واني تاملت فوجدت فيه عشر افات هي اصول
هذا الشان الاولى ان في كثرة الاكل قسوة القلب وذهاب نوره روي عن النبي صلعم
انه قال لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع اذا
كثر عليه الماء ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بان المعدة كالقدر تغلي تحت
القلب والبخار يرتفع اليه فكثرة البخار تكدره وتسخمه الثانية ان في كثرة
الاكل فتنة الاعضاء وهيجانها وانبعاثها للفضول في الفساد وان الرجل
اذا كان شبعان حنت عينه الى النظر الى ما لا يعنيه من حرام او فضول
والاذن الى الاستماع اليه واللسان الى التكلم والفرج الى الشهوة والرجل الى المشي اليه وان
كان جائعا فتكون الاعضاء كلها ساكنة هادية لا تطمح الى شيء من هذا ولا
تنشط له ولقد قال الاستاذ ابو جعفر ان البطن عضو ان جاع شبع سائر الاعضاء

وجملة

وجملة الامر ان افعال الرجل واقواله على حسب طعامه فمن شاء ان دخل الحرام خرج الحرام
وان دخل الفضول خرج الفضول كان الطعام بذر الافعال والافعال تنبت
منه والثالثة ان في كثرة الاكل قلة الفهم والعلم فان البطنة تذهب الفطنة ولقد
صدق الشاعر اذ قال اذا رمت حاجة من حوائج الدنيا والاخرة فلا تاكل حتى
تقضيها فان الاكل يغير العقل وهذا علم ظاهر عليه من اختبره الرابعة ان في
كثرة الاكل قلة العبادة فاذا اكثر الاكل ثقل بدنه وغلبت عيناه وفترت اعضاؤه
فلا يجيء منه شيء وان اجتهد الا النوم كالجيفة الملقاة ولقد قيل اذا كنت بطينا
فعد نفسك زمنا ولقد ذكر عن يحيى صلوات الله عليه ان ابليس بدا له وعليه معاليق
فقال له يحيى ما هذه قال الشهوات التي اصيب بها بني ادم فقال هل لي فيها شيء
قال لا انك شبعت ذات ليلة فشغلناك عن الصلوة فقال يحيى لا جرم اني لا اشبع
بعدها ابدا فقال ابليس لا جرم اني لا انصح احدا ابدا فهذه فيمن لا يشبع في عمره
الا ليلة واحدة فكيف بمن لا يجوع في عمره ليلة ثم يطمع في العبادة وقال بعضهم
العبادة حرفة وحانوتها الخلوة والاتها المجاعة الخامسة ان في كثرة الاكل
فقد حلاوة العبادة قال ابو بكر رضي الله عنه ما شبعت منذ اسلمت لاجد حلاوة عبادة
ربي ولا رويت منذ اسلمت شوقا الى لقاء ربي وهذه صفات المكاشفين وكان
مكاشفا والى ذلك اشار النبي صلعم ما فضلكم ابو بكر بفضل صوم ولا صلوة وانما هو بشيء
وقر في صدره وقال الداراني احلى ما تكون العبادة الي اذا الزق ظهري ببطني
السادسة ان فيه خطر الوقوع في الشبهة والحرام لان الحلال لا ياتيك الا قوتا
ولقد روينا عن النبي صلعم ان الحلال لا ياتيك الا قوتا والحرام ياتيك جزافا جزافا

السابعة ان فيه شغل القلب بتحصيله اولا وتهيئته ثانيا ثم بالخلاء ثالثا ثم بالفراغ عنه
والتخلص من افاته بالسلامة منه خامسا ان يبيت منه فذي السقم من الافات و
العلل ولقد قال النبي صلعم اصل كل داء البردة يعني التخمة واصل كل دواء الازم يعني الجوع
والحمية وعن مالك بن دينار انه كان يقول يا اخوتاه لقد اختلفنا الى الخلا حتى
استحيينا فهذه الجملة طلب الدنيا والطمع الى الناس وتضيع الوقت بسبب
كثرة الاكل الثامنة ما يناله من امور الاخرة وشدة سكرات الموت وروي في
الاخبار ان شدة سكرات الموت على قدر لذات الحيوة فمن هذه اكثر له من ذلك
التاسعة نقصان الثواب في العقبى قال الله تعالى اذهبتم طيباتكم في حيوتكم
الدنيا الاية فانه بقدر ما تاخذ من لذات الدنيا ينقص لك من لذات الاخرة وبهذا
المعنى ان الله تعالى عرض على نبينا الدنيا وقال له ولا ينقص من اخرتك شيئا
خصه بذلك وذلك لعزها النقصان الا ان يتفضل الله عليه بذلك فلولا ان
لعزم النقصان الا ان يتفضل الله عليه بذلك ولقد روي ان خالد بن الوليد ضيف
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهيأ له طعاما فقال عمر هذا لنا فما لفقراء المهاجرين الذين
قتلوا لم يشبعوا من خبز شعير فقال خالد لهم الجنة يا امير المؤمنين فقال عمر لئن كانوا بالجنة
وكان هذا حظنا من الدنيا فقد باينونا بونا بعيدا وروي ان عمر عطش يوما فدعا بماء
فاعطاه رجل اداوة فيها ماء فشرب منها شربات فلما ذاقها وجد الماء باردا
حلوا فاستعاذ وقال الاوه فقال له الرجل والله ما ارى به يا امير المؤمنين حلاوة فقال
عمر ذلك سمعي وعمل لولا الاخرة لشاركناكم في عيشكم العاشرة الحبس والحساب
واللوم والتعيير في ترك الادب في احتساب الفضول وطلب الشهوات فان الدنيا حلالها

حساب

حساب وحرامها عقاب ذنبها الى عتاب فهذه جملة العشرة وفي احدها كفاية
لمن نظر في نفسه فعليك ايها المجتهد بالاحتياط البليغ في القوة كي لا تقع في
الحرام والشبهة فتبلو من العذاب ثم بالاقتصاد في الحلال على ما يكون عونا على
العبادة لله تعالى لئلا تقع في شر وشيء في الحبس والحساب والله ولي التوفيق فان قلت
فبين لي احكام الشبهة والحرام فاقول ولعمر الله ولقد استقصيناه في اسرار معاملات
الدين وذكرنا له كتابا مفردا من كتب الاحياء لكنا نشير الى كلمات معدودة بحيث يصل
الى فهم الضعيف المبتدي اذ مقصود هذا الكتاب ان ينتفع به المبتدي في العبادة
ويعين الطالب قال بعض العلماء ما تيقنت كونه ملكا للغير منهيا عنه في الشرع فهو
حرام محض واما اذا لم يكن لك يقين بذلك لكن يغلب على الظن انه كذلك فهو شبهة
وقال الاخرون الحرام المحض ما يكون بعلم او غالب ظن لان غلبة الظن مما يجري
مجرى العلم في كثير من الاحكام فاما اذا تساوت الامارات حتى شككت لا يكون لاحدها
ترجيح عندك فذلك شبهة تشبه الحلال وتشبه الحرام فاشتبه امره
عليك فالشرع الزمك الامتناع عن الذي هو حرام محض واوجب عن الذي
هو شبهة تقوى وورع هذا اوله القولين عندنا فان قلت فما تقول في تناول
جوائز السلاطين في هذا الزمان فاعلم ان العلماء اختلفوا فيه فقال قوم
كل ما لا يتيقن انه حرام فله اخذه وقال الاخرون الاولى ان لا ياخذ ما لا يتيقن
انه حلال لان الاغلب في هذا العصر على اموال السلاطين الحرام والحلال في
ايديهم معدوم وعزيز وقال اخرون ان صلات السلاطين تحل للغني والفقير
اذا لم يتحقق انها حرام وانما التبعة على المعطي لان النبي صلعم قبل هدية المقوقس

ملك الاسكندرية واستقرض من اليهود مع قوله تعالى اكالون للسحت فما لوا وقد ادرك
جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ايام الظلمة واخذوا منهم منهم ابو هريرة وابن عباس وابن
عمر رضي الله عنهم وقال اخرون لا يحل اخذ اموالهم بشيء لغني ولا فقير اذ هم موصوفون بالظلم
الغالب من حالهم السحت والحرام والحكم للغالب فيلزم الاجتناب وقال اخرون ما لا يعلم
انه حرام فهو حلال للفقير دون الغني الا ان يعلم الفقير انه عين الغصب فليس له
الا برده على مالكه ولا حرج على الفقير ان ياخذ من مال السلطان لانه ان كان من مال
السلطان فاعطى الفقير فله اخذه بلا ريب فان كان من فيء او خراج او عشر فللفقير فيه حق
وكذلك لاهل العلم قال علي بن ابي طالب صلوات الله وسلامه عليه من دخل الاسلام طائعا وقرا
القرآن ظاهرا فله في بيت المال كل سنة مائتا درهم وروي مائتا دينار ان لم ياخذها
في الدنيا اخذها في الاخرة واذا كان كذلك فالفقير والعالم ياخذ من حقه قالوا واذا
كان المال مختلطا بالمغصوب لا يمكن تمييزه او غصبا لا يمكن رده على مالكه وورثته
فلا يخلو السلطان منه الا ان يتصدق به وما كان الله ليامره بالصدقة على الفقير وينهى الفقير
عن قبوله او باذن الفقير بالقبول وهو عليه حرام فاذا للفقير ان ياخذ الا عين الغصب
الحرام فليس له اخذه وهذه المسائل لا يمكن القول فيها الا ببسط وتشقيق واستيفاء
القول يخرج عن المقصود من الكتاب فان اردت معرفتها فطالع كتاب الحلال والحرام
من كتب احياء علوم الدين تجده مشروحا مبينا فيه انشاء الله تعالى فان قيل فما تقول
في صلات اهل السوق وغيرهم هل يلزمهم ردها والبحث عنها وان قصد علينا ذلك
فلا ننظر في معاملاتهم وكذلك صلات الاخوان فالجواب انه اذا كان ظاهر الانسان
الصلاح والستر فلا حرج عليك في قبول صلته وصدقته ولا يلزمك البحث بان تقول

قد قيل

قد قيل الزمان فان هذا الظن بعينه الله الرجل المسلم وحسن الظن بالمسلمين مامور به
ثم اعلم ما هو الاصل في هذا الباب وهو ان ههنا شيئين احدهما حكم الشرع والثاني
والثاني حكم الورع وحد حكم الشرع ان تاخذ ما اتاك من ظاهره صلاح ولا تسال
الا ان تستيقن انه غصب او حرام بعينه وحكم الورع ان لا تاخذ شيئا من احد حتى تبحث
غاية البحث وتستقصي غاية الاستقصاء فتستيقن انه لا شبهة فيه بحال والا فترده
ولقد روينا عن ابي بكر ان غلاما له اتاه بلبن فشربه فقال الغلام انا كنا اذا اخذت
تسالني عن هذا اللبن قال وما قصته قال رقيت يوما في الجاهلية فاعطوني
هذا فقيا ابو بكر فقال اللهم ما ... وما اخذ ... فما بقي في العروق
فانت حسيبه فهذا يدل على وجوب البحث عما تقدم عليه ان كان ذلك تطوعا في الورع وحفظ
فهذه هذه فان قلت فكان الورع يخالف الشرع وحكمه فاعلم ان الشرع موضوع
على اليسر والسماحة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة والورع موضوع على التشديد
والاحتياط كما قيل الامر على الصنوف من عقد الشيوخ الورع من الشرع ... وكلاهما في
الاصل واحد لكن الشرع حكمان حكم الجواز وحكم الاحوط والافضل فالجواز يقال له
حكم الشرع والافضل يقال له حكم الورع فهما مع تميزهما واحد في الاصل فافهم ذلك
واسال الله تعالى فان قلت اذا جاز البحث والاستقصاء عن كل شيء واشكل علينا
ما ناخذه في هذا الزمان وهذا الامر حرج على صاحب الورع اذ لا بد له من بلاغ
يبلغه الى الطاعة فاعلم ان طريق الورع شديد وان من قصد سلوكه فرط ان يوطن
نفسه ويقلبه على احتمال الشدة والا فلا يتم له ذلك ولهذا المعنى صار الكثير من اهل
الورع والتابعين الى الجبل لنبات وغيره واقتصروا على اكل الحشيش وثمرات الغيضة

لا شبهة فيها بحال فمن سمت همته الى نيل منزلة الورع الاعلى فعليه ان يحتمل الشدائد
ويصبر عليها ويسلك طريق اولئك لينال منزلتهم واما ان قام بين الناس واكل
ما يجد ولو نزل في ايديهم فليكن عنده بمنزلة الميتة لا يقدم عليها الا عند الضرورة
ثم لا يتناول منها الا مقدار بلغة الى الطاعة فيكون له عذر في ذلك ولا يضره ان
كان فيما اصله شبهة فان الله تعالى اولى بالعذر ولهذا قال الحسن البصري ... سوف
فكيف بالقوت ولقد بلغني عن وهيب بن الورد انه كان يجوع نفسه يوما ويومين
ثم ياخذ رغيفا ويقول اللهم انك تعلم اني لا اقوى على العبادة واخشى الضعف
فان لم اكله اللهم ان كان فيه شيء من خبث او حرام فلا تؤاخذني ثم يبل الرغيف
بالماء ويأكله فلما ... هذان الطريقان للطبقة العليا من اهل الورع فيما تعلمه واما
من دونهم فلهم احتياط وبحث على مقدار ولهم ايضا نصيب من الورع على مقدار ما
... والله يضيع اجر من احسن عملا وهو عليم بما يفعلون فان قيل فهذا
الحرام فاحتز بالجانب الحلال وياخذ الفضول الذي يلزم منه الحبس والحساب واما
المقدار الذي اذا اخذه العبد يكون ذلك ادبا ولا يكون فضولا ولا عليه فيه حساب
فاعلم ان احوال المباح في الجملة ثلاثة اقسام احدها ان ياخذ العبد تفاخرا
وتكاثرا ... فيكون الاخذ منه فعلا منكرا يستوجب على ظاهر فعله الحبس
والحساب واللوم والتعيير وهو منكر وشوم ويستوجب على باطن فعله وهو التكاثر
عذابا لانه يعد ذلك القصد منه معصية وذنب كقوله تعالى انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو وزينة الى قوله وفي الاخرة عذاب شديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مباهيا
مكاثرا مفاخرا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان فالوعيد على قصده ذلك

والثاني

ان ياخذ الحلال بشهوة نفسه لا غير فذلك منه شر يستوجب عليه
الحبس والحساب لقوله تعالى ثم لتسالن يومئذ عن النعيم وقال صلى الله عليه وسلم حلالها حساب
ان ياخذ من الحلال في حال العذر قدر ما يستعين به على عبادة الله
تعالى ويقتصر على ذلك فذلك خير وحسنة وادب لا حساب عليه ولا عقاب
بل يستوجب عليه الاجر والمدحة لقوله تعالى اولئك لهم نصيب مما كسبوا وقال صلى الله عليه وسلم
من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسالة وتعطفا على جاره وسعيا على عياله
جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر وذلك لما قصد به هذا المقصود
المحمود لله تعالى فهذه هذه فاعلمها فان قيل فما شرط المباح حتى يصير خيرا
وحسنة كما ذكرتم فاعلم انه يحتاج في كونه خيرا في الاصل الى شرطين احدهما
الحال والثاني القصد فالحال يجب ان يكون في عذر وهو يجب ان لم ياخذه
يضره ان يكون حاله ان لم ياخذ ذلك المباح ينقطع بسببه عن فرض او سنة
او نفل يكون ذلك افضل من ترك المباح فان ترك صاح الدنيا فضيلة فاذا
كان الحال ذلك فهو حال العذر واما القصد فان يقصد به العدة والاعانة
على عبادة الله تعالى بما اخذت ذلك فهذا ذكر الجملة فيما حصل ذكر الجملة في
حال العذر وقصد ذلك الاخذ من الدنيا خيرا وحسنة وادبا واما لو كان في حال
العذر ولا يصير ذلك الاخذ من جملة الخيرات ثم الاستعانة في حفظ الادب
هذا يحتاج الى تبصرة وفضل تحمل فانه لا ياخذ الدنيا الا للعدة على
عبادة الله تعالى حتى اذا نسيها عن ذكر الجملة في حال الاخذ وقد ذلك الفضل
الجميل عن تخيل بعد ذكر الجملة فالتخفيف ... ثلاثة معتبرة في كل

من والحد يعني به الذكر والحال معتبران في حصول كونه خيرا اصلا والفضل الجليل المختفي
عن بصيرة حضرته الادب معتبر في الاستفاضة عليه فافهم ذلك راشدا فان قيل فان
اخذ الدنيا الحلال بشهوة هل يكون ذلك معصية وهل يلزم عليه عذاب وهل الاخذ
بالعين ومن حرام ام لا فاعلم ان ذلك فضيلة وتسميه خيرا وحسنة والامر ميسر انه ادب
والاخذ بالشهوة مشروط بسنة والنهي عنه نهي ولذلك المعصية ولا يكون عليه
عذاب النار وانما عليه الحبس والحساب واللوم والتعيير فان قلت فما هذا الحبس
الحساب الذي يلزم العبد فاعلم ان الحساب بذا السؤال يوم القيامة عما اذا اكتسبت
وفيما اخذت انفقت وماذا اردت بذلك والحبس حبس عن الجنة من شدة الحساب
وذلك في عرصة القيامة بين اهوالها ومخاوفها عريانا عطشان وكفى
بذلك بلية فان قيل فاذا احل الله لنا هذا الحلال فاللوم والتعيير في اخذه
لماذا فاعلم ان اللوم والتعيير لترك الادب كمن يجلس على مائدة الملك فترك الادب
فانه يعير بذلك ويلام وان كان الطعام له مباحا والاصل في هذا الباب ان
الله تعالى خلق الخلق لعبادته وهو يسلي الله من كل وجه يمكنه ويجعل اشغاله
كلها عبادة من اي وجه امكنه فان لم يفعل ذلك واثر شهوة نفسه واشتغل
بذلك عن عبادة ربه مع تمكنه من ذلك يعرض عن دار الادب داخلا مدخل
لاداب نفسه وشهوته فاستحق اللوم بذلك والتعيير من تسببه فتامل هذا الاصل
راشدا ولا قوة الا بالله فهذه الجملة التي اردنا بيانها في اصلاح النفس
والجامها بلجام التقوى والورع فارعها حقها واحتفظ بها مجتهدا تفوز
بالخير الكثير في الدارين ان شاء الله تعالى والله ولي العصمة والتوفيق بفضله

فصل

فعليك ايها الاخ ببذل المجهود في قطع هذه العقبة العظيمة الطويلة
فانها اعظم العقبات شدة واكثرها مؤنة واكبرها آفة وفتنة فاين من هلك
من الخلق كلهم انما انقطعوا عن طريق الحق اما بسبب دنيا او خلق او شيطان او نفس
ولقد ذكرنا في كتبنا المصنفة من كتاب الاحياء وكتاب الاسرار وغيرهما ما يبعث
على الاهتمام بذلك ومقصود هذا الكتاب الذي سالت الله عز وجل ان يطلعني على
سر معالجة النفس وان يصلحني ويصلح بي فاقتصرت في هذا الكتاب الغريب على
نكت وجيزة اللفظ عزيزة المعنى ينتفع من تاملها بها ويتبين له على اوضح من
الطريق ان شاء الله تعالى وهذا الفصل يختص بنكت في معالجة الدنيا والخلق
والشيطان والنفس اما الدنيا فحق لك ان تحذرها وتتجرد عنها لان الامر لا يخلو
من خلتين اما انت من ذوي البصائر والفطن فحسبك ان الدنيا عدوة لله سبحانه
وهي حبيبك عدو لك وان الدنيا تفسد عقلك والعقل بيتك واما انت
ذو الهمم في عبادة الله تعالى والاجتهاد فحسبك ان الدنيا يبلغ شومها
ما يشغلك ارادتها وتشغلك الفكرة فيها عن العبادة والجد فكيف نفسها واما
انت من اهل الغفلة لا بصيرة لك تنظر الخاتمة ولا همة لك تبعث على المكارم
فحسبك ان الدنيا لا تبقى اما ان تفارقها واما ان تفارقك كما قال الحسن ان
يبقى لك الدنيا لا تبقى لها فاي فائدة اذا في طلبها وانفاق العمر العزيز عليها
ولقد احسن القائل قال — هب الدنيا تصير اليك عفوا
اليس مصير ذلك الى زوال — وما دنياك الا مثل ظل
اظلك ثم آذن بارتحال — فلا ينبغي لعاقل ان يخدع بها والله

صدق القائل فيما قال — احلام نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع
واما الشيطان فحسبك منهم منه ما قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل رب اعوذ بك
من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون فهذا خير العالمين واعلمهم
وافضلهم عند الله يحتاج مع ذلك الى ان يستعيذ بالله عز وجل من شر الشيطان فكيف
بك مع جهلك وتقصيرك وغفلتك واما الخلق فحسبك منهم انك ان خالطتهم ووافقتهم
في اهوائهم امتنت وافسدت امر اخرتك وان خالفتهم تعبت باذاهم وجفائهم
وكدرت عليك امر دينك ثم لا تامن ان يجاملك الى معاداتهم وسبابهم تنقع في
شرهم وان هم ان مدحوك وعظموك اخاف عليك الفتنة والعجب وان ذموك وحقروك
اخاف عليك الحزن والغضب لغير الله تعالى الحزن وكل الامرين افة مهلكة
ثم اذكر حال الناس بعد ما مرت في القبر ثلاثة ايام كيف يتركونك ويهجرونك
وينسونك فلا يكادون يذكرونك كانهم لم يعرفوك يوما ولم يروك فلا ينبغي حينئذ
الا الله سبحانه وتعالى فلا يكون من الغبن العظيم ان تضيع ايامك مع هؤلاء بالخلق
مع قلة الوفاء وقلة البقاء معهم وتترك خدمة الله الذي يرجع اخر الامر اليه وحده
ولا يبقى لك الا هو ابد الابدين والحاجات كلها اليه والمآل ان كان في كل حال
وعند كل شدة ووصول بر وصلة لا شريك له فتامل يا مسكين لعلك ترشد
ان شاء الله تعالى والله ولي الهداية بفضله واما النفس فحسبك ما تشاهد من
حالاتها ورداءة اراداتها وسوء اختيارها فهي في حال الشهوة بهيمة وفي
حال الغضب سبعية وفي حال المصيبة تراها طفلا وفي حال النعمة تراها فرعونا
وفي حال الجوع تراها مجنونا وفي حال الشبع تراها بطرة ان اشبعتها

ومرحت

ومرحت وان جوعتها صاحت وجزعت فهي كما قال القائل الاول كحمار السوء
ان اشبعته رمح الناس وان جاع نهق ولقد صدق بعض الصالحين ان من
رداءة هذه النفس وجهلها انها حين تهم بمعصية وانبعثت بشهوة فيها
بحيث لو شفعت اليها بالله ثم برسوله وبجميع انبيائه وبكتبه وبجميع السلف الصالحين
من عباده وتعرض عليها الموت والقبر والقيامة والجنة والنار لكانت لا تعطي القياد
ولا تترك الشهوة ثم اذا استقبلتها بمنع رغيف فانها تسكن وتترك الشهوة لها
لتعلم خستها وجهلها فاياك ايها الرجل ان تغفل عنها فانها كما قال خالقها
العالم بها جل جلاله ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فيكون بها
لمن عقل ولقد بلغنا عن بعض الصالحين بقال الراجحين اوعن البلخي انه قال
نازعتني نفسي بالخروج الى الغزو فقلت ان الله تعالى يقول ان النفس لامارة
بالسوء وهذه نفس تامرني بالخير لا تكون هذه ابدا ولكنها استوحشت فيريد اللقاء
الناس لتتروح اليهم ويتسامع الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم والترحيب والاكرام
فقلت لها لا انزلك العمران ولا انزلك على معرفة فاجابت فاساءت الظن
بها وقلت الله صدق فقلت لها اقاتل العدو حاسرا فتكونين من اول قتيل
فاجابت فاساءت الظن بها فعددت اشياء مما ارادتها فاجابت الى ذلك كله
فقلت يا رب نبهني لها فاني متهم لها مصدق لك فلو تكشف بها فقالت يا احمد
انك تقتلني كل يوم بمنعك اياي عن شهواتي ومخالفتك ولا يشعر بي
احد فان خالفتك قتلت مرة واحدة فنجوت منك ويتسامع الناس فيقال
استشهد احمد فيكون لي شرف وذكر لما قعدت ولم اخرج الى الغزو في ذلك

العام فانظر الى خداع النفس وغرورها فان اغنى الناس بعد الموت بعمل لم يكن بعد
ولقد صدق القائل واحسن فيما قال ، توق نفسك لا تامن غوائلها ، فالنفس
اخبث من سبعين شيطانا فتنبه رحمك الله لهذه الحيل واعتد الاحالة بالتسويف
ووطن على مخالفتها بكل حال لتصيب سلم ان شاء الله تعالى ثم عليك بالجامها
بالتقوى لا حيلة لها سواه واعلم ان ههنا اصلا اصيلا وهو ان العبادة شطران
شطر الاكتساب وشطر الاجتناب فالاكتساب فعل الطاعة والاجتناب الامتناع عن
المعاصي والسيئات وهو التقوى وان شطر الاجتناب على كل حال اسلم واصلح
واشرف للعبد من شطر الاكتساب ولذلك اشتغل المتيقظون من اهل العبادة
الذين هم في اوائل الدرجة من الاجتهاد بشطر الاكتساب كل همهم ان يصوموا نهارهم
ويقوموا ليلهم وصرف ذلك عنهم بشغل المنتهون اولوا البصائر من اهل العبادة بشطر
الاجتناب انما همتهم ان يحفظوا قلوبهم عن الميل الى غير الله تعالى وبطونهم عن الفضول
والسنتهم عن اللغو واعينهم عن النظر الى ما لا يعنيهم ولهذا المعنى قال العابد الناسك
من العباد ليوسف بن اسباط في الناس من يحبب اليهم الصلوة فلا يؤثرون عليها
شيئا وهي عمود العبادة بالثبات لله تعالى والصدق والتضرع والابتهال
ومنهم من حبب اليهم الصوم فلا يؤثرون عليه شيئا وانا مفسر لك هذه الخصال
اجعل صومك الصمت عن كل سوء واجعل صلوتك كف الاذى فانك لا تصلي
بشيء افضل منه ولا تصوم بشيء هو ازكى منه فاذا علمت ان جانب الاجتناب
اولى بالرعاية والاجتناب فان تحصل لك النظر الى جميع الاكتساب فقد شغل
امرك وحصل مرادك ولقد سلمت وغنمت وان لم تبلغ الا احدهما فليكن ذلك

جانب



الاجتناب فتسلم ان لم تغنم والا خسرت الشطرين جميعا وما ينفعك قيام الليل وتعبد
ثم تحبطها بارابة واحدة وما يغنيك صيام نهارها وطول نفسك بكلمة واحدة
ولقد رويناها عن ابن عباس انه قيل له ما تقول في رجلين احدهما كثير الخير كثير الشر
والاخر قليل الخير قليل الشر فقال لا اعدل بالسلامة شيئا وسالها ذكرنا مثال
المريض وذلك ان معالجة المريض نصفان نصف هو الدواء ونصف هو الاحتماء
فان اجتمعا فكانك بالمريض قد برئ وصح والا فالاحتماء اولى اذ لا ينفع دواء
مع ترك الاحتماء ولقد قال صلى الله عليه وسلم اصل كل دواء الحمية والمعنى بها والله اعلم انها
تغني عن كل دواء وكذا يقال ان اهل الطب جعلوا الحمية بمنع المريض عن الاكل
والشرب في الكلام علة ايام فيبرا ويصح فتبين لك بهذه الجملة ان
التقوى ملاك الامر وجوهره واهلها هم الطبقة العليا العالية من العباد والعلماء وتعلم
سبيل المجهود في ذلك وهو سهل العناية الى ذلك والله سبحانه ولي التوفيق
برحمته فصل ثم راع هذه الاعضاء الاربعة التي هي الاصول الاول العين
حسبك منها ان معادل الدنيا والدين على القلب وان خطر القلب شغله وفساده
في الاكثر من العين ولذلك قال صلوات الله عليه على بن ابي طالب من لم يملك عينه
فليس للقلب عنده قيمة والثاني اللسان وحسبك ان فيه رعيك وغنيمتك وثمرة
تعبك واجتهادك كله للعبادة والطاعة وان خطر العبادة واصلاحها
وفسادها في الاكثر من قبل اللسان بالتصنع والتزين وخاصة الغيبة ونحوها
يكفيك علمك بخطره واحدة ما يعيبه سنة واحدة بل اخشى وعسى اولئك
قال صلى الله عليه وسلم ما شيء احوج بطول الحبس من اللسان وفيما روى ان احد العباد السبعة

قال ليوسف بن يوسف ان العباد اذا اجتهدوا في العبادة لم يشتغلوا في عبادتهم على
شيء افضل من الصبر على ترك الكلام فيه فصل طويل ثم عاد الى ذلك فقال لا
يكون عندك شيء اكبر من حفظك اللسان ولا تكون لشيء اعنى به من سلامة
صدرك فهذه هذه ثم ذكر الانفاس التي تكلمت بها في الفضول ما كان يضرك
لو قلت استغفر الله مرة بما يوافق ساعة عزيزة فيغفر الله لك فرحا واسد
ما لك او قلت لا اله الا الله فيكون لك من الاجر والذخر ما لا يحيط به وصلنا او
تقول اسال الله العافية فيما يعنيك حسن نظر فيجيبك الله تعالى دعوتك فتخرج
من بلية الدنيا والاخرة والا تكون من الخسران العظيم والغبن الفظيع ان تحوز
عن نفسك كل هذه الفوائد الكثيرة فتجعل نفسك في فضول اقل ما
يلومك عليه اللوم والحساب يوم القيمة ولقد احسن القائل في قوله واذا هممت بالنطق
في الباطل فاجعل مكانه تسبيحا الثالث البطن وحسبك ان مقصود العبادة
وان الطعام شرب لعمل وما اواه منه بيدا وبيت وما خبث البدن لا يطيب الزرع
بل منه خطر ان يفسد عليك ارضك فلا تنفع ابدا ومن ذلك ما يقال من
معروف الكرخي انه قال اذا صمت فانظر على اي شيء تفطر وعند من تفطر وطعام من
تاكل فكم من يأكل اكلة فينقلب قلبه عما كان عليه فلا يعود الى حاله ابدا وكم من اكلة
حرمت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل الاكلة فيحرم
بها قيام سنة فعليك ايها الرجل بالنظر الدقيق والاحتياط البالغ المديد
في قوتك ان كان لك عناية بقلبك ورغبة في عبادة ربك هذا اصل الفرق
حتى يكون من وجهه ثم قلبك بالادب فيه والا كنت حالا للطعام مضيعا للايام

اذ قد

اذ قد علمنا يقينا وطالبنا واصبنا ان العبادة لا يحيى فيها شيء اذا امتلأ البطن
وان اكره النفس وجاهدت بعضو من الجبل فلا يكون لتلك العبادة لذة وحلاوة
ولذلك قيل لا تطمع حلاوة في العبادة مع كثرة الاكل واي خير في نفس العباد
من عبادة بلا لذة وحلاوة ولهذا المعنى قال ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه صحبت اكثر
رجال الله في جبل لبنان فكانوا يوصونني اذا رجعت الى ابناء الدنيا فعظهم باربع
قل لهم من يكثر الفضول والغنيمة فلا يخرج من الدنيا على دين الاسلام وعن سهل
انه قال جماع الخير كله في هذه الخصال الاربع وبها صار الابدال ابدالا الاخماص
البطون والصمت والاعتزال عن الناس وسهر الليل وقال بعض العارفين الجوع
راس مالنا ومعناه ان ما حصل لنا من فراغة وسلامة وعبادة وحلاوة وعلم نافع
بسبب الجوع والصبر عليه لله تعالى واما القلب فحسبك فيها انه اصل الكل انه ان فسد
فسد الكل وان اصلحته صلح الكل اذ هو الشجرة وسائر الاعضاء اغصان ومن الشجرة
تشرب الاغصان وتصلح او تفسد وانه الملك وسائر الاعضاء له تبع واذا كان
صلح الملك صلحت الرعية واذا فسد فسدت فاذا اصلحت العين واللسان
والبطن وغيره دليل على صلاح القلب واذا رايت خللا وفسادا فاعلم ان
ذلك من خلل في القلب وفساد وقع فيه ثم هل الفساد فيه اكثر فاحرص غاية الحرص
يصلح الكل فتستريح تمام مره على الخواطر وهي تحت
والامتناع من اتباعها لا فيه ولهذا المعنى صار اصلا
اشد على اهل الاجتهاد والاهتمام به اكثر عند ذوي البصائر وعن ابي يزيد انه
قال عالجت قلبي عشرا ولساني عشرا ونفسي عشرا فكان قلبي اصعب الثلثة فهذه

ثم عليك بالاهتمام بالخصال الاربع التي ذكرناها من الامل والعجلة في الامور والحسد
والكبر وانما خصصنا هذه الاربعة من بين سائر الخصال في هذا الموضع وخصصنا
بالاحتراز منها لانها علل القراء خاصة اذ هي تعتري سائر الناس عموما والقراء
خصوصا فيكون اقبح واشنع ترى الرجل القاري بطول الامل وبعده يفتر ويقع
في الكسل والتواني في العمل وتراه يستعجل في تحصيل ما نال الخير فينقطع عنها
او في اجابة دعاء صالح فيحرم ذلك او في الدعاء على اهل البلوى فيندم على
ذلك كما ذكر عن نوح صلوات الله عليه وتراه يحسد نظراءه على ما اتاهم الله من
فضله حتى ربما يبلغ منه ذلك مبلغا يحمله على قبايح وفضايح لا يقدم عليها اشقى
ولا فاجر ولهذا المعنى قال سفيان الثوري ما اخاف على ديني الا القراء والعلماء
فاستنكروا ذلك منه قال ما انا قلته انما قاله ابراهيم النخعي وعن عطاء قال قال
لي الثوري احذروا القراء واحذروني معهم فلو خالفت اودهم لي في رمانة فقلت
انها حلوة ويقول انها حامضة لما امنته ان يسعى بدمي الى سلطان جائر وعن
مالك بن دينار اني اقبل شهادة بعضهم على بعض الا في حسد فانهم حساد وعن الفضيل
انه قال لابنه اشتروا لنا دارا بعيدة عن القراء ما لي وللقوم ان ظهرت مني زلة
هتكوني وان ظهرت علي نعمة حسدوني ولذلك تراه يتكبر على الناس ويستخف بهم صعرا
خده سيما وجهه كانما يمن على الناس بما يصلي زيادة ركعتين كانما جاءه من الله
منشورا بالجنة والبراءة من النار وكانما استيقن السعادة لنفسه والشقاوة
لسائر الناس ثم مع ذلك يلبس لباس المتواضعين من صوف وغيره ويتماوت وهذا
لا يناسب الترفع والتكبر ولا يلايمه بل ينافيه ولكن الاعمى لا يبصر وقد ذكر ان فرقد السنجي
معيبا

الحسن

الحسن وعليه كساء وعلى الحسن حلة يختال بها معها فقال الحسن ما لك تنظر الي ثيابي
ثياب اهل الجنة وثيابك ثياب اهل النار وبلغني ان اكثر اهل النار اصحاب
الاكسية ثم قال الحسن جعلوا الزهد في ثيابهم والكبر في صدورهم والذي
يحلف به لاحدكم بكسائه اعظم كبرا من صاحب المطرف بمطرفه والى هذا المعنى
يشير ذو النون المصري رحمه الله حيث قال تصوف فازدهى بالصوف جهلا
وبعض الناس يلبسه مجانه يريك مهانة ويريك كبرا وليس الكبر يضوق الا انه
فلم يتصل الا كبره ولكن اراد بذا الطويل الى الجنان فاحذر ايها الرجل من هذه
الافات الاربع لا سيما الكبر فحض لو وقعت فيه لوقعت في بحار الكفر و
الطغيان فلا تغتر حديث ابليس فتنبه ابى واستكبر وكان من الكافرين
فالرجوع الى الله سبحانه ان يعصمنا جميعا بحسن نظره انه جواد كريم فصل
وجملة الامر انك اذا نظرت بعقلك ايها الرجل عرفت ان الدنيا لا بقاء لها
وان نفعها لا يفي بضررها وتبعاتها من كد البدن وشغل القلب في الدنيا و
في العذاب الاليم والحساب الطويل في الاخرة زهدت في فضولها فانك لا تأخذ
منها الا ما لا بد لك منه في عبادة ربك وتدع الشهوات واللذات الى الجنة
دار النعيم المقيم جوار الله رب العالمين الملك القادر الغني الكريم وعلمت
ان الخلق لا وفاء لهم وان مؤنتهم اكثر من معونتهم فيما يعينك وتركت الطمع الا
فيما لا بد لك منهم فتنتفع بخيرهم وتجتنب شرهم وتجعل صحبتهم صحبتك لمن لا
تخشى في صحبته ولا تندم على خلة منه وانسك بكتابه وملازمتك اياه
فيكون لك بكل حال وترى منه كل جميل الخصال حفظه منك كل نافية في الدنيا

والاخرة كما قال عيسى بن مريم عم احفظ الله بحبك حب الجنة وعلمت ان الشيطان
خبيث مجرب لعداوتك فاستعذ بالله القادر القاهر من هذا الكلب اللعين فلا تغفل
عن مكائده ومصائده فتطرده بذكر الله عز وجل طردا كذلك فانه يبرأ اذا ظهرت
عزيمة الرجال لانه كما قال سبحانه انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون ولقد صدق ابو حازم حيث قال ما الدنيا وما ابليس اما الدنيا فما
مضى حلم وما بقي فاماني واما الشيطان فوالله لقد اطيع فما نفع ولقد عصي فما
ضر وعلمت حال هذه النفس وجماحها الى ما تضرها فتملكها فنظرت لها بحكم
نظر العقلاء والعلماء الذين ينظرون في العواقب لا نظر الجهال والصبيان الذين
ينظرون الى الحال ولا يعطفون لعاجلة الاذى وفرطه من برادة الدواء فلجمتها
بلجام التقوى بان تمنعها عما لا تحتاج اليه بالحقيقة من فضول كلام ونظر ولبس
واكلة فاسدة من طول امل او تعجيل احد بسلم او تكبر في غير موضع او اكل في
شهوة ومزيد وتعطيها ما لا بد لها منه بد ولا تخاف منه فسادا ولا ضرورة الى
ذلك وقد وسع الله تعالى الامر على عباده رحمة واغناهم عن جميع ما يضرهم في
امر دينهم فاي حاجة الى ذلك فان الامر كما قال بعض الصالحين ان النفوس اجزن
اذا آيست من شي تركته فان النفس وتعود بما عودتها وانه كما قال القائل
فالنفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع وقال الاخر وهي النفس
ما عودتها تتعود ويروى ما حملتها تتحمل وقال آخر الا حسبت تجعلها التي
فانا طمعت باقيه والا تسلت فاذا علمت ما وصفناه كنت من الزاهدين
الراغبين في الاخرة واعلم انه من سمي باسم الزاهد فقد سمي بالف اسم محمود

وكن

وكن من المتفردين المنقطعين الى الله تعالى الذين هم اهل الانس وخدم رب
العزة فتكون كما قال القائل تشاغل قوم بدنياهم وقوم تخلوا بمولاهم فالزمهم
باب رضائه وعن سائر الخلق اغناهم وكنت من المجاهدين في الله عز وجل الخواص
من عباده الذين قال فيهم سبحانه ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكنت من المقربين
الذين لهم سعادة الدارين وصرت افضل من كثير من الملائكة المقربين اذ ليست
لهم شهوة تدعوهم الى قبيح ولا نفس خبيثة فكنت قد خلفت هذه العقبة الطويلة
الشديدة وراءك وسبقت العوائق كلها الى مقصودك ولا يهولنك فانه
مع الاستعانة بالله والاعتصام به لهين نسال الله تعالى وهو خير مسئول ان
يملك واياك بحسن توفيقه وعونه وتيسيره فانه الكافي لكل مهم والمستعان
به في كل معضل فبيده الخلق والامر وهو على كل شيء قدير فهذا ما اردنا ذكره
في هذا الباب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الباب الرابع في العقبة
الرابعة وهي عقبة العوارض ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله بكف
العوارض الشاغلة عن عبادة الله فتسهل سبلها عنك لئلا تشتغل عن
مقصودك وقد ذكرنا انها اربعة احدها الرزق ومطالبة النفس به ذلك
انما كفايته بالتوكل على الله سبحانه فعليك بالتوكل في موضع الرزق والحاجة
بكل حال وذلك لامرين احدهما التفرغ للعبادة ويمشي لك الخير جهده فان من
لم يتوكل فلا بد من اشتغاله عن العبادة بسبب الحاجة والرزق والمصلحة اما ظاهرا واما
باطنا اما بالطلب والكسب بالبدن كعامة الراغبين واما بذكر ووسوسة بالقلب كالمجتهدين
المتعففين والعبادة تحتاج الى فراغ القلب والبدن ليحصل حقها والمتفرغ لا يكون

للمتوكلين بل يقول كل من هو ضعيف القلب لا يكاد يطمئن قلبه الا بشيء معلوم
فلا يكاد يتم له امر خطير من دنيا واخرة وكثيرا ما سمعت من شيخي ابي محمد يقول انما
الامور تمشي في العالم برجلين متوكل او متهور وقلت انا وهذا كلام جامع في
معناه فان المتهور يمضي الامور على قوة عادته وجراءة قلبه لا يلتفت الى صارف
يعرضه او خاطر يضعفه فيجري الامور والمتوكل يمضي الامور على قوة وبصيرة لما
لا يعتريه من الطمأنينة بوعد الله وتمام ثقته بضمانه فلا يلتفت الى انسان يخوفه
ولا شيطان يوسوسه عن اعمال الحزم فيظفر بمقاصده ويفوز بمطالبه واما
المعلول الضعيف فابدا يكون بين نكول وتردد وقصور وعجز كالحمار في معلفه
والدجاج في قفصه يرضى بما يعود من صاحبه لا يكاد يتخلص من ذلك فقد حدث
نفسه عن معالي الامور وانقطعت همته فلا يكاد يقصد امرا شريفا وان قصد
فلا يكاد يبلغ ولا يتم له ذلك اما ترى اصحاب الهمم من ابناء الدنيا لما نالوا رتبة
كبيرة وعزا لخطره الا بما قطع قلوبهم عن انفسهم واموالهم واهليهم اما الملوك
فيباشرون الحروب ويقتحمون الاعداء وآحادهم هلكا واما ملكا حتى يحصل لهم رتبة
الملوك وعز الولاية وقيل ان معاوية نظر الى العسكر يوم صفين فقال من
اراد الخطر بعظيمه واما التجار فيركبون المهالك برا وبحرا ويطرحون انفسهم
واموالهم في المطالع شرقا وغربا ويوطنون انفسهم على احد الامرين اما فوت
الارواح واما حصول الارباح حتى يحصل لهم بذلك كل ربح عظيم ومال جسيم و
علو نفس واما السوقي الذي ضعف قلبه ودنت همته لا يكاد يقطع القلب عن
علاقته من نفسه وماله فهو من بيته الى دكانه طول عمره لا يصل الى رتبة شريفة

خطرا

كالملوك

كالملوك ولا الى ربح عظيم كالتجار المخاطرين فان نال في سوقه ربحا على بضاعته
درهما فذلك له كثير وذلك لتعلق قلبه بشيء معلوم فهذا في الدنيا وابنائها
واما ابناء الآخرة فرأس مالهم هذه الخصلة التي هي التوكل وقطع القلب عن
العلائق فلما احكموها وحصلوا حقها تفرغوا لعبادة الله وتمكنوا من
التفرد عن الخلق والسياحة في الارض واقتحام المضايق واستيطان الجبال
فصاروا اقوياء العباد ورجال الدين واحرار الناس وملوك الارض بالحقيقة يسيرون
حيث شاءوا وينزلون الامور العظام علما الا علائق لهم ولا حاجز دونهم
فكل الاماكن لهم واحد وكل الازمان عندهم واحد واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من سره ان
يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده وعن سليمان الخواص
لو ان رجلا توكل على الله بصدق النية لاحتاج اليه الامراء ومن دونهم فكيف يحتاج
ومولاه الغني الحميد وعن ابراهيم الخواص قال لقيت غلاما في التيه كانه سبيكة فضة
فقلت يا غلام الى اين قال الى مكة قلت بلا زاد ولا راحلة فقال يا ضعيف اليقين
الذي يقدر على حفظ السموات والارض لا يقدر ان يوصلني الى مكة بلا زاد ولا
راحلة فلما دخلت مكة اذا هو في الطواف يقول يا نفس سيحي ابدا ولا تحبي
الا الجليل الصمدا يا نفس موتي كمدا فلما رآني قال يا شيخ انت بعد على ذلك
الضعف وقال الشقيقي لحاتم الاصم بلغني انك تقطع المفاوز بالتوكل
بغير زاد فقال حاتم زادي اربعة اشياء قال ما هي قال ارى الدنيا والآخرة مملكة
وارى الخلق كلهم عيال الله وارى قضاء الله نافذا في خلقه في جميع ارض الله ولقد
صدق من قال ارى الزهاد في روح وراحة قلوبهم عن الدنيا قد ... اذا ابصر

ابصرت فيها ملوك الارض شيمتهم سماحة واما الامر الثاني الذي اقتضى التوكل
على الله فهو هذا الشان الذي فيه ذكر الخطر العظيم والامر الكبير فلتعلم ان الله تعالى تكفل
الرزق بالخلق فقال تعالى خلقكم ثم رزقكم فعلمنا ان الرزق من الله تعالى لا من
غيره كالخلق ثم لم يكتف بالكفالة حتى وعد فقال ان الله هو الرزاق ثم لم يكتف بالوعد
حتى ضمن فقال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ثم لم يكتف بالضمان حتى اقسم
فقال عز وجل فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون ثم لم يكتف بذلك حتى
امر بالتوكل وابلغ وانذر فقال تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال تعالى وعلى الله
فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال تعالى وتوكل على العزيز الرحيم فمن لم يعتبر قوله ولم يكتف
بوعده ولم يطمئن بضمانه ولم يقنع بقسمه ثم لم يبال بامره ووعده ووعيده فانظر ماذا
يكون حاله واي محنة تنجلي من هذه وهذه والله مصيبة شديدة ونحن منها في
غفلة عظيمة ولقد صدقنا الصادق المصدوق الامين صلى الله عليه وسلم لابن عمر كيف انت اذا بقيت
في قوم يخبأون رزق سنتهم لضعف اليقين وعن الحسن لعن الله اقواما اقسم لهم ربهم
فلم يصدقوه فقالت الملائكة عند نزول هذه الآية فورب السماء والارض انه لحق هلكت
بنو آدم اغضبوا الرب حتى اقسم لهم على ارزاقهم وعن اويس القرني لو عبدت الله
عبادة اهل السماء والارض لا يقبل الله منك حتى تصدقه قيل وكيف تصدقه قال تكون
آمنا بما تكفل الله من رزقك وترى جسدك فارغا للعبادة ولقد قال هرم بن
حيان لاويس القرني اين تأمرني ان اقيم فاومى بيده الى الشام فقال كيف المعيشة
بها فقال اف لهذه القلوب لقد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وبلغنا ان
شابا تائبا على يد ابي يزيد البسطامي فسال ابو يزيد عن حاله فقال ... عن القعود

ثم اد

فلم ار وجوههم الى القبلة الا رجلين قال ابو يزيد هما كانا ولكن يهم الرزق حولت
وجوههم عن القبلة وذكر بعض اصحابنا انه رأى رجلا من اهل الصلاح فسأله عن حاله
فقال الرجل سمعت يا بنانك قال انما يسلم الايمان للمتوكلين نسال الله ان يصلحنا بفضله
ولا يؤاخذنا بما نحن اهله انه ارحم الراحمين فهذه هذه فان قلت فاخبرنا
ما حقيقة التوكل وحكمه وما يلزم العبد منه في امر الرزق فاعلم انما يتبين
لك هذا بان يعد فصول يبينا لفظ التوكل وموضعه وحده وحقيقته فاما اللفظ
فانما هو تفعل من الوكالة فالمتوكل على احد هو ان يتخذه يعني له الوكيل القائم بامره
الضامن لاصلاحه الكافي له من غير تكلف واهتمام فيتخذ متكلا واما الموضع فاعلم
ان التوكل اسم يطلق في ثلاثة مواضع احدها في موضع القسمة وهو الثقة بالله
فانه لا يفوتك ما قسم الله لك فان حكمه لا يتبدل وهذا واجب بالسمع الثاني في موضع
النصرة وهو الاعتماد والثقة بنصرة الله تعالى اذا نصرته وجاهدت قال الله سبحانه
فاذا عزمت فتوكل على الله وقال تعالى ان تنصروا الله ينصركم وقال تعالى وكان حقا علينا
نصر المؤمنين وهذا واجب للوعد والثالث في موضع الرزق والحاجة فان الله متكفل
بما يقيم بنيتك لخدمته ويمكن بدنك من عبادته قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو
حسبه وقال الصادق الامين صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير
تغدو خماصا وتروح بطانا وهذا فرض لازم للعبد بدليل العقل والسمع جميعا
وهذا هو الاشهر الاغلب منه اعني التوكل اذا هو الرزق المضمون ضمانا للعلماء
بالله تعالى وانما يتضح لك هذا ببيان اقسام الرزق فاعلم ان الرزق اربعة اقسام
مضمون ومقسوم ومملوك وموعود فالمضمون هو الغذاء وما به قوام البنية دون

شابه الاسباب فالضمان من الله بهذا النوع والتوكل يجب بازائه بدليل العقل والشرع
لان الله كلفنا خدمته وطاعته بابداننا وضمن ما لا بد للخلل البنية لنقوم بما كلفنا
وقال بعض مشايخ الكرامية كلا انما الضمان على اصله لان ضمان ارزاق العباد واجب في
حكمة الله تعالى لثلاثة اشياء احدها انه سيد وعلى السيد كفاية مؤنة
العبد كما ان على العبيد خدمة السيد والثاني انه خلقهم محتاجين الى الرزق ولم يجعل لهم سبيلا
الى طلبه اذ لا يدرون ما هو رزقهم واين هو ومتى هو ليطلبوه بعينه في مكانه ووقته
ليصلوا اليه فوجب ان يكفيهم امر ذلك ويوصلهم اليه والثالث انه كلفهم الخدمة وطلب الرزق
عنها شاغل فوجب ان يكفيهم المؤنة ليتفرغوا للخدمة وهذا كلام من لم يحط باسرار
الربوبية والقائل بان الله عز وجل عليه واجب ثابت وقد اوضحنا في الكلام فساده ولنرجع
الى المقصود من غرضنا واما الرزق المقسوم فهو ما قسم الله تعالى وكتبه في اللوح المحفوظ
ما ياكله ويشربه ويلبسه كل واحد بمقدار مقدر ووقت موقت لا يزيد ولا ينقص ولا
يتقدم ولا يتاخر كما كتب بعينه قال النبي صلى الله عليه وسلم الرزق مقسوم مفروغ منه ليس تقوى تقي بزائده
ولا فجور فاجر بناقصه واما المملوك فهو ما يملكه كل واحد من اموال الدنيا على حسب ما
قدر الله تعالى وقسم له ان يملكه وهو من رزق الله تعالى قال الله تعالى انفقوا مما رزقناكم
اي ملكناكم واما الموعود فهو ما وعد الله المتقين من عباده بشرط التقوى حلالا
من غير كد قال الله عز وجل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فهذه
اقسام الرزق والتوكل انما يجب بازاء المضمون منها فاعلم واما حد التوكل فقد قال
بعض شيوخنا انه اتكال القلب الى الله تعالى بالانقطاع والاعتماد به وقال بعضهم حفظ
القلب مع الله لموضع المصلحة بترك تعلقه على شيء دونه وقال الشيخ ابو عمرو التوكل



ترك التعلق والتعليق ذكره وقال التوكل هو ذكر قوام بيتك من قبل الله تعالى و المتقي
ذكر قوامها عن دون الله سبحانه والاقاويل مثل هذه ترجع الى اصل واحد وهو ان تعلم
قلبك على ان قوام بنيتك وسد خلتك وكفاية ما هو من الله تعالى لا بالخلق ودون
الله فلا حطام من الدنيا ولا سبب من الاسباب ثم الله تعالى ان شاء الله تعالى يسبب لك
مخلوقا او حطاما وان شاء كفى بغير ذلك دون الاسباب والوسائط فاذا كنت ذلك
بقلبك وتوكلت عليه وانقطع القلب عن المخلوقين والاسباب برمتها الى الله فقد حصل التوكل
حقه فهذا حده واما حسن التوكل الباعث هو ذكر ضمان الله تعالى وحسن ذكر
جلال الله وكمال علمه وقدرته وتنزهه عن الخلف والسهو والعجز والنقص فاذا
واظب العبد على هذه الاذكار بعثته على التوكل على الله تعالى في امر الرزق فان قيل هل
يلزم للعبد طلب الرزق بحال ما فاعلم ان الرزق المعلوم المضمون الذي هو الغذاء والقوام
لا يمكننا الطلب اذ هو شيء من فعل الله تعالى بالعبد كالحيوة والموت لا يقوى العبد على تحصيله
ودفعه واما المقسوم من الاسباب فلا يلزم العبد طلبه اذ لا حاجة للعبد الى ذلك انما حاجته
الى المضمون وهو من الله تعالى واما قوله وابتغوا من فضل الله المراد به العلم والثواب
لا يعني الايجاب والالزام فان قيل له لا يلزمك ذلك اذ لا حاجة بالعبد اليه اذ الله تعالى
يفعل بسبب وغير سبب فلم لا يلزمنا الطلب لسبب ثم ان الله عز وجل ضمن لك ضمانا مطلقا
من غير شرط الطلب والكسب قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ثم كيف
يصح ان يامر العبد بطلب ما لا يعرف مكانه فيطلبه اذ لا يعرف اي سبب جعله فيه الذي يتناول
لا غير والذي يصير سبب غذائه وتربيته لا غير فالواحد منا لا يعرف ذلك السبب بعينه من اين
يحصل له فلا يصح تكليفه فتامل راشدا فانه بين ثم حسبك ان الانبياء والاولياء والمتوكلين

لم يطلبوا الرزق في الاكثر والاعم وتجردوا للعبادة وبالاجماع انهم لم يكونوا
تاركين لامر الله ولا عاصين له في ذلك فتبين ان طلب الرزق واسبابه ليس بلازم
بامر لازم فان قلت فهل يزيد الرزق بالطلب وهل ينقص بترك الطلب فكلا
فانه مكتوب في اللوح المحفوظ مقدر موقت ولا تبديل لحكم الله عز وجل
ولا تغيير لقسمته وكتابته هذا هو الصحيح عند علمائنا خلاف ما ذهب اليه بعض
اصحاب حاتم وشقيق رحمهما الله تعالى فقالوا ان الرزق لا يزيد ولا ينقص بفعل
العبد لكن المال يزيد وينقص وهذا فاسد لان الدليل في الموضعين واحد
وهو الكتابة والقسمة والقيد لاشارة بقوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا
تفرحوا بما اتاكم ولو كان بالطلب يزيد وبالترك ينقص لكان للعزيز والاسى
موضع اذ هو قصر وتوانى حتى فاته وحقق وشمر حتى حصل وقال صلى الله عليه وسلم
هات لو لم تاتها لاتتك فان قيل فالثواب والعقاب في اللوح المحفوظ ايضا ثم
لم يلزمنا طلب الثواب وترك موجب العقاب فهل يزيد بالطلب او ينقص بالترك
فاعلم ان طلب الثواب انما وجب من حيث ان الله تعالى امر به امر حتما ووعد
على تركه ولم يضمن بالثواب على غير فعل منا ثم بان الثواب والعقاب بفعل العبد
المعلق بهما في كتابه وهو ما لا يلزم ههنا انا نقول ان المكتوب في اللوح قسمان قسم
هو مكتوب مطلقا من غير شرط تعليق بفعل وهو الارزاق والاجال وما كيف
ذكرها الله تعالى من غير شرط مشروط قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا
على الله رزقها وقال تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
وقال صاحب الشرع اربعة قد فرغ منهن الخلق والخلق والرزق والاجل وقسم

معلقا

مكتوب بشرط معلق مشروط بفعل العبد وهو الثواب والعقاب فانه كيف ذكرهما الله
تعالى في كتابه معلقا بفعل العبد قال الله تعالى ولو انهم امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم
ولادخلناهم جنات النعيم وهذا بين فاعلم فان قيل فنحن نجد الطالبين يجدون
الارزاق والاموال والتاركين يحرمون ويفتقرون قيل له كانك لا تجد مع
ذلك طالبا محروما فقيرا وتاركا قادرا غنيا ثم فاعتبر بذلك ان هذا هو الاكثر ليعلم
ان ذلك هو تقدير العزيز العليم وتدبير الملك الحكيم وانشد ابو بكر محمد بن
شابور الصوفي الواعظ بالشام • وكم قوي قوي في تقلبه •
• مهذب للراي عنه الرزق منحرف • وكم من ضعيف ضعيف تقلبه •
• كانه من خليج البحر يغترف • هذا دليل على ان الاله له •
• في الخلق سر خفي ليس ينكشف • فان قيل فهل يحمل الزاد في البرية بلا زاد
فاعلم انه ان كان للمتوكل القلب بالله فالتقوى اليقين فالمتوكل يدخل البرية ناوي فادخل
ولا تكن كالعوام تعلقا بهم وقد سمعت الامام ابا المعالي الجويني يقول من
جرى مع الله عز وجل على عادة الناس جرى الله معه على ما هو عادة الناس في
المؤنة وهذا كلام حسن جدا وفيه فوائد لمن تامله فان قلنا للتوكل على الله في ذلك
فقول عز من قائل وتزودوا فان خير الزاد التقوى ولم يقل حطام الدنيا واسبابها والثاني
انه كان قوم لا يحملون الزاد في طريق الحج اتكالا على الناس ويسالون ويلحون
ويؤذون الناس فامروا بالزاد ترغيبا على ان اخذ الزاد من مال الغير من
الناس والاتكال عليهم وكذلك نقول فان قلت فالمتوكل هل يحمل الزاد معه في
الاسفار فاعلم انه ربما يحمل ولا يعلق القلب به بانه لا محالة الرزق فقد او منه فله

إنما يعلق القلب بالله سبحانه وتعالى فيتوكل عليه ويقول إن الرزق مقسوم مفروغ
عنه والله تعالى إن شاء أطعمني بهذا أو بغيره وربما يجعل بنيته أخرى
بأن يعين مسلما ونحو ذلك وليس الشأن في أخذ الزاد وتركه إنما الشأن في القلب
أن لا تعلق قلبك إلا بوعد الله تعالى وحسن كفايته وضمانه فكم من حامل الزاد
وقلبه مع الله دون الزاد وكم من تارك للزاد وقلبه مع الزاد دون الله تعالى
فالشأن إذن في القلب فافهم هذه الأصول تكف المؤنة إن شاء الله تعالى فإن
قيل فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يحمل الزاد وكذلك الصحابة والسلف رضي الله عنهم تعالى أجمعين فلا جرم
أن ذلك مباح غير حرام وإنما الحرام تعليق القلب بالزاد وترك التوكل على الله سبحانه
فافهم ذلك ثم ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال وتوكل على الحي الذي لا يموت أعلمه عصاه
في ذلك وعلق قلبه بطعام أو شراب أو درهم أو دينار كلا وحاشا أن يكون ذلك بل كان
قلبه مع الله تعالى وتوكل عليه كما أمره فإنه الذي لم يلتفت إلى الدنيا بأسرها ولم يمد
يده إلى مفاتيح خزائن الأرض كلها وإنما كان أخذ الزاد عنده ومن السلف الصالح
لنيات الخير لا لميل قلوبهم عن الله إلى الزاد المعين والفضل عملناك فانتبه من ذلك
فإن قلت أيها أفضل أخذ الزاد أم تركه فاعلم أن هذا يختلف باختلاف الحال إن
كان مقتدى به يبين أن أخذ الزاد مباح أو ينوي به عون مسلم أو إعانة ملهوف
ونحو ذلك فالأخذ أفضل وإن كان منفردا وقوي القلب بالله تعالى فيشغله الزاد
عن عبادة الله سبحانه وتعالى فالترك أفضل فافهم هذه الجملة وتحفظ واستدل
واحتفظ بها وبالله التوفيق والعصمة. العارض الثاني الأخطار والمخاوف
والإرادات وأنك بها وقصدها وإنما كفايتها بالتفويض فعليك بتفويض الأمر

كل

كله إلى الله تعالى وذلك لأمرين أحدهما الطمأنينة للقلب في الحال فإن الأمور إذا كانت
خطوبها مبهمة لا تدري صلاحها من فسادها فتكون مضطرب القلب ظاهر النفس
لا تدري تقع في فساد أو صلاح فإذا فوضت الأمر إلى الله تعالى علمت أنك لا تقع إلا
في صلاح وخير فتكون آمنا من الخطر والآفة والمخافة مطمئن القلب في الحال
هذه الطمأنينة والأمن والراحة في الوقت غنيمة عظيمة وكان شيخنا يقول
كثيرا في مجالسه دع التدبير إلى من خلقك تسترح وقد أنشد

إن من كان ليس يدري أفي المحبوب يصنع له أو المكروه
لحري بأن يفوض ما يعجز عنه إلى الذي يكفيه
إلا إلى الذي له بالرأفة أجلى من أمه وأبيه

والثاني من الأمرين حصول الصلاح والخير في الاستقبال وذلك لأن الأمور بالعواقب
مبهمة فكم من شر في صورة خير وكم من نفع في حلية ضر وكم من سم في حلية شهد
وأنت الجاهل بالعواقب والأسرار فإذا أردت الأمور قطعا وأخذت منها باختيارك
محكما فما أسرع ما تقع في هلاك وأنت لا تشعر ولقد حكي أن بعض العباد كان سأل
الله تعالى أن يريه إبليس فقيل له سل الله العافية فأبى إلا ذلك فأظهره الله له
فلما رآه العابد قصده بالضرب فقال له إبليس لولا أنك تعيش مائة سنة لأهلكتك
وعاقبتك فاغتر بقوله وقال في نفسه إن عمري لطويل فأفعل ما أريد ثم أتوب فوقع
في الفسق وترك العبادة وهلك فمن هذا ما ينبهك على ترك الحكم في إرادتك
والنجاح في مطلوباتك ويحذرك طول الأمل فإنه الآفة العظيمة ولقد صدق القائل
فإياك المطامع والأماني فكم أمنية جلبت منية وإذا فوضت الأمر إلى

تعالى وسألته أن يختار لك ما هو صلاحك لم يكن إلا الخير والسداد ولم تقع
إلا على الصلاح قال الله تعالى حكاية عن العبد الصالح وأفوض أمري إلى الله إن
الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا أما ترى كيف أعقب تفويضه
الوقاية من الأسواء والنصر على الأعداء وبلوغ المراد فتأمل هو فقها فإن قلت
بين لنا معنى التفويض وحكمه فاعلم أن فيهما فصلين بهما يتضح الكلام أحدهما
موضع التفويض والثاني معناه وحده وضده أما موضعه فاعلم أن الإرادات
ثلاثة إرادة يعلم يقينا أنه فساد وشر لا شك فيه البتة كالنار والعذاب وفي الفعل
كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل إلى إرادة ذلك فإن أردتها بالحكم فلا
موضع للتفويض فيه إذ لا خطر فيه ولا شك أنه خير وصلاح والثالث إرادة لا
يعلم يقينا أن لك فيه صلاحا أم لا وذلك نحو النوافل والمباحات فهذا
موضع التفويض فلا بد فإن من لم يعتبر إرادته بالاستثناء فهو طمع مذموم منهي عنه
لموضع التفويض إذ كل ما أردت فيه الحظ وهو أن لا يعرف صلاحك فيه وأما
معنى التفويض فقال بعض شيوخنا هو ترك اختيار ما فيه مخاطرة إلى المختار المدبر
العالم بمصالح الخلق وعبادة الشيخ أبي محمد السجزي هو ترك اختيار المخاطرة على
المختار المختار لك ما هو خير لك قال الشيخ أبو عمرو هو ترك الطمع والطمع
إرادة الشيء المخاطرة بالحكم فهذه عبارة الشيخ والذي نقوله أن التفويض إرادة
أن يحفظ عليك مصالحك فيما لا تأمن فيه الخطر وضد التفويض الطمع والطمع
في الجملة يجري على وجهين أحدهما في معنى الرجاء وهو تمني شيئا ولا خطر فيه أو
مخاطرة بالأشياء وذلك ممدوح غير مذموم كما قال الله تعالى والذي أطمع أن

المشايخ و

يغفر لنا

يغفر لنا ديننا خطايانا وهذا الشيء للمرء مما يحض فيه ويميل صاحبها والثاني طمع
مذموم قال النبي صلى الله عليه وسلم إياكم والطمع فإنه فقر حاضر ومثل هلاك الدنيا وفساد
الطمع وملاك الورع وقال شيخنا الطمع المذموم شيئان سكون القلب إلى منفعة
مشكوكة والثاني إرادة الشيء بمخاطرة بالحكم وهو الإرادة تقابل التفويض
عن فاعلم ذلك أما حسن التفويض فهو ذكر خطر الأمور وإمكان الهلاك والفساد
فيها محض حسنه ذكر عجزك عن الاستكفاء عن ضرر الخطر والامتناع عن الوقوع
فيها لجهلك وغفلتك وضعفك والمواظبة على هذين الذكرين يحملك على
تفويض الأمور كلها إلى الله تعالى والتحفظ عن الحكم فيها والامتناع عن إرادتها
إلا بشرط الخير والصلاح فهذه هذه وبالله التوفيق فإن قيل ومن خطر الذي
يوجب التفويض لك في الأمور فاعلم أن الخطر في الجملة خطران خطر
أنه يكون أو لا يكون وأنك تصل إليه أو لا تصل إليه وهذا يحتاج إلى الاستثناء
ويقع في باب السنة والأمل والثاني خطر الفساد بأن لا تستيقن خير الصلاح في
نفسك وهذا الذي يحتاج فيه إلى التفويض ثم اختلفت عبارات الأئمة
الخطر فعن بعضهم أن الخطر في الفعل هو أن يكون ذنبا ومنجاة ويمكن أن يجاء به
ذنب فالإيمان والسنة والاستقامة بالحكم وقال الأستاذ الخطر بالفعل ما
يمكن أن يتعرض فيه ما يكون الاشتغال بالعوارض أولى من الإقدام على ذلك
الفعل وذلك يقع في المباحات والسنن والعوارض الأتري أن من يحضر عليه
وقت الصلاة وضدا دائها فعرض لحربوب أو غريق عكسه الاشتغال بإنقاذه
كان أولى من الإقبال على صلواته فلا يصح إذا إرادة المباحات والنوافل

كثير من الفرائض بالحكم فان قيل كيف يصح ان يفرض الله على عبيده شيئا ويؤكد
على تركه ثم لا يكون له صلاح في فعله فاعلم ان شيخنا قال ان الله سبحانه
لا يأمر العبد بشيء الا وفيه صلاحه اذا تجرد عن العوارض ولا يضيق عليه
فعلا مرضيا بحيث لا يعدل عن ذلك الا وفيه له صلاح وانه ربما يسبب الله
عذرا لاجله يكون العدول عن المأمورات اولى من الاشتغال بالامر كما احدها
ذكرنا فيكون العبد في ذلك معذورا بل مأجورا لا يترك هذا الفرض
بل يفعل الذي هو اولى منه ولقد سمعت الامام يقول ان الذي افترض الله
سبحانه على عباده من الصلوة والحج والصوم ونحوه فيها صلاح العبد لا محالة
وصحت مرادنها بالحكم قال فاتفق ذاتنا على ذلك فيفيت المباحات والنوافل
اذا في هذا الحكم فاعلم ذلك فانه من غوامض الباب وبالله التوفيق فان قيل
هل يأمن المفوض الهلاك والفساد في الدارين فاعلم ان في الاغلب لا
يفعل بالمفوض الا الصلاح وقد يفعل في النادر غير الصلاح ولذلك
ربما يحتاج ان ينقطع عن منزلة التفويض ثم قال الشيخ ابو عمرو وقيل لا يفعل
بالمفوض الا ما فيه صلاحه فيما فوض الى الله سبحانه والخذلان والتعوق
عن منزلة التفويض مما لا يقع فيه التفويض اذ لا شك في فساد ذلك والتفويض
انما يقع فيما شك في فساده وصلاحه وهذا اولى القولين عند شيخنا اذ لولا
ذلك لما نوقب الباعث على التفويض فان قيل هل يجب ان يفعل بالمفوض ما
هو الافضل فاعلم ان الايجاب مستحيل في حق الله تعالى فلا يجب لعباده عليه
شيء وقد يفعل بالعبد الاصلح دون الافضل لحكمة من فعل الاولى انه قد يبتني

واصحابه

واصحابه ان ناموا طول الليل الى طلوع الشمس في بعض الاسفار حتى فاتتهم صلوة
الليل وصلوة الفجر والصلوة افضل من النوم وربما يقدر للعبد الغنى والنعمة
في الدنيا وان كان الفقر افضل ويقدر له الاشتغال بالاولاد والازواج
وان كان التجرد افضل لعبادة الله تعالى فانه لعباده خبير بصير وهذا كما ان الطبيب
الحاذق الناصح يختار للمريض ماء الشعير وان كان ماء السكر افضل له وانفس
ولكن لما علم ان صلاحه هلاكه في ماء الشعير والمقصود للعبد النجاة من الهلاك لا
الفضل والشرف مع الفساد والهلاك فان قيل هل يكون المفوض مختارا فاعلم
ان الصحيح عند علمائنا انه يكون مختارا ولا يقدح في تفويضه ذلك لان المعنى
[illegible] فيه اذا كان له صلاح في المفضول والافضل من الله تعالى ان يسبب له الافضل على
ان المريض يقول الطبيب اجعل دوائي في ماء السكر دون ماء الشعير اذا كان له صلاح
في كليهما فيحصل له الفضل والصلاح جميعا فكذلك دعاء العبد اذا سال الله تعالى
ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويسبب له ذلك ليجمع له الفضل والصلاح جميعا
ولكن بشرط انه ان اختار الله له الصلاح في غير الافضل ان يكون راضيا بذلك
فان قيل فلما اذا كان للعبد ان يختار الافضل وليس له ان يختار الاصلح فاعلم
ان الفرق بينهما ان العبد يعرف الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من
الفساد لديه بالحكم ثم معنى اختياره الافضل ان يريد من الله ان يجعل صلاحه فيما
هو الافضل ويختار له ذلك ويقدره لا ان للعبد حكما في شيء من ذلك فاعلم
فهذه جملة من دقائق هذا العلم واسراره ولولا ان الحاجة ماسة اليه لما تعرضنا
لاسراره لانه بالاطلاع بحار علوم الحكمة فما اني اقتصرت على النكت المفيدة

في هذا الكتاب تفصيله لا يصلح لينتفع به فحول العلماء والمبتدئون ان شاء الله
تعالى العارض الثالث القضاء وورود انواعه وانما كان فيه الرضاء لعلتين
ان يرضى بقضاء الله سبحانه وذلك لامرين احدهما التفرغ للعبادة لانك
اذا لم ترض بالقضاء فتكون مهموما مشغول القلب ابدا بانه لما ذا كان كذا
ولا يكون كذا فاذا اشتغل القلب بشيء من هذه الهموم كيف يتفرغ للعبادة
اذ ليس لك الا قلب واحد وقد ملأته من الهموم وما كان من امر الدنيا وما
يكون فيها فاي موضع يبقى فيه لذكر العبادة وفكر الاخرة ولقد صدق شقيق
ان حسرة امور الحزنة الماضية وتدبير الاتية قد ذهب ببركة ساعتك هذه
والثاني من الامرين خطر ما في السخط من غضب الله سبحانه ولقد روي ويقال
في الاخبار ان نبيا من الانبياء شكى بعض ما نالهم من المكروه الى الله فاوحى الله
اليه اتشكوني ولست باهل ذم ولا شكوى هكذا بدو شانك في علم الغيب فلم تسخط
قضائي عليك اتريد ان اغير الدنيا لاجلك وابدل اللوح المحفوظ بسببك
فاقضي ما تريد دون ما اريد ويكون ما تحب دون ما احب فبعزتي حلفت لئن
تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لاسلبنك ثوب النبوة ولاوردنك النار
ولا ابالي فتلك فليتأمل القابل هذه السياسة العظيمة والوعيد الهائل مع انبيائه
اسمع واصفيائه فكيف مع غيرهم ثم قوله تعالى لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى
فهذا في حديث النفس وتردد القلب فكيف بمن يفزع ويصرخ ويستغيث و
يشكو ويبادي بالويل والصراخ من ربه الكريم المحسن على رؤوس الملاء ويتخذه
اعوانا واصحابا فهذا لمن يخاصره فكيف بمن هو في السخط على الله

وهذا

وهذا من يشكي اليه فكيف بمن يشكي الى غيره نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا
ونسال الله ان يعفو عنا ويغفر لنا سوء ذنوبنا ويصلحنا بحسن نظره انه ارحم الراحمين
فان قيل فما معنى الرضا بالقضاء وحقيقة ذلك فاعلم ان علماءنا قالوا الرضا
ترك السخط والسخط ذكر غير الذي قضى الله سبحانه بانه اولى به واصلح له فيما لا
يتيقن فساده وصلاحه هذا شرطه فاعلم ذلك فان قلت اليس الشرور والمعاصي
بقضاء الله وقدره فكيف يرضى العبد الشر ويلزمه ذلك فاعلم ان الرضا انما
يلزم بالقضاء وقضاء الشر ليس بشر وانما الشر هو المقضي فلا يكون الرضا
بالشر وقد قال شيخنا رحمهم الله المقضيات اربعة نعمة وشدة وخير وشر فالنعمة
يجب بها الرضاء بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه الشكر من حيث انها نعمة والشدة
يجب فيها الرضاء بالقضاء والقاضي والمقضي عليه ذكر المنة من حيث انه خير وفقه
والشر يجب عليه فيه الرضاء بالقضاء والقاضي والمقضي من حيث انه مقضي لا من حيث
انه شر وكونه مقضيا يرجع الى القضاء والقاضي بالحقيقة وهذا كما قال ان من رضي
مذهب المخالف ان يكون معلوما له لا ان يكون مذهبا له ثم كونه معلوما
يرجع الى العلم فالرضاء والمحبة انما يكون بالحقيقة للعلم بمذهب المخالف لا عليه
فكذا المقضي بالشر فان قلت الرضا هل يكون مستزيدا قيل له نعم بشرط الخير
والصلاح دون الحكم فالتحجيد لك من الرضا بل يدل ذلك على الرضاء فهو
اولى لان من اعجبه شيء ورضي فلا بد ان يزداد منه وكان صلى الله عليه وسلم اذا احضر اللبن
يقول اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وفي غيره يقول ارزقنا خيرا منه وفي
موضع من الموضعين لم يدل على انه راض بما قدر الله منه ذلك فان قلت فلم يذكر عن

البتة الا استثناء بشرط الحزم والصلاح فاعلم ان هذه الامور انما تكون بالقلب وانما الشان عبارته عن ذلك فلا تعتبر ترك عبارته مع حصوله بالقلب فاعلم ذلك **العارض الرابع**

الشدايد والمصايب انما كفايتها بالصبر في المواطن وانما ذلك لامرين احدهما الوصول الى العبادة وحصول المقصود منها فان مبنى امر العبادة كله على الصبر واحتمال المشقة فمن لم يكن صبورا لم يصل الى شيء منها بالحقيقة ومن ذلك ان من قصد عبادة الله سبحانه وتجرد لها لحقته استقبلته الشدايد والمحن والمصايب من وجوه احدها انه لا عبادة الا في نفسها مشقة ولذلك كل هذا الترغيب فيها ووعد الثواب عليها اذ لا يتاتى فعل العبادة الا بقمع الهوى وقهر النفس وهو من اشق الامور على الانسان وثانيها ان العبادة تورث العبد اذا فعل الخير مع المشقة لزيد الاحتياط لها حتى لا يفسد عليه والابقاء على العمل اشد من العمل وثالثها ان الدار الاخرة دار محنة فمن كان فيها فلا بد من الابتلاء بشدايدها ومصايبها وذلك اقسام المصيبة في الاهل والقرابات والاخوان والاصحاب بالموت والفقد والفراق وفي النفس بانواع الامراض والاوجاع وفي العرض بقبال الناس بالاذى والطعن فيه والاشتهار بالكذب والغيبة والكذب عليه وفي المال بالذهاب والتلف والتاكل وواحدة من هذه المصايب تتعدد وتختلف من نوع الى النوع الاخر فيحتاج الى الصبر عليها كلها والا منعه الجزع والاسف عن التفرغ للعبادة ورابعها ان طالب الاخرة اشد بلاء واكثر محنة ومن كان الى الله تعالى اقرب فالمصايب في الدنيا اكثر والبلاء عليه اشد اما تسمع قوله تعالى اشد الناس بلاء الانبياء ثم العلماء ثم

ثم الامثل فالامثل فاذا من قصد الخير وتجرد الطريق الاخرة استقبلته هذه المحن فان لم يصبر عليها ولا يكون بحيث لا يلتفت اليها انقطع عن الطريق واشتغل عن العبادة فلا يصل الى شيء من ذلك ولهذا علمنا الله تعالى بالتقاء المحن والمصايب فابتلانا بها حتى ذكره واكده فقال تعالى لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا ثم قال وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور فكانه يقول واظبوا انفسكم على انه لا بد لكم من انواع البلاء فان تصبروا فانتم الرجال وعزايمكم عزايم الرجال فاذا من عزم على عبادة الله يجب لا ان يعزم على الصبر الطويل ويوطن نفسه على احتمال المشاق العظيمة المتوالية الى الموت والا فقد قصد الامر بغير ايده وآتاه من غير جهته ولقد ذكر عن الفضيل انه قال من عزم على قطع طريق الاخرة فيجعل في قلبه اربعة الوان من الموت الموت الابيض والاحمر والاسود والاخضر فالموت الابيض الجوع والاسود احتمال اذى الناس والاحمر مخالفة الشيطان والاخضر الوقايع بعضها على بعض والثاني من الامرين ما في الصبر من خير الدنيا والاخرة فمن ذلك النجاة والنجاح قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا معناه من يتق الله بالصبر يجعل له مخرجا من الشدايد ومنها الظفر بالاعداء قال الله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين ومنها الظفر بالمراد قال سبحانه وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقيل في جواب يعقوب انه لما صبروا ظفروا فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وفي هذا المعنى قيل لا تياسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا

بذي الصبر ان يحظى بحاجته وبمدمن القرع للابواب ان يلجا ومنها التقدم على الناس والامامة قال الله سبحانه وتعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا ومنها ثناء الله تعالى وتقدس قال الله سبحانه انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب ومنها البشارة والصلوة والرحمة قال اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ومنها الكرامة العظيمة قال تعالى سلام عليكم بما صبرتم ومنها ثواب بلا مقدار ولا نهاية خارج عن اوهام الخلق وعدهم وتحصيلهم قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فسبحانه من سبيل ما اجلها واكرمه وكل هذه الكرامات في الاخرة والدنيا تعطيها على صبر ساعة فبان لك ان خير الدنيا والاخرة كله في الصبر قال صلى الله عليه وسلم ما اعطي احد من عطاء خيرا واوسع من الصبر وعن عمر جميع خير المؤمن في صبر ساعة واحدة ولقد احسن القايل حيث يقول

الصبر مفتاح ما يرجى ۝ وكل خير به يكون ۝ اصبر وان طالت الليالي
فربما امكن الحرون ۝ وربما نيل باصطبار ۝ ما قيل هيهات لا يكون ۝

وبعضهم يقول صبرت وكان الصبر مني سجية وحسبك ان الله اثنى على الصبر فعليك باغتنام هذه الخصلة الشريفة وبذل المجهود فيها لتكون من الفايزين والله سبحانه ولي التوفيق فان قلت فما حقيقة الصبر وحكمه فاعلم ان لفظ الصبر من طريق اللغة الحبس قال الله سبحانه واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم اي احبس نفسك معهم وانما يوصف الله سبحانه بالصبر على معنى حبسه العذاب عن المجرمين فلا يعجلهم ثم المعنى الذي هو من مساعي القلب سمي صبرا لانه حبس النفس عن الجزع والجزع فيما قال العلماء ذكروا اضطراب في الشدة وقيل بل اراحة الخروج

عن الشدة بالحكم والصبر تركه وحسن الصبر ذكر مقدار الشدة ووقتها وانها لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدم ولا تتاخر ولا فايدة في الجزع بل فيه الضرر والخطر وحسن هذه المحن ذكر حسن عوض الله وكرم الاجر في ذلك للعبد فهذه وبالله التوفيق **فصل** فعليك بقطع هذه العقبة الشديدة المنيعة بدفع هذه العوارض الاربعة واحترازك عنها والا فلا تدعك تنقطع عن مقصودك من العبادة وتشغلك بها فضلا عن ان تدركها وتحصلها وان كل واحد منها شغل شاغل عاجلا واجلا ثم ان اعظمها واعضلها امر الرزق وتدبيره فانه البلية الكبرى لعامة الخلق اتعبت نفوسهم وشغلت قلوبهم واكثرت همومهم وغمومهم وضيعت اعمارهم واعظمت تبعاتهم واوزارهم وعدلت بهم عن باب الله سبحانه وحملتهم الى خدمة الدنيا ومن من المخلوقين فعاشوا في الدنيا في غفلة وظلمة ونصب وتعب ومهانة ووردوا الاخرة مفاليس بين ايديهم الحساب والعذاب ان لم يرحم الله سبحانه بفضله فانظر كم ايات انزل الله تعالى في ذلك وكم من ذكر وعده وضمانه وقسمه في ذلك ولم تزل الانبياء والعلماء يعظون الناس ويبينون لهم الطرق ويصنفون لهم الكتب ويضربون لهم الامثال ويخوفونهم بالله تعالى وهم مع ذلك لا يهتدون ولا يستيقظون ولا يتقون ولا يطمئنون بل هم في غمرة من ذلك لا يزالون يخافون ان تفوتهم غداء وعشاء واصل ذلك كله قلة التدبر لايات الله وقلة التفكر في صنايع الله وترك التذكر لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك التامل لاقوال الصالحين مع الاستماع لوساوس الشياطين والاصغاء الى كلام الجاهلين والاغترار بعادات الغافلين

حتى تمكن الشيطان منهم ورسخت العادات في قلوبهم فتؤدي بهم ذلك الى ضعف القلب
ورقة اليقين واما الاخيار الذين هم اولوا الابصار وارباب الجد والاجتهاد
ابصروا طريق السماء فلم يعبؤوا باسباب الخلق واعتصموا بحبل الله فلم يلتفتوا
بعد الى الخلق ووثقوا بالله عز وجل واستمروا على طريقه فلم يلتفتوا الى وساوس
الشيطان والخلق والنفس واذا وسوس لهم شيطان او نفس او انسان نفى قاموا
بالمناقشة والمدافعة والمخالفة حتى ولى الخلق عنهم ونكص عنهم الشيطان وانقادت
لهم النفس واستقامت لهم الطريق المستقيم على ما ذكر عن ابرهيم بن ادهم انه لما
اراد البادية على تجرده ذلك اتاه الشيطان يخوفه ان هذه بادية مهلكة
ولا زاد معك ولا سبب فعزم على نفسه ان يقطع البادية على تجرده ذلك وان
لا يقطعها حتى يصلي تحت كل ميل من اميالها الف ركعة وفاء بما عزم عليه وبقي
في البادية اثنتا عشرة سنة حتى ان الرشيد حج في بعض تلك السنين فرآه تحت
ميل يصلي فقال هذا ابرهيم بن ادهم يصلي فاتاه فقال كيف تجدك يا ابا اسحق
فانشأ ابرهيم يقول ۞ نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ۞ فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
۞ فطوبى لعبد آثر الله ربه ۞ وجاد بدنياه لما يتوقع ۞ وعن بعض الصالحين
انه كان في بعض البوادي فوسوس له الشيطان بانك مجرد وهذه بادية
لا عمران فيها ولا ناس فعزم على نفسه بان يمضي على تجرده وان يترك الطريق
حتى لا يقع باحد من الناس ولا ياكل شيئا حتى يجعل في فمه السمن والعسل
فعدل عن الشارع ومر على وجهه قال فمشيت ما شاء الله فاذا بقافلة قد ضلت
الطريق وهم يتحيرون فلما ابصرتهم رميت نفسي الى الارض لعلهم لا يبصروني فجاءوا

حكاية

ابائه



الله تعالى حتى وقفوا علي فغمضت عيني فدنوا مني فقالوا هذا منقطع غشي
من الجوع والعطش فاتوا بسمن وعسل وقالوا اجعلوه في فمه لعله يصحو فشددت
فمي واسناني فاتوا بسكين ليعالجوا فمي حتى فتحوا فمي ففتحت فاي
فلما رأوا ذلك قالوا امجنون انت قلت لا والحمد لله ربي واخبرتهم بجميع
ما جرى لي مع الشيطان وعن بعض مشايخنا قال نزلت في بعض اسفاري
مسجدا ايام التعلم وكنت مجردا على عادتي ولباسنا فوسوس لي الشيطان
ان هذا مسجد بعيد عن الناس لو صرت الى مسجد بين الناس يراك اهله
فقاموا بكفايتك فقلت لا ابيت الا ههنا وعلي عهد الله ان لا آكل شيئا
الا الحلو ولا آكل حتى يوضع في فمي لقمة لقمة وصليت العتمة واغلقت الباب
فلما مضى هدء من الليل اذا انا بانسان يدق الباب فلما مضى هدء من الليل
اذا انا ومعه سراج فلما اكثر الدق فتحت الباب فاذا انا بعجوز ومعه شاب
فدخلت ووضعت بين يدي طبقا من الخبيص وقالت هذا الشاب ولدي
صنعته هذا الخبيص وجرى بيننا كلام فحلف ان لا ياكل حتى ياكل معه رجل غريب
وقالت هذا الغريب الذي في المسجد فكل رحمك الله واخذت تضع في فمي لقمة
وفي ثم ولدها لقمة فهذه وامثالها من مجاهدات الصالحين ومناقضاتهم
للشيطان وان لك في ذلك فوائد كثيرة احديهما انك تعلم ان الرزق لا يفوت
من قدر له بحال والثانية ان امر الرزق والتوكل لهما واحد وان الشيطان
منه هو ابدا موسوسا وسوسا عظيما حتى ان مثل اولئك الائمة الزهاد لم يتخلصوا
ذلك ولم يياس عنهم الشيطان بعد طول تلك الرياضات وكثرة المجاهدات

التي سبقت لهم حتى احتاجوا الى مثل هذه المناقضات ولعمري ان من جاهد
النفس والشيطان سبعين سنة لا يؤمن ان يوسوسا اليه كما يوسوسان
لمبتدئ في العبادة بل لغافل لم يجتهد ساعة في الرياضة ولو طلعوا اليه يوما
واهلكاه هلاك الغافلين المغترين وفي ذلك عبرة لاولي الابصار العائق الخامس
ان تعلم ان الامر لا يتم الا بالجد المحض والمجاهدة البالغة والهمم كانوا الجماعة
دماؤهم دماؤنا ووجوههم مثلك بل كانوا احف ابدانا واضعف اركانا وادق
عظاما منك ولكن كانت لهم قوة العلم ونور اليقين وهمة امر الدين حتى
قووا على مثل تلك المجاهدات ونجوا تلك المعاملات فانظر لنفسك رحمك الله
وابادنا وداها وهاهي هذا الداء العضال لعلك تفلح ان شاء الله سبحانه فصل
ثم اعلم بعد جملة الجملة اي عبد ذلك نكتا وحيلها تجب تنكت في القلب
وتكفيك مؤنة هذا الباب نذكر على والحسن الحق ان تامليها وعملت
بها والله سبحانه الموفق الاولى ان تعلم ان الله تعالى ضمن الرزق لعباده
في كتابه بر فضله ضمن رزقك وتكفل تبرعا تقول لو وعدك ملك من ملوك الدنيا
انه يضيفك الليلة ويغديك وانت حسن الظن به انه صادق ولا يكذب ولا
يخلف الوعد بل لو وعدك بذلك سوقي او يهودي او نصراني او مجوسي
عندك مستور بظاهره عفيف في معاملته السنين بوعده ونطمئن
ولا تهتم بالعشاء في تلك الليلة اتكالا عليه فالله وفي وعدك الله سبحانه وقد
ضمن لك رزقك وتكفل به بل اقسم عليه في عز صنع وانت لا تطمئن بوعده
ولا تسكن الى قوله وضمانه ولا تنظر الى قسمه بل تضطرب قلبك تهتم حيالها

نهتم ظ

من ضعف

من ضعيفة لو رايت وبالها من مصيبة لو علمت وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
انه قال التطلب الرزق من عند غير الله ولتتحيص من فوق العوايب اما او
ترضى بحرامه وان كان مشركا ضمينا ولا ترضى برب ضامنا فلهذا المعنى
يجر هذا الامر الى الشك ويخاف على صاحبه والعياذ بالله سلب المعرفة
والدين ولهذا قال سبحانه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وعلى الله
فليتوكل المؤمنون فحسب المؤمن المهتم لدينه هذه الكلمة الواحدة
ولا حول ولا قوة الا بالله الثانية ان تعلم ان الرزق مقسوم صح ذلك
في كتاب الله واخبار رسول الله صلعم وتعلم ان قسمته لا يتغير ولا يتبدل
فان انكرت القسمة او جحدت بعضها كذلك ذلك باب الكفر نعوذ
نعوذ بالله وان علم انه لا يتغير فاي فائدة في الاهتمام والطلب الا
الذل والهوان في الدنيا والشدة والخسران في الاخرة ولذلك قال
حكي بعض ظهر الحوت مكتوب رزق فلان بن فلان فلا يزداد الحريص
الا جهدا وفي ذلك يقول شيخنا ان كان لم اجتهد ان عقلاه فلا تغضب
عن تنقل رزقك ويحك بالعز ولا تاكله بالذل وهذه نكتة مقنعة للرجال
فصل سمعت شيخ الامام علي بن الاستاذ انه كان يقول ان ما نقص
في اثنين الرزق تكون وقلت لنفسي ليس هذا الرزق للحيوة والعيش والمرء
ما يصنع بالرزق فاذا كان حيوة العبد في خزائنه الله تعالى بيده ان
شاء يعطيني وان شاء يمنعني فهو غيب عني موكول الى الله تعالى يدبره كيف
شاء فانا اسكن النفس بذلك وعده نكتة لطيفة مقنعة لاهل الحقيقة

فصل إنه ما ذكرنا في هذا الفصل أن الله تعالى ضمن رزق العبد ولم يضمن
إلا الرزق الموعود الذي هو الغذاء والتربية وبه القوام والعدة
وأما الأسباب من الطعام والشراب فالعبد إذا تجرد لعبادة الله تعالى
وتوكل عليه من بيّنا فيحبس عنه الأسباب فلا يبالي بذلك ولا يهوله لما علم
من حقيقة الأمر أن الضمان لقوام البنية والتوكل على الله تعالى إنما هو في
هذا المعنى لا غير ولا ينظر من الله تعالى في هذا المعنى فإن الله سبحانه لا محالة يمده
بالقوة ليقوم بحق العبادة والخدمة ما دام له أجل وتكليف بالعبادة هذا
هو المقصود والله سبحانه قادر على ما يشاء فإن شاء أقام بنيته بغير طعام
أو شراب بطين وتراب وتسبيح وتهليل كالملائكة وإن شاء بغير هذا كله فيدير
فمطلوب العبد إلا القوام والقوة للعبادة لتبقى له الأكل والشرب وسلة الشهوة
ونيل اللذة فلا اعتبار بالأسباب البتة إذا ولهذا المعنى قويت الزهاد
وسير العباد على الأسفار وطي الليالي والأيام فمنهم من لا يأكل عشرة أيام ومنهم
من لا يأكل شهرا أو شهرين وهو على قوته ومنهم من كان يسف الرمل فيجعله
الله تعالى غذاءه نحو ما ذكر عن سفيان الثوري أنه نفدت نفقته بمكة فمكث
خمسة عشر يوما يسف الرمل وقال أبو معوية الأسود رأيت إبراهيم بن أدهم
يأكل الطين عشرين يوما وعن الأعمش قال لي إبراهيم التيمي ما أكلت منذ شهر
قال ولا شهرين إلا أن أناسا سري على عنقود من عنب فأكلته فأنا
أشتكي بطني قلت أنا ولا تعجبن من ذلك فإن الله سبحانه العادة على ما شاء
وهذا مريض تراه لا يأكل شهرا وهو حي يعيش والمريض على كل حال الضعف

نفسا وأرق طبعا من القوي أما الذي يموت جوعا فذلك أجله حل كما أن الذي
يموت شبعا وتخمة ولقد بلغني عن أبي سعيد الخراز أنه قال كان نحالي مع
الله سبحانه أن يطعمني في كل ثلاثة أيام فدخلت البادية فمضت علي ثلاثة أيام
ما طعمت فلما كان اليوم الرابع وجدت ضعفا فجلست فكأني إذا بهاتف
يقول يا أبا سعيد أيما أحب إليك سبب أو قوة قلت إلا القوة فقمت من وقتي
وقد استقامت قامتي ثم مشيت اثني عشر يوما ما طعمت ولا وجدت الماء كذلك فإذا
ما رأى العبد احتباس الأسباب عنه وعلم من نفسه التوكل على الله سبحانه فيتيقن
أن الله سبحانه يمده بالقوة فلا يحزن لذلك بل حق أن يشكر الله تعالى في ذلك
شكرا كثيرا فإن له المنة والصنع واللطف إذا دفع عنه المؤنة وأعطاه المعونة
وحصل له الأصل والمقصود ودفع عنه الثقل والواسطة وخرق له
العادة وأراه طريق القدرة وأن شبه حاله بحال الملائكة ودفعه عن
حال البهائم وإنما مثلنا الكرامة فتأمل هذا الأصل الكبير تغنم الربح العظيم
إن شاء الله قلت أيضا ولعلك أن تقول الحيث في هذا الفصل خلاف شرط
الكتاب فإنه لو قال العمل إنما إنه العليل في حيث ما يحتاج إليه في هذا المعنى إذ هو أهم شأن
في العبادة بل عليه مدار أمر الدين والدنيا في لزهده في هذا الشأن فليتمهد
بذلك وليس لحقه والأهم عن المقصود يعتزل والذي يدلك على خيرة علماء
الآخرة العابدين بالله عز وجل أنهم بنوا أمرهم على التوكل على الله والتفرغ
لعبادته وقطع العلائق كلها فكم صنفوا من كتاب كم أوصوا بوصية و
فيض الله لهم أعوانا من السادات وأحطا بأشياء لهم من الخير الحسن ما لم ينتش

الطائفة من طوائف الأئمة الزهاد الكرامية على أصول غير صحيحة وما دلنا عزه
ما دمنا على منهاج أئمتنا نخرج من عقابيلنا ومدارسنا كل خير لنا أما أئمة في
العلم كالأستاذ أبي إسحق وأبي حامد وأبي الطيب وأبي بكر وشيخنا الإمام أبي
المعالي وأما أئمتهم من السادات وأما صحابه في العبادة كأبي إسحق الزرادي
وأبي سعيد الصوفي ونصر المقدسي وغيرهم رحمة الله عليهم ممن قام الأمة
علما وزهدا حتى ضعفت القلوب في تلقيها بغير من العلائق التي خرجها الكتب
من تقدمها فتراجعت الأمور وتقاعدت الهمم وطاحت البركات وزالت اللذات
والحلاوات فلا يكاد يصفو لأحد عبادة أو يحصل له علم وحقيقة وإنا اللمعة
التي نحن فيها الآن لبثت من بقي على منهاج أسلافنا وشيوخنا المتقدمين
كالحارث المحاسبي ومحمد بن إدريس الشافعي وحرملة وغيرهم من أئمة الدين بعضهم
فهم كما قيل فما صحبوا الأيام إلا تعففا • وما وجدوا من حب سيدهم بدا •
فما أفضل صد يعوق أهل ولا بها إلى • سبيل السادات فهم جعلوا فعلوا •
يخلل عقد الصبر من كل صابر • وما حلت الأيام من عقد عقدا •
وكنا في الصدر الأول أحزانا سوفه • وكنا فوشا ما حضرنا دحا لنا •
ولكنا لا نقطع عن الطريق بمرة والله المستعان على المصائب والمسؤول
أن لا يبتلينا هذا الوقت إنه جواد كريم منان رحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم   فتأمل ثم أصلين مهمين
أنك تعلم أن الاختيار لا يحصل إلا لمن كان عالما بالأمور بجميع جهاتها
ظاهرها وباطنها حالها وعاقبتها وإلا فلا تأمن أن تختار الفساد والهلاك

نستفاد من كلام المحدث أنه كان شافعي المذهب

عليها ثم الخير والصلاح ألا ترى أنك لو قلت لقروي أو بدوي غنم أشكل لي هذه
الدراهم وميز بين جيدها ورديئها فإنه لا يهتدي لذلك ولو قلت لسوقي
غير صيرفي أو بما عسى أيضا فلا يأمن أن يخطئ إلا بأن يقوى فيها على الصيرفي
الخبير بالذهب والفضة وقلبها من الخواص والأسرار وهذا العلم المحيط
بالأمور من جميع الوجوه لا يصلح إلا لرب العالمين فلا يستحق إذا أحد أن
يكون له الاختيار والتدبير إلا الله سبحانه وحده لا شريك له ولذلك يقول
عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ثم قال وربك يعلم ما تكن
وحكي أن بعض الصالحين قيل له سل الله تعالى أن يفعل وكان موفقا فقال
إن عالما بجميع الوجوه يقول الجاهل من جميع الوجوه سل يفعل كذا إني أعلم ما لا يحتاج
فأسأله ولكن أخبرني إلى فهمه هنده ما   ما تقول الآن
رجل قال لك إلي أمور جميع أمورك وأدبر ما تحتاج إليه من مصالحك فوض
الأمر كله إلي واشتغل أنت بشأنك الذي يعنيك وهو صديقك أعلم أهل
زمانك وأحكمهم وأقواهم وأرحمهم وأنفاهم وأصدقهم وأوفاهم ألست
تغتنم ذلك وتعده أعظم نعمة وتقدم له أو من شكره وأجمل ثنائه ثم إذا دبر
لك شيئا لا تعرف وجه الصلاح فيه فلا تتحير لذلك بل تسكن وتطمئن إلى تدبيره
علما أنه لا يختار لك إلا ما هو الخير وما يتصل لك إلا الصلاح كيف ما كان كل
تفصيلها وكلت الأمر إليه وضمن ذلك فما لك إذا ألا أن تفوض الأمور كلها
إلى الله تعالى رب العالمين وهو الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض فهو
أعلم كل عالم وأقدر كل قادر وأرحم كل راحم وأغنى كل غني بحال لك اللطيف

وحسن تدبيره لما لا يبلغه علمك وما لا يدركه فهمك واشتغل انت بما انت
الذي يعنيك من عاقبتك واذا اختار لك امرا لا تعلم وجه سره وحيث خالف
ما احببت لنفسك فكيف ما كان فهو الصالح والخير فتامل لهذا الاصل ان شاء الله تعالى
وبالله التوفيق   فتامل فيه اصلين عظيمين لا بد منهما
احدهما ما في الرضا من الفائدة في الحال بفراغ القلب وقلة الهم من غم فلذلك
ولذلك قال بعضهم الرضا اذا كان القلب صحيحا فالهم فضلة واصل الخبر المأثور
عن النبي صلعم انه قال لابن مسعود رضي الله عنه ليقل همك ما قدر يكون وما لم يقدر
لم ياتك هذا من الكلام الجامع النبوي النافع في قلة لفظه وكثرة فائدته معنا
في المآل فثواب الله سبحانه ورضوانه لقوله تعالى رضي الله عنهم
ورضوا عنه وما في السخط من الهم والحزن والضجر في الحال ومن الوزر والعقوبة
في الآخرة بلا فائدة اذ القضاء نافذ فلا ينصرف بهمك وسخطك كما قيل
ما قد قضي يا نفس فاصطبري له ولك الامان من الذي لم يقدر والعاقل لا
يختار الهم بلا فائدة مع الوزر والعقوبة على ما في الرضا من راحة القلب وثواب الجنة
على ما في السخط من عظيم الخطر والكفر والنفاق الا ان يتداركه الله
وتامل قوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية كيف اقسم
واقسم على من سخط قضاه سبحانه وروينا ان الله تعالى يقول من لم يرض بقضائي
ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ ربا سوائي فكانه يقول هذا الذي سخطني ربا
ربا حين سخط فليتخذ ربا احق برضاه وهذا غاية الهم يبدوا لو عقل من غفل
عن الله ولقد صدق بعض السلف لما قيل له ما العبودية والربوبية فقال الرب

ان

ان يقضي وللعبد ان يرضى فاذا قضى الرب ولم يرض العبد فما هناك ربوبية
ولا عبودية فتامل هذا الاصل وانظر لنفسك لعلك تسلم بعون الله تعالى و
توفيقه   فانه دواء مر وشربة صابرك يجلب كل منفعة
ويدفع عنك كل مضرة واذا كان الدواء بهذه الصفة فالانسان العاقل
يكره النفس على شربه وتجرعه ويقضي على مرارته وحدته ويقول مرارة ساعة
وراحة سنة فاما المنافع التي يجلبها الصبر فاعلم ان الصبر بعد اقسام
صبر على الطاعة وصبر على المعصية وصبر على فضول الدنيا وصبر على المحن والمصائب
فاذا احتمل الصبر ومرارته وصبر في هذه المواطن الاربعة يحصل له الطاعات
في منازلها والاستقامة وثوابها الجزيل في العاقبة ثم لا يطمع في المعاصي
ويلبانها في الدنيا وتبعاتها في الآخرة ثم لا يبتلي بطلب الدنيا وما لها من الشغل
في الحال والتبعة في المآل ثم لا يحبط امره على ما ابتلي به ويذهب بمحض الذاب بسبب الصبر
الطاعة ومنازلها الشريفة وثوابها والتقوى والزهد والعوز والثواب الجزيل
من الله وتفصيل ذلك امر لا يعلمه الا الله تعم واما دفع المضار فيرجع الى من يؤته
الجزع ومفاسده في الدنيا ثم وزره وعقوبته في العقبى فاما ان ضعف عن الصبر
وسلك طريق الجزع فانه كل منفعة وجلبه كل مضرة اذ لا يصبر على مشقة الطاعة
فلا يفعل الطاعة ولا يصبر على حفظها بحفظها كذا ولا يصبر على المواظبة عليها ولا
يصل الى المنزلة الشريفة منها من درجات الاستقامة ولا يصبر على معصية فيمتنع منها
وعن فضول فيشتغل بها ولا يصبر على مصيبة فيحرم ثواب الصبر وربما يكثر الجزع
فيفوته العوض بسبب ذلك فيكون مصيبا ان فوت الشي وفوت الاجر والعوض وحلول

المكروه وحرمان الصبر ولقد قيل حرمان الصبر اشد من الصبر فاي فائدة في تضييع
بالحاصل الموجود ولا يرد عليك الذاهب المفقود فاجتهد انه انما قائل احدهما
فلا يفوتك الآخر من الكلام الجامع ما ذكر ان عليا كرم الله وجهه عزى رجلا فقال ان
صبرت جرت عليك المقادير وانت ماجور وان جزعت جرت عليك المقادير
وانت مازور ثم اقول جل الامر ان قطع القلب عن العلايق الماء الوقت ومنع
النفس عن العادات الراسخة بالتوكل المحض على الله تعالى وترك التدبير في
الامور وتفويضها الى الله سبحانه من عز علم بما هو الخير فيها ومنع النفس عن السخط
والجزع مع تنازع النفس اليه واكراهها على اللجام الرضا وتجرع مرارة الصبر لتنزيها
عن ذلك امر مر وعلاج شديد وحمل ثقيل ولكنه يدبر ثدي وطريق مستقيم
وله عاقبة محمودة واحوال سعيدة مسعودة وما تقول في الوالد المشفق الغني
اذا منع ولده الطريق رطبة او تفاحة باكلها وهو ارمد وسلمه الى المعلم
الغليظ الباس ويحبسه طول النهار عنده ويفجره ويحمله الى الحجام ليحجمه من وجعه
ويقلقه اترى يمنع ذلك من بخل فيه كيف وهو يعطي الاحباب ويوسع عليهم
اهوانا بهذا الولد كيف وهو يكتب له جميع ما في يديه او قصد بذلك اتعابه
وايذاه لبغض له كيف وهو قرة عينه وثمرة فؤاده لو هبت عليه ريح لعز عليه
كلا ولكن لما علم ان صلاحه في ذلك وان بهذا النصب القليل يصل الخير الكثير
ونفع عظيم وما تقول في الطبيب الناصح المشفق المحب اذا منع المريض الذي يزيد
ماء وهو ضمانه كبده او سقيه شربة اهليلج كريهة يجزع من ذلك نفسه و
طبيعته اترى ان ذلك منه معاداة وايذاء كلا بل هو نفع واحسان لما علم يقينا

ان

ان في اعطائه شهوته ساعة هلاكه وعطبه راسا وفي منع ذلك شفاؤه ونجاته
فتامل ايها الرجل اذا حبس الله عنك دنيا او درهما فتعلم يقينا انه يملك ما
لا يعدونه فتعلم يقينا انه الملك ما يده بعد على ايضا لانك عارف الجود والفضل ويعلم ذلك فلا يخفى عليك شيء
فلا عداوة ولا عجز ولا خفاء ثم عن ذلك وتقدس فانه اغنى الاغنياء واملك الملوك وازهد
واعلم العلماء واجود الاجودين فتعلم اذا بالحقيقة انه لا يفعل الا الصلاح
واختيار كيف هو ويقول خلق لكم ما في الارض جميعا كيف وهو الذي حاباكم
بمعرفة وهي التي لا يشتري بها الدنيا باسرها وفي الخبر المشهور ان الله
سبحانه يقول اني لاذود اوليائي عن النعيم كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك
العزة واذا ابتلاك بشدة فاعلم يقينا انه غني عن امتحانك وابتلائك
عالم بحالك بصير بضعفك وهو بك رؤوف رحيم اما تسمع قوله صلعم الله ارحم
بعبده من الوالدة الشفيقة بولدها فاذا علمت انه لم يبتلك بهذا المكروه
الا لصلاح لكن جهلته انت والله عليم بذلك ولهذا المعنى تراه يكثر الابتلاء
اولياءه واصفياءه الذين هم اعزة عباده حتى يقول صلعم اذا احب الله قوما
ابتلاهم ويقول اشد الناس بلاء الانبياء ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل
واذا رايت الله يحبس عنك الدنيا ويكثر عليك الشدائد والبلوى فاعلم
انك عنده عزيز وانك عنده بمكان وانه يسلك بك طريق اوليائه
فانه يراك ولا يحتاج الى ذلك اما تسمع قوله تعم واصبر لحكم ربك فانك باعيننا
بل اعرف منته عليك من ثوابك ويكثر من اجزل ثوابك ويبلغك منازل
الابرار والاعزة عنده فلم ترى من عواقب حميدة ومواهب كريمة والله

ولي التوفيق بمنه وفضله   في الجملة اذا علمت يقينا ان الله تعالى المتكفل
بضمان رزقك الذي لا بد لك منه في بقائك وما طالبك به عبادته فانه
القادر على ما يشاء كيف يشاء وهو البصير بحاجتك حالا فحالا استغفر فيما عجز
اتكلت على ضمان الحق ووعده الصدق وسكن قلبك واعرضت عن ذكر
العلائق والاسباب وتعليق قلبك بها اذ العلائق لا تغنيك ولا تكفيك
دون الله تعالى فانه الحكم بتيسير اكلها وشربها ثم هو الذي يمن بها ويهنيها
ثم هو الذي يحفظك من نتنها ونفعها ويدفع عنك ثقلها وضررها وهو الله ثم
يغنيك ويكفيك دونها اذا شاء فالامر كله اليه وحده لا شريك له فتوكل عليه
لا على غيره وكن لك ترك التدبير حتى الى من بيده السماء والارض وتريح نفسك
عن كل شي لا يبلغه علمك وبصرك عن امر يكون غدا او لا يكون وانه كيف يكون
ويكيف من ۝ ولو اذ ليس منه الا شغل القلب وتضييع الوقت ولعله يكون امر
كم يخطر ببالك فيكون ما سبق من تكونه وتدبيرك وحصل الوقت العزيز لغوا
بلا فائدة بل حسرة لما تندم عليه وتغبن فيه لكان شغل القلب وتضييع العمر في
ذلك وفي هذا المعنى لبعض الزهاد ۝ سبقت مقادير الاكوان وحكمها فارح
فؤادك من لعل ولو ۝ وقال آخر ۝ فلعل ما تخشاه ليس بكائن ۝ ولعل ما
ترجوه ليس يكون ۝ سيكون ما هو كائن في وقته ۝ واخو الجهالة متعب محزون ۝
ونقول لنفسك في الجملة يا نفس لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وهو مولينا وهو
حسبنا ونعم الوكيل اذ هو وكيل بلا نهاية بالحكمة لوحدة ومن كان بهذه الصفة
يحق ان يتكل عليه وتفوض الامر كله اليه فعليك بالتفويض وكن لك توطن

فبذل

قلبك على ان ما يقضي الله سبحانه هو الاوفق والاصلح وان ذلك لا يبلغ
علمنا الكيفية والشدة وتقول يا نفس الكائن لا بد وكائن فلا فائدة
في السخط والجزع فيما يصنع الله ثم فلا وجه للسخط الست تقولين رضيت
بالله ربا فكيف لا ترضين بقضائه والقضاء من شان الربوبية وحقها
فعليك الرضا وكذا اذا اصابتك مصيبة ومكروه فراعي نفسك عند ذلك
واضبط قلبك حتى لا يجزع ولا تظهر منه شكاية وقلق لا سيما عند الصدمة
الاولى فان الشان هنالك والنفس حينئذ دهشا الى عادة الجزع عند
ذلك وتقول يا نفس هذه وقعت فلا حيلة لدفعها وقد دفع الله سبحانه
وتعالى ما هو اكثر منها فان انواع البلاء في خزائنه كثيرة وان هذه ستنقضي
فلا تبقى فانه سبحانه سيقضي بخلافه يا نفس فلا يخلي لك سرور الجوبل
وثوابا جزيلا بعدما لا دفع للنازل ولا فائدة في الجزع ولا مصيبة في الحقيقة
في العزاء مع الصبر فتشغل لسانك بالاسترجاع وقلبك بذكر ما يحصل لك
عند الله من الاجر وتذكر صبر اولي العزم على المصائب العظام من الانبياء
والاولياء الاحبة على الله تعالى واذا حبس عنك الدنيا في وقت فتقول
يا نفس هو اعلم بالحال وارحم بك واكرم وانه الذي يطعم الكلب في خسته
ويطعم الكافر في عداوته وانا عبده العارف الموحد المنادي عنده
دعيتما ايضا فاعلمي يا حقيقة انه لم يحبس ذلك عنك الا لنفع عظيم وسيجعل الله
بعد عسر يسرا فاصبري قليلا تري العجب من لطف صنعه اما سمعت القائل
۝ توقع صنع ربك سوف يأتي ۝ بما تهواه من فرج قريب ۝

۝ ولا تيأس اذا ما ناب خطب ۝ فكم في الغيب من عجب عجيب ۝
۝ ولا تجزع اذا ما اشتدت العسر فكر ۝ فالم نشرح يسرين بعسرين ۝
اذا فكرته فافرح فاذا اجريت هذه الاذكار ونحوها وواظبت عليها بالتكرير
والتمرين فان ذلك سيهون عليك اذا كان لك همة واجتهاد زمانا غير طويل
وعند ذلك تخف هذه العوارض لا دعبار وكيفية موتها وصرت عند الله من المتوكلين
المفوضين الراضين بقضائه الصابرين على بلائه وحصلت لنفسك راحة
القلب والبدن في الدنيا وعظيم الثواب في الآخرة في العقبى وجليل القدر والمحبة
عند رب العالمين فيجتمع لك خير الدارين ويستقيم لك طريق العبادة لخلوك عن
ولا شاغل وكنت ممن قطعت هذه العقبة الحرجة والله تعالى المسؤول ان
يمدك واياك بحسن توفيقه فان الامر كله بيده وهو ارحم الراحمين ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم   في العقبة
الخامسة وهي عقبة البواعث ثم عليك يا اخي بالبر اذا استقام لك الطريق
وسهل السبيل واندفعت العوائق وزالت العوارض ولا يحصل لك البر المستقيم
الا باستشعار الخوف والرجاء والتزامهما حتما على صحتهما اما الخوف فانما
يجب البر لامرين احدهما الزجر عن المعاصي فان هذه النفس امارة بالسوء
ميالة الى الشر طماحة الى الفتنة فلا ينهاها ذلك الا بتخويف عظيم وتهديد
بالغ ولبث هي في طبعها كذا خورة بهما الوفاء ومنعها الحياء عن الخطا انما
هي كما يمثل العبد يضرع بالعصا والحق يكفيه الملامة والاشارة والثاني
في امرها ان تنزع عنها الاهمال بسوط التخويف قولا وفعلا وفكرا ونحو ما ذكر

عن

عن بعض الصالحين ان نفسه دعته الى معصية فانطلق ونزع ثيابه وجعل
يتمرغ في الرمضاء ويقول لنفسه ذوقي فنار جهنم اشد حرا من هذه اي
جيفة بالليل بطال بالنهار   لئلا تعجب بالطاعات فتهلك بل
تتبعها بالعيب والذم والنقص من الاسواء والاوزار التي فيها ضروب الاخطار
وذلك نحو ما ذكر عن النبي صلعم انه قال لو احذني انا وعيسى احد ما اكتسبت هاتان
لعذبنا عذابا لم يعذب احدا واشار باصبعيه عن الحسن انه كان يقول ما يؤمن
احدنا ان يكون قد اصاب ذنبا فطبعت عليه باب المغفرة دونه فهو يعمل في غير
معمل وعن ابن السماك فيما يعاتب نفسه تقولين مقال الزاهدين وتعملين
عمل المنافقين وتطمعين في الجنة هيهات ان للجنة قوما آخرين ولهم اعمال
غير ما تعملين فهذه وامثالها مما يلزم العبد ان يذكرها ويكون عليها لئلا يعجب
بطاعة او يقع في معصية وبالله التوفيق   فاما الرجاء
فالاستشعار لامرين للبعث على الطاعات وذلك ان الخير ثقيل والشيطان عنه
زاجر والهوى الى ضده داع وحال اهل الغفلة من عامة الخلق في النفس مقطع
منطبع مشاهد ما الثواب الذي يطلب عن العين غائب وامل الوصول اليه فيما
يحسبه بعيد واذا كان الحال هذه الحالة فلا ينبعث النفس للخير ولا ترغب فيه
حقه ولا ينهض له الا بامر يقابل كل هذه الموانع وشبا ويقابل ويزيد عليها وذلك
الامر هو الرجاء القوي في رحمة الله سبحانه والترغيب البالغ في حسن ثوابه وكريم
اجره ولعل ما قيل الحزن يمنع الطعام والخوف يمنع الذنوب والرجاء يقوي
على الطاعة وذكر الموت يزهد في الفضول   ليهون عليك



احتمال الشدايد والمشقات واعلم ان من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن
طاب له شي ورغب فيه حق رغبته احتمل شدته ولا يبالي بما يلقى من مؤنته
ومن احب احدا حق محبته احب احتمال محنته حتى لتلك المحنة جزو با
من اللذة الا ترى ان النحل لا تفكر في لسع النحل لما تذكر من حلاوة
العسل والاجير لا يعبا بارتقاء السلم الطويل مع الحمل الثقيل طول النهار
المعهد لما تذكر من اخذ درهمين وان الفلاح لا يفكر في مقاساة الحر والبرد
ومباشرة الشقاء والكد طول السنة لما تذكر من اوان الغلة فكذلك
باحق العباد الذين هم اهل الاجتهاد اذا ذكروا الجنة في طيب مقيلها وانواع
نعيمها وقصورها وحورها وطعامها وشرابها وحللها وساير ما اعد الله لاهلها هان عليهم ما احتملوه من تعب في عبادته وفاتهم في الدنيا من لذة ونعمة
او نالهم من ضر ومشقة ولقد حكي ان اصحاب سفيان الثوري رحمه الله كلموه فيما كانوا يرون
من خوفه واجتهاده ورثة حاله فقالوا يا استاد لو نقصت من هذا الجهد نلت
مرادك ان شاء الله فقال سفيان كيف لا اجتهد وقد بلغني ان اهل الجنة يكونون
في منازلهم فيتجلى لهم نور تضي له الجنان الثمان فيظنون ان ذلك نور من جهة
الرب تعالى فيخرون ساجدين فينودوا ان ارفعوا رؤسكم ليس الذي تظنون انما
هو نور جارية تبسمت في وجه زوجها ثم انشا يقول ما ضر من كانت الفردوس
مسكنه ماذا تحمل من بوس واقذار تراه يمشي كئيبا خائفا وجلا الى المساجد يمشي
بين اطمار يا نفس ما لك من صبر على النار قد حان ان تقبلي من بعد ادبار فلئن
انا فاذا كان مدار امر العبودية على الامرين القيام بالطاعة والانتهاء عن المعصية

وذلك

وذلك لا يتم مع هذه النفس الامارة بالسوء الا بترغيب وترهيب وترجية وتخويف
فانا لدابة الحرون يحتاج الى قايد يقودها والى سايق يسوقها واذا وقعت في
مهوات ومزلات تضرب بالسوط من جانب وتلوح لها بالشعير من جانب آخر حتى
تنهض وتخلص عما وقعت فيه وان الصبي العرم لا يمر الى الكتاب الا بترجية من الوالدين
وتخويف من المعلم فكذلك هذه النفس دابة حرون وقد وقعت في مهوات الدنيا فالخوف
سوطها وسايقها والرجا شعيرها وقايدها وانها الصبي العرم تحمل الى كتاب العبادة
والتقوى فذكر النار والعقاب تخويفها وذكر الجنة والثناء والثواب ترجيتها
وترغيبها فكذلك يلزم العبد الطالب للعبادة والرياضة ان يشعر النفس بالامرين
اللذين هما الرجاء والخوف والا فلا يمكنك انقياد النفس الجموح على ذلك ولهذا ترى
ان الذكر الحكيم بمجموع الامرين الوعد والوعيد والترغيب والتهديد وابلغ في كل
واحد منهما فذكر من الثواب الكريم ما لا صبر عنه وذكر من العقاب الاليم ما لا صبر عليه
فعليك اذا بالتزام هذين المعنيين يحصل لك مرادك من العبادة ويسهل عليك
احتمال المشقة والله تعالى ولي التوفيق بفضله   فاحقيقة الرجاء
والخوف وحكمها فاعلم ان الخوف والرجاء عند علمائنا يرجعان الى قبيل الخواطر
واما المقدور للعبد فعلامة انها انا لو او الخوف رعدة تحدث في القلب عن ظن مكروه
ينالهم والخشية تخوف لكن الخشية تقتضي ضربا من الاستعظام والمهابة وضد
الخوف الجراة ولكن قد يقابل بالامن فقال خائف وآمن وخوف وامن لان الآمن
الذي يجترئ على الله سبحانه والحقيقة ان الجراة بضاده ومقدمات الخوف اربع
ذكر الذنوب الكثيرة التي سبقت وكثرة الخصوم الذين مضوا الى المظالم والثاني

مرتهن لم يتبين لك الخلاص بعد والثالثة ذكر شدة عقوبة الله تعالى التي
لا قبل لك بها والثالث ذكر تعجز ضعف نفسك عن احتمالها والرابعة ذكر قدرة
الله تعالى عليك متى شاء وكيف شاء واما الرجا فهو ابتهاج القلب بمعرفة
فضل الله واسترواحه الى سعة رحمته وهذه من جملة الخواطر غير مقدور للعبد
ورجاه هو مقدور للعبد وهو تذكر فضل الله وسعة رحمته وشيء اثم ارادة
الخاطرة بالاستغناء ورجاه والمراد من هذا الباب هو الاول وهو التذكر الذي يوجب
الابتهاج والاسترواح وضده الياس وهو تذكر فوت رحمة الله وفضله وقطع القلب
عن ذلك وهو معصية محضة وهذا الرجا فرض اذا لم يك للعبد سبيل الى الامتناع
عن الياس الا به والا فهو بعد اعتقاد الجملة في فضل الله وسعة رحمته ومقدمات
الرجاء اربع ذكر سوابق فضله اليك من غير قدم او شفيع والثانية ذكر ما وعد من
جزيل ثوابه وعظيم كرامته حسب فضله وكرمه دون استحقاق اياه بالفعل اذ لو كان
على حسب الفعل لكان اقل شي واصغر امر والثالثة ذكر كثرة نعمه عليك في امر دينك
ودنياك في الحال من امداد الامداد والطاف من غير استحقاق او سؤال والرابع
ذكر سعة رحمة الله وسبقها غضبه وانه الرحمن الرحيم الغني الكريم الرؤف بعباده
المؤمنين فاذا واظبت على هذين النوعين من الاذكار فضى بك الى استشعار الخوف
والرجاء بكل حال والله ولي المؤمنين بمنه وفضله   تعليك
ايها الرجل بقطع هذه العقبة في تمام الاحتياط والحذر وحدها الرجا فانها عقبة
وتعقبها المسالك خطرة الطريق وذلك ان طريقها بين طريقين مخوفين مهلكين احدهما
طريق الامن والثاني طريق الياس وطريق الرجاء والخوف هو الطريق العدل بين

الجائرين

الجائرين فان غلب عليك الرجاء حتى تتركت الخوف البتة وقعت في طريق الامن
ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وان غلب عليك الخوف حتى تركت الرجاء
البتة وقعت في طريق الياس فلا يياس من روح الله الا القوم الكافرون فان
تركبت بين الرجاء والخوف واعتصمت بهما جميعا فهو الطريق العدل المستقيم
الذي هو سبيل اولياء الله سبحانه وتعالى واصفيائه الذين وصفهم بقوله
تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا الآية فاذا
ظهرت لك في هذه العقبة طرق ثلثة طريق الامن والجراة وطريق الياس
والقنوط وطريق الخوف والرجاء ممتد بينهما فان ملت عند من يقدم الى
يمينك وشمالك وقعت في المهلكين اوسع مجالا واكثر داعيا واوسط
ما هو كامن الطريق العدل لكن بل اذا نظرت من جانب الامن رايت من عنده
رحمة الله وكثرة فضله وغاية جوده ما لا يبقى لك معه خوف فتتكل بمرة
وتامن وان نظرت من جانب الخوف رايت من عظم سياسة الله وكثرة
هيبته ودقة امره وغاية مناقشته مع اوليائه واصفيائه ما لا يكاد يبقى معه
رجاء فتياس مرة وتقنط فتحتاج اذا ان تنظر الى سعة الرحمة فقط حتى تتكل
وتامن ولا الى عظم الهيبة والمناقشة فقط حتى تقنط ولا تياس بل تنظر الى
هذا والى هذا جميعا وتاخذ من هذا بعضا ومن هذا بعضا فتركب بينهما طريقا
دقيقا وتسلك ذلك فتسلم فان طريق الرجاء المحض سهل واسع مرخص
عاقبته يؤديك الى الضلال وان الطريق العدل بينهما طريق الخوف والرجاء
وان كان دقيقا عسرا فانه سبيل سالم ومنهج مبين يؤدي الى الغفران والكرامة

ثم الى الجنان والرضوان ولقاء الملك الرحمن سبحانه انما نسمع قوله تعالى ابتغاء هذا
السبيل يدعون ربهم خوفا وطمعا ثم قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الآية
فتامل هذه الجملة وتثمر وتنبه فانه لا ينبغي بالكون نائما والله الموفق ثم اعلم
انه لا يتاتى لك سلوك هذا الطريق وحمل هذه النفس الجموح الكسلى على الخير
المحبوب عندها واكتساب الطاعات الثقيلة عليها الا بالتحفظ لثلثة اصول
والتذكر لها على سبيل الدوام من غير فطرة ولا غفلة احدها ذكر اقوال الله تعالى
في الترغيب والترهيب والثاني ذكر افعاله في الاخذ والعفو والثالث ذكر جزائه
العباد في المعاد من الثواب والعقاب وتفصيل كل اصل منهم يحتاج الى مجلد كبير
ولاجله صنفنا كتاب تنبيه الغافلين ونحن نشير في هذا الكتاب الى كلمات يوقفك
على المقصود انشاء الله تعالى — تذكير
ايها الرجل ما في الكتاب العزيز من ايات الترغيب والترهيب والترجية والتخويف
فمن ايات الرجاء قوله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا
ومن يغفر الذنوب الا الله غافر الذنب وقابل التوب وهو الذي يقبل التوبة عن
عباده ويعفو عن السيئات كتب ربكم على نفسه الرحمة ورحمتي وسعت كل شيء
فساكتبها للذين يتقون ان الله بالناس لرؤف رحيم وكان بالمؤمنين رحيما
ونحوه ونحوها ايات الرجاء ومن ايات الخوف والسياسة قوله تعالى يا ايها
فالقول افحسبتم انما خلقناكم عبثا ايحسب الانسان ان يترك سدى ليس بامانيكم
ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقدمنا الى ما عملوا من عمل انه ليسأل الله ادريهما

برحمته — اللطيفة الجامعة بين الخوف والرجاء قوله تعالى نبئ
عبادي اني انا الغفور الرحيم وقال في عقبه ان عذابي هو العذاب الاليم لئلا
يستولي عليه الخوف بمرة واعجب من ذلك قوله تعالى ويحذركم الله نفسه ثم
قال في عقبه والله رؤف بالعباد واعجب منه قوله سبحانه من خشي الرحمن
بالغيب علق الخشية باسم الرحمن دون اسم الجبار او المنتقم او المتكبر ونحوه
لتكون الخشية مع ذكر الرحمة ولا تكون الخشية تطير قلبك بمرة فتكون مخوفا
في ناحية وتحريكا في سكين كما تقول ما تخشى الوالدة الرحيمة اما تخاف الوالد
الشفيق اما تحذر الامير الكريم والمراد بذلك ان يكون الطريق عدلا ولا
يتحصل لك امن ولا قنوط جعلنا الله واياكم من المتدبرين لهذا الذكر الحكيم
برحمته العالمين عامة انه جواد كريم — في افعاله
فتامل الان اما من جانب الخوف فان ابليس عبد اي الف سنة فلم يترك
موضع قدم الا وسجد لله تعالى فيه سجدة ثم زل زلة واحدة فطرده عن
بابه وضرب بوجهه عبادة ثمانين الف سنة ولعنه الى يوم الدين واعد له عذابا
عظيما ابد الابدين حتى يروى ان الصادق الامين صلى الله عليه وسلم راى جبريل عليه السلام متعلقا
باستار الكعبة وهو يصرخ الهي الهي لا تغير اسمي ولا تبدل جسمي ثم ادم صفيه
الذي خلقه بيده واسجد له ملائكته وحمله الى اعناقهم الى جواره انبسط فاكل
اكلة واحدة لم يؤذن له فيها فنودي الا لا يجاورني من عصاني وامر الملائكة
الذين حملوا سريره ان يخرجوه من سمائه الى سماء الدنيا او غيره بالارض فلم يقبل
توبته فما وقف حتى بكى على ذلك مائتي سنة وحفظ من الهوان والبلاء

فالحقه وبقيت ذريته في تبعات ذلك الى الابد ثم ان نوحا شيخ المرسلين ٤٣
الذي احتمل في امر دينه ما احتمل لم يقل الا كلمة واحدة على غير وجهها اذ
نودي فلا تسئلن ما ليس لك به علم اني اعظك الاية حتى روي في بعض الاخبار
انه لم يرفع راسه الى السماء حياء من الله تعالى اربعين سنة ثم ان ابراهيم
كان خليل الرحمن ولم يكن منه الا الهفوة واحدة فلم خاف وتضرع وقال
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين حتى روي انه بكى من شدة الخوف فارسل
الله سبحانه اليه الامين جبريل فيقول يا ابراهيم هل رايت خليلا يعذب خليله بالنار
فيقول يا جبريل اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلته ثم موسى عليه السلام لم يكن منه الا لطمة من حدة
فلم خاف وكم استغفر وقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ثم عن ذا ما انه بلعم بن باعورا
كان بحيث اذا نظر يرى العرش وهو المعني بقوله تعالى واتل عليهم نبا الذي اتيناه
اياتنا فانسلخ منها ولم يقل الا ميلة واحدة مال الى الدنيا واهلها ميلة واحدة
وترك لولي من اوليائه حرمة واحدة سلبه معرفته وجعله بمنزلة الكلب المطرود
فقال فمثله كمثل الكلب فاوقعه في بحر الضلال والهلاك الى الابد حتى سمعت بعض العلماء
يقول انه كان في اول امره بحيث يكون في مجلسه اثنا عشر الف محبرة للمتعلمين الذين
يكتبون عنه ثم صار بحيث اول من صنف كتابا في ذكر انه ما ليس به اللعن نعوذ
بالله من سخطه وعذابه الاليم وتطمع جلالتنا الذي لا طاقة لنا به فانظر حيث
الدنيا وشئ منها ماذا يجلب للعامة خاصة فتنبه فان الامر خطر والعمر قصير وفي
العمل تقصير والناقد بصير فالخاتم بالخير اعمالنا وافعالنا عزاهنا فاذلك على الله بعزيز
ثم ان داود عليه السلام خليفته في ارضه اذنب ذنبا واحدا فبكى على ذلك حتى نبت العشب
الارض

الارض من دموعه وقال الهي اما ترحم بكائي وتضرعي فاجيب يا داود نسيت ذنبك وذكرت
بكاءك فلم يقبل توبته اربعين سنة ثم يونس عليه السلام غضب غضبة واحدة في غير موضعها
فحبسه في بطن الحوت تحت قعر البحار اربعين يوما وهو ينادي ان لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين وسمعت الملائكة صوته فقالوا الهنا صوت معروف من
موضع مجهول فقال تعالى عبدي يونس فشفعت له الملائكة ثم مع ذلك كله عير
فقال وذا النون اذ ذهب مغاضبا فنبه الى سجنه ثم قال تعالى فالتقمه الحوت
وهو مليم الى قوله يبعثون ثم ذكر نعمته ومنته عليه فقال لولا ان تداركه نعمة
من ربه الاية فانظر الى هذه السياسة ايها المسكين وكان حبيبا الى
المرسلين اكرم خلقه عليه يقول له فاستقم كما امرت ومن تاب معك الاية حتى كان
عليه الصلوة والسلام يقول شيبتني هود واخواتها قبل عني هذه الاية واشكالها
في القران وقال تعالى واستغفر لذنبك الى ان من عليه بالغفران فقال
ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقال تعالى ليغفر لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر وكان بعد ذلك عليه السلام يصلي حتى تورمت قدماه فيقولون تفعل
هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فيقول
فلا اكون عبدا شكورا وكان صلى الله عليه وسلم يقول لو اني وعيسى اخذنا بما كسبت هاتان
لعذبنا عذابا لم يعذبه احدا من العالمين وكان يصلي بالليل ويقول اعوذ بعفوك
من عقابك وبرضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك ثم الصحابة رضي الله عنهم هم خير قرون وخير امة
كان يبدو منهم شيء من المزاح فنزل قوله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع

ثلوبهم الا بر ثم صنع في هذه الامة مع كونها من جوهة الحدود والسيئات
العظيمة حتى كان يونس بن عبيد يقول لا ناس من قطع في خمسة دراهم خير عضو
منك ان يكون غدا بدعة هكذا نسال الله تعالى الكريم الرحيم ان لا يعاملنا
الا بحض كرمه انه ارحم الراحمين   فحدث عن رحمة الله ولا حرج
ولا حرج ومن الذي يعرف غايتها او يعرف وصفها ونهايتها فان الذي
يهب كفر سبعين سنة بايمان ساعة قال الله تعالى قل للذين كفروا ان
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اما ترى امر سحرة فرعون الذين جاوا ليحرقوه
حلفوا بعزته وعدوه لما قالوا انا امنا بربنا عن صدق القلوب كيف قبلهم ووهب
لهم جميع ما سلف ثم كيف جعلهم رؤوس الشهداء في الجنة ابد الابدين فهذا مع
من عرفه ووحده ساعة بعد كل ذلك السحر والكفر والضلال والفساد فكيف
حال من انفق عمره في توحيده الا ترى كذلك اهل الدارين عزوا امانى اصحاب
الكهف وما كانوا عليه من الكفر طول اعمارهم اذا قالوا ربنا رب السموات والارض
والتجاوا اليه كيف قبلهم ثم اعزهم واكرمهم فقال تعالى ونقلبهم ذات اليمين وذات
الشمال وكيف عظم لهم الحرمة والبسهم المهابة والحشمة حتى يقول لاكرم الخلق
عليه لو اطلعت عليهم الاية ثم كيف اكرم كلبا تبعهم حتى ذكره في كتابه العزيز
مرات ثم جعل معهم في الدنيا محبوبا ويحظا الجنة في الاخرة مكرما فهذه
فضله مع كلب خطى خطوات مع قوم عرفوه ووحدوه ايا ما معدودة من غير
عبادة او خدمة فكيف من عبده المؤمن الذي خدمه وعبده ووحده
سبعين سنة ولو عاش سبعين الف سنة لكان قاصدا للعبودية اما كيف

كيف

كيف عاتب ابراهيم في دعائه على المجرمين بالهلاك وكيف عاتب موسى في
امر قارون فقال استغاث بك قارون فلم تغثه فوعزتي لو استغاث بي لاغثته
وعفوت عنه وكيف عاتب يونس في شان قومه بانك تحزن على شجرة يقطين
انبتها في ساعة وايبسها في ساعة ولا تحزن على مائة الف او يزيدون
ثم كيف قبل عذرهم وصرف عنا بدا الالم العظيم عنهم بعد ما اظلهم ثم كيف عاتب
سيد المرسلين فيما روي انه دخل من باب بني شيبة فراى قوما يضحكون فقال لا اراكم
حتى اذا كان عند الحجر الاسود رجع اليهم القهقرى وقال جاءني جبريل فقال يا محمد
ان الله تعالى يقول تقنط عبادي من رحمتي نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وهذا رسول الله يقول الله ارحم بالعبد من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر
المشهور عن النبي صلعم ان الله تعالى مائة رحمة واحدة منها قسمها بين الجن والانس
والبهائم وبها يتراحمون وذخر منها تسعة وتسعين لنفسه ليرحم بها عباده
يوم القيمة واذ قد اعطاك من الرحمة الواحدة كل هذه العطايا الكريمة العزيزة
من معرفته سبحانه والكون من هذه الامة المرحومة ثم معرفة السنة والجماعة
الى سائر ما لديك من النعم الظاهرة والباطنة فرجوت من فضل العظيم ان يتم ذلك
فان من بدا بالاحسان فعليه الاتمام ويجعل من تسعة وتسعين رحمة لك الحظ الاوفر
نسال الله تعالى ان لا يحجب الناس من فضله العظيم بفضل انه السبيل الكريم الجواد
الرحيم   في ذكر ما وعدوا وعدوا في المعاد فلنذكر في ذلك
الاحوال الاربعة الموت والقبر والقيمة والجنة والنار وما في كل مقام منها
من الحظ للطيعين المقصرين والمجتهدين والعاصين

فاذكر منه حال رجلين احدهما ما روي عن ابن شبرمة انه قال دخلت مع الشعبي
على مريض نعوده فلما بر وعنده رجل يلقنه لا اله الا الله فقال الشعبي ارفق
به فتكلم المريض فقال ان تلقنني فاني لا ادعها ثم قرا الزمهم كلمة التقوى
وكانوا احق بها واهلها فقال الشعبي الحمد لله الذي نجى صاحبنا والاخر كما
ان تلميذ الفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عنده
راسه وقرا سورة يس فقال يا استاذ لا تقرا هذه فسكت ثم لقنه فقال
قل لا اله الا الله قال لا اقولها اني بري منها ومات على ذلك فدخل الفضيل
منزله وجعل اربعين يوما لم يخرج من البيت ثم راه في النوم وهو يسحب الى
جهنم فقال باي شي نزع الله المعرفة عنك وكنت اعلم تلامذتي قال بثلثة
اشياء اولها النميمة فاني قلت لاصحابي بخلاف ما قلت لك والثاني بالحسد
حسدت اصحابي والثالث كانت بي علة فجئت الى الطبيب فسالته عنها فقال اشرب
في كل سنة قدحا من خمر فان لم تفعل يبقى بك العلة فكنت اشربه نعوذ بالله من
سخطه الذي لا طاقة لنا به ثم اذكر حال رجلين اخرين احدهما ما حكي عن عبد الله
بن المبارك انه لما احتضر نظر الى السماء وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون
وسمعت امام الحرمين رح يحكي عن الاستاذ ابي بكر قال كان لي صاحب ايام التعلم
وكان مشتدا كثير الجهد في التعلم نفسا متعبدا وكان لا يحصل له مع الاجتهاد
الا القليل وكنا نتعجب منه حتى لزمه مرض فلزم مكانه بين الاولياء في الرباط ولم
يدخل الى بيت له حتى كان يجتهد مع مرضه فاشتد به الحال وانا بجانبه
فبينما اذا هو يشخص ببصره الى السماء ثم قال لي يا ابن فورك لمثل هذا فليعمل العاملون

ونوفي

ونوفي عند ذلك رح واما الاخر فنحو ما روي عن مالك بن دينار رح انه دخل
على جار له احتضر فقال يا مالك جبلان من نار بين يدي كلفت الصعود عليهما
فسالت اهله فقالوا له مكيالان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فدعوت بهما
فضربت احدهما بالاخر حتى كسرتهما ثم سالت الرجل فقال ما يزداد الامر علي
الا عظما   والحال هذه بعد الموت ما ذكر منه
حال رجلين احدهما ما ذكر عن بعض الصالحين قال رايت سفيان الثوري
في النوم بعد موته فقلت كيف حالك يا سفيان فانشا يقول
• نظرت الى ربي عيانا وقال لي • هنيئا رضاي عنك يا ابن سعيد •
• لقد كنت قواما اذا الليل قد دجا • بعبرة مشتاق وقلب عميد •
• فدونك فاختر اي قصر تريده • وزرني فاني عنك غير بعيد •
والرجل الثاني ما ذكر ان بعضهم راى في المنام شاحب اللون مغلولة يداه
الى عنقه فقال ما فعل الله بك فانشا يقول •
• تولى زمان لعبنا به • وهذا زمان بنا يلعب •
واخرين احدهما ما روي ان بعض الصالحين قال كان لي ابن استشهد ولم
اره في المنام الى ليلة توفي فيها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فتراءى لي تلك الليلة
فقلت يا بني الم تك ميتا فقال لا ولكني استشهدت وانا حي عند الله ارزق
فقلت ما جاء بك فقال نودي في اهل السماء الا لا يبقى نبي ولا صديق ولا شهيد
الا وحضر الصلوة على عمر بن عبد العزيز فجئت لاشهد الصلوة ثم جئتكم لاسلم
عليكم واما الاخر فما روي عن هشام بن حسان انه قال كان لي ابن حداث فمات

في النوم فاذا هو اشيب فقلت يا بني ما هذا الشيب قال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق احد الا شاب فنحن نعوذ بالله الرحيم من عذاب اليم

فتأمل قول الله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فواحد يخرج من قبره فاذا البراق على راسه والتاج والحلل فيلبس ويركب الى جنات النعيم لا يخلو من هو هو الا الجنة يرحله واخر يخرج من قبره فاذا الزبانية والانكال لا يخلوا الشقي يمشي الى النار برجليه بل يسحب الى سواء الجحيم على وجهه نعوذ بالله من سخط الله ولقد سمعت بعض العلماء يروي عن النبي صلعم انه قال اذا كان يوم القيمة يخرج قوم من قبورهم لهم اجنحة يكونونها الى الجنة حتى يطير بهم في عرصات القيمة حتى اتوا على باب الجنة فاذا راتهم الملائكة قال بعضهم لبعض من هو لاء فيقولون ما ندري لعلهم من امة محمد صلعم فيقدم بعض الملائكة فيقولون من انتم ومن اي الامم انتم فيقولون نحن من امة محمد صلعم فيقول الملائكة هل حوسبتم فيقولون لا فيقولون هل وزنتم فيقولون لا فيقولون هل قرأتم كتبكم فيقولون لا فيقول الملائكة ارجعوا فكل ذلك وراءكم فيقولون هل اعطيتمونا شيئا فيحاسب عليه وفي خبر اخر ما اعطيتمونا شيئا فنعدل ولا نجوز ولكنا عبدنا ربنا فدعانا فاجبناه فينادي مناد صدق عبادي ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم اما تسمع قوله تعالى افمن يلقى في النار خير امن ياتي امنا يوم القيمة فاعظم بحال هؤلاء الاحوال والى الله الوقايع وهو اهل لا يدخل قلبه فرح ولا يكون في قلبه ثقل سال الله تعالى ان يجعلنا واياكم من اولئك السعداء وما ذلك على الله بعزيز

فتامل

بينهما

بينهما اثنين من كتاب الله احد بهما قوله تعالى وسقيهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا وقال تعالى حكاية عن اخرين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون وروي انهم يصرون عند ذلك كلابا ينعاوون في النار نعوذ بالله الرؤف الرحيم من عذابه الاليم فان الامر كما قال يحيى بن معاذ رضه لا ندري اي المصيبتين اعظم فوت الجنان ام دخول النيران اما الجنة فلا صبر عنها وعلى كل حال فوت النعيم ايسر من مقاساة الجحيم ثم مقاساة الطامة الكبرى والمصيبة العظمى هي الخلود اذ لو كان منقطعا لكان الامر هينا ولكن الشان في الابد بلا اخر فاي قلب يحتمل ذلك واي نفس تصبر على ذلك ولذلك قال عيسى صلعم ذكر الخلود يقطع قلوب الخائفين وذكر عند الحسن ان اخر من يخرج من النار رجل يقال له هناد عذب الف عام ينادي يا حنان يا منان فبكى الحسن وقال ليتني كنت هنادا فتعجبوا منه فقال ويحكم الليس يوما يخرج فرجع الامر كله اذا الى الاصل وهو الخاتمة التي تقصم الظهور وتصفر الوجوه وتقطع القلوب وتسيل الاكباد وتدمي العيون من العباد وهو خوف سوء الخاتمة فهذه الغاية التي تنتهي اليها خوف الخائفين ويبكي عليها اعين الباكين وقد قال بعضهم ان الهموم ثلاثة غم الطاعة ان لا يقبل وغم المعاصي ان لا يعفو وغم المعرفة ان تسلب قال المحصلون بل الهم كله هو الواحد بالحقيقة وهو غم المعرفة ان تسلب كل غم دونه اذ له انقضاء ولقد بلغنا عن يوسف بن اسباط انه قال دخلت على سفيان فبكى ليلة اجمع فقلت بكاؤك هذا على الذنوب فحمل تبنا فقال الذنوب اهون على الله من هذا وانما اخشى ان يسلبني الله الاسلام نسال الله ربنا المنان سبحانه ان لا

يبتلينا بمصيبة وان يتم علينا كثير نعمته وان يتوفانا عليه وعلى ملة الاسلام انه ارحم الراحمين وقد ذكرنا سببه سوء الخاتمة ومعناه في كتاب احياء علوم الدين فتامل هناك فان الخوض ههنا فيه خروج الى الاكثار فتامل هذه الجملة فان التفصيل اكثر من ان ياتي عليه الوهم والذكر لعلك تعرف الله وحسن توفيقه فان قلت فاي الطريقين اسلك طريق الخوف او طريق الرجاء فصار مرجيا بل ربما يقال لك بل المركب بينهما فان قيل لك من غلب عليه الرجاء فصار مرجيا بل ربما يخاف عليه ان يكون حربيا ومن غلب عليه الخوف صار حروريا والمراد انها لا ينفرد باحدهما دون الاخر فان بالحقيقة الرجاء الحقيقي لا ينفك عن الخوف الحقيقي والخوف الحقيقي لا ينفك عن الرجاء الحقيقي ولذلك قيل الرجاء كله لاهل الخوف لا الامن والخوف كله لاهل الرجاء لا الياس فان قلت فهل يكون احدهما ارجح واكثر ذكرا قال فاعلم ان العبد اذا كان صحيحا قويا فالخوف اولى واذا مرض وضعف لا سيما اذا اشرف على الاخرة فالرجاء اولى كما سمعت العلماء يقولون ذلك وذلك لما روي ان الله تعالى يقول انا عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي فيصير رجاؤه اولى في ذلك الوقت لانكسار قلبه وخوفه المتقدم زمان الصحة والقوة والامكان ولذلك يقال لهم لا تخافوا ولا تحزنوا فان قلت الست قد جاءت الاخبار الكثيرة في حسن الظن بالله والحذر من معصيته والخوف من عقابه والاجتهاد في خدمته واعلم انهما اصلا اصل اولكنه عزيز يغلط فيها الكثير من الناس وهو ان الفرق بين الرجاء والخوف من عقابه والاجتهاد والامنية ان الرجاء يكون على اصل والتمني

لا يكون

لا يكون على اصل مثاله من زرع واجتهد وجمع بيدره ثم يقول ارجوا ان يحصل لي منه مائة قفيز فذلك منه رجاء واخر لا يزرع زرعا ولا يعمل يوما فذهب ونام واغفل سنة فاذا جاء وقت البيادر ان يقول ارجوا ان يحصل لي مائة قفيز فيقول له من اين لك هذا الرجاء وانما ذلك امنية بلا اصل فكذلك العبد اذا اجتهد في عبادة الله تعالى وانتهى عن معصيته فقال ارجوا ان يتقبل الله هذا اليسير ويتم هذا التقصير ويعظم الثواب ويعفو عن الزلل واحسن الظن فهذا منه رجاء واما اذا غفل ذلك وترك الطاعات وارتكب المعاصي ولم يبال بسخط الله ورضاه ووعده ووعيده ثم اخذ يقول انا ارجو من الله الجنة والنجاة من النار فذلك منه امنية لا حاصل تحتها سماها رجاء وحسن ظن وذلك خطاء وضلال قلت ومما يبين هذا الاصل ما روي عن النبي صلعم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وفي ذلك يقول الحسن البصري ان اقواما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول احدهم احسن الظن بربي وكذب لو احسن الظن بربه لاحسن العمل له ثم يقول تلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم الاية وعن جعفر الضبعي انه قال رايت محمد بن واسع يصلي في العابد وقد بيت اصلا اعد من الاجتهاد قلت يرحمك الله ان رحمة الله واسعة فغضب وقال هل رايت مني ما يدل على القنوط ان رحمة الله قريب من المحسنين قال جعفر فابكاني قوله فاذا كل الرسل والابدال والاولياء مع كل هذه الاجتهاد في الطاعة والحذر عن المعصية فاي شيء تقول اما كان لهم حسن ظن بالله بل فانهم كانوا عارفين بسعة رحمة الله واحسن ظنا بجوده منك ولكن علموا ان ذلك دون الاجتهاد

اصنيه وغروره فاعتبر بهذه النكتة وتامل وانتبه من رقدتك والله تعالى ولي التوفيق

وجملة الامر انك اذا تذكرت سعة رحمة الله التي سبقت غضبه

ووضعت كل شي ثم كنت من هذه الامة المرحومة الكريمة على الله تعالى ثم غاية فضله العظيم

وكمال جوده القديم وجعل عنوان كتابه اليك بسم الله الرحمن الرحيم ثم كثرة اياديه

اليك ونعمه عليك ظاهرة وباطنة من غير شفيع او قدم سابقة لك وتذكرت

من جانب اخر كمال جلاله وعظمته وعظم سلطانه وهيبته ثم شدة غضبه الذي

لا تقوم له السموات والارض ثم غاية غفلتك وكثرة ذنوبك وعيوبك مع

دقة امره وخطر معاملته في احاطة علمه وبصره بالعلوم والعيوب ثم حسن وعده

وثوابه الذي لا يبلغ كنهه الاوهام وشدة وعيده واليم عقابه الذي لا يحتمل

ذكره القلوب فانك تنظر الى رحمته ورافته وطورا تنظر الى نفسك فتخاف تارة

وترجو اخرى فتحتاج ذلك الى الخوف والرجاء وكنت قد سلكت السبيل الشارع القصد

وعدلت عن الجانبين المهلكين الامن واليأس ولا تتيه فيهما مع التائهين ولا

تهلك مع الهالكين وشربت الشراب الممزوج المعتدل فلا تهلكنه برودة الرجاء

ولا حرارة الخوف المحرقة وقد وصلت الى المقصود فانما وسلمت من العلتين سالما

وقد وجدت النفس قد انبعث لطاعة ودامت في الجد مدة ليلها ونهارها من غير فترة

ولا غفلة واجتنبت المعاصي والخنا وهجرتها بمرة كما قال الي يوسف الكتاني انه كان

اذا ذكر الجنة طال شوقه واذا ذكر النار طال نوحه وهو شيخ من الاصفياء الخواص

العابدين الذين وصفهم الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية وكنت

قد خلفت هذه العقبة الخطرة باذن الله تعالى وحسن توفيقه فكملك من حلاوة

وصفوته

وصفوته في الدنيا وكم لك من ذلك تحفة كريمة واجر عظيم في العقبى فالله تعالى المسؤول

ان يعينك واياناً بحسن توفيقه وفضل عفوه انه ارحم الراحمين واجود الاجودين و

لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

في العقبة السادسة وهي عقبة القوادح ثم عليك ايها الطالب ارشدك الله واياناً

بحسن توفيقه بعد ما استبان لك السبيل واستقام لك المسير ان تغتبط وتنتبه

عما يفسده ويضيعه عليك وانما ذلك بامرين الرياء والاخلاص وذكر المنة والاحسان

عن ضده لامرين احدهما لما فعل من الفائدة وهو حسن القبول من الله ووفور

الثواب عليه والا فيكون مردوداً ذاهب الثواب كلا او بعضاً على ما روي في الحديث

المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل

عملاً فاشرك فيه غيري فنصيبي له فانا لا اقبل الا ما كان خالصاً لي وقيل ان الله

يقول لعبده يوم القيامة اذا التمس الثواب لعبده الم نوسع لك في المجلس الم

تكن الموسع في الدنيا الم نرخص بيعك وشرائك الم نكرم هذا واشباههم من

الحظ والضر وفيك من خطر الدنيا ضعفان ومصيبتان اما الفضيحتان فاحدهما

فضيحة السر وهي يوم وذلك ما روي ان الملائكة يصعدون بعمل العبد فيخبر

فيقول الله تعالى ردوه الى سجين فانه لم يردني بكذا فيفتضح ذلك العمل والعبد والثانية

فضيحة العلانية وهي يوم القيامة على رؤوس الخلائق روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المرائي

يوم القيامة ينادى باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل سعيك وبطل

اجرك فلا خلاق لك التمس الاجر ممن كنت تعمل له يا مخادع وروي انه ينادى مناد

يوم القيامة يسمع الخلائق اين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا اجوركم

ممن عملتم له فاني لا اقبل عملاً خالطه شي من الدنيا وأما المصيبتان فاحدهما فوت الجنة تكلمت وقالت

اني حرام على كل بخيل ومرائي والخبر يحتمل معنيين احدهما ان هذا من يجعل احسن

قول وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا المرائي من يرائي بالفجر والرياء

وهو المنافق الذي يرائي بايمانه وتوحيده وفي هذا القول توجيه والثاني

ان من لم ينته عن البخل والرياء ولم يراع نفسه فيخشى عليه ان يجره شوم ذلك

فيقع في الكفر فيقول له الجنة انا حرام على الكافرين والعياذ بالله والمصيبة الثانية دخول النار

وذلك لما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اول من يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن

ورجل قاتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله تعالى للقارئ الم اعلمك ما

انزلت على رسولي فيقول بلى يا رب فيقول ما عملت فيما علمت فيقول يا رب قمت به اناء

الليل واطراف النهار فيقول الله كذبت ويقول الملائكة بل اردت ان يقال فلان

قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الم اوسع عليك حتى لم ادعك

تحتاج الى احد فيقول بلى يا رب فيقول فما عملت فيما اتيتك قال كنت اصل الرحم

واتصدق قال الله سبحانه كذبت ويقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان

جواد كريم وقد قيل ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول امرت بالجهاد في سبيلك

فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت ويقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقول فلان

جريء وشجاع فقد قيل ذلك قال ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ركبتي وقال اولئك

اول خلق الله تسعر بهم نار جهنم وعن ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

ان النار واهلها يعجون من اهل الرياء قيل يا رسول الله وكيف تعج النار

قال من حر النار التي يعذبون بها وفي هذه الفضائح بلاغ لذوي الالباب واولي

البصاير

البصاير والله ولي الهداية بفضله فان قلت فاخبرنا عن حقيقة الاخلاص والرياء

وحكمهما وتاثيرهما في العمل فاعلم ان الاخلاص عند علمائنا اخلاصان اخلاص

العمل واخلاص طلب الاجر واما اخلاص العمل فهو ارادة التقرب الى الله تعالى

وتعظيم امره واجابة دعوته والباعث عليه الاعتقاد الصحيح وضد هذا الاخلاص النفاق وهو

التقرب الى من دون الله سبحانه وقال شيخنا النفاق هو الاعتقاد الفاسد الذي هو

للمنافق في الله وليس هو من قبيل الارادات لعلة ما ذكرناها في موضعها واما

الاخلاص في طلب الاجر فهو ارادة نفع الاخرة بعمل الخير وكان شيخنا يقول

هو ارادة نفع الاخرة بذكرها بعد ذلك حجم بحيث يرجى ان يزيل الغفلة وقد

شرحنا هذه الشرايط وقال الحواريون لعيسى بن مريم ما الخالص من الاعمال قال

الذي لا يعمل لله لا يحب ان يطلع عليه احد وهو العرض لترك الدنيا وانما

خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص

تصفية الاعمال من الكدورات وقال الفضيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان

الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة ولا فايدة في

في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وقد قال سيد الاولين والاخرين صلى الله عليه وسلم فاسأل

عن الاخلاص فقال تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت ان لا تعبد هواك ونفسك

ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادتك كما امرت وهذه اشارة الى قطع كل

ما سوى الله من مجرى النظر وهو الاخلاص حقاً وضد الاخلاص الرياء وهي

ارادة الدنيا ونفعها بعمل الاخرة ثم الرياء ضربان رياء محض ورياء تخليط

فالمحض ان تريد به نفع الدنيا لا غير والتخليط ان تريدهما جميعاً نفع الدنيا

ونفع الآخرة وهذا احدهما واما ثانيهما فان اخلاص العمل ان يجعل الفعل
من بين اخلاص طلب الآخرة ان يجعله مقبولا وافر الاجر والتعظيم والنفاق يحبط
العمل ويخرجه عن كونه مستحقا عليها الثواب بالوعد من الله تعالى فالرياء
المحض لا يكون من العارف عند بعض العلماء وان كان ابطل نصف الثواب وعند
آخرين قد يكون الرياء المحض من العارف فانه يذهب بنصف الاضعاف والتخليط
يذهب بربع الاضعاف والصحيح عند شيخنا ان الرياء المحض لا يكون من العارف
مع تذكر الآخرة ويكون مع السهو والغفلة ان من نار الرياء ورفع العقول
النقصان في الثواب قال لا يغنيه بنصف او ربع وشرح هذه المسائل يطول
وقد شرحناها في كتاب الاداب شرحا مستقصى واستقصينا القول في اسرار المعاملات
في الدين فان قلت فما موضع الاخلاص وفي اي طاعة يقع ويجب فاعلم ان الاعمال عند
بعض العلماء ثلاثة قسم يقع فيه الاخلاصان جميعا وهو العبادة الظاهرة الا
وقسم لا يقع فيه اخلاص طلب الاجر دون اخلاص طلب العمل وهو المباحات المأخوذة
للعدة قال شيخنا ان كل عمل يحتمل العوض الحرام من العبادات الاصلية يقع
فيها اخلاص العمل واما اخلاص طلب الاجر فقال مشايخ الكرامية لا يقع في العبادات
الباطنة اذ لا يطلع عليها احد الا الله لكن فاسمع منها دواعي الرياء فلم يجمع الى
اخلاص طلب الاجر وكان شيخنا يقول اذا اراد من الله بالعبادات الباطنة الدنيا
فهو ايضا رياء قلت انا فلا يبعد اذا ان يقع في كثير من العبادات الباطنة
الاخلاصان جميعا عند التردد واما المباحات المأخوذة للعدة يقع فيها
اخلاص طلب الاجر دون اخلاص العمل اذ هي لا يصلح ان يكون بنفسها من بعد

بل هو عدة على القربة فان قلت هذا موضعها فبين لنا وقتهما من العمل فاعلم ان
اخلاص العمل هو الفعل بقيا دنه لا عالم ولا يباح عنده وعند بعض العلماء يعتبر حين
وقت الفراغ من العمل فاذا فرغ على الاخلاص ورياء فقد انقضى الامر لا يمكنه استدراكه
بعد وعند جماعة من المشايخ الكرامية ما لم ينل المنفعة المطلوبة باكرها امكنه
الاخلاص في ذلك العمل فاذا نال المطلوب فقد فات وقال بعض العلماء ان الفرض
يمكن ان هذا الاخلاص منها الى الموت واما النوافل فلا سبيل الى ذلك قال والفرق
بينهما ان الله ادخل العبد في الفرض بجبره فاصول هذا التفضل والتغيير منها واما
النفل فالعبد الذي ادخل نفسه فيه وتكلفه فطولب بحق ما تكلف قلت وفي
هذه المسئلة فايدة وهي ان من سبق منه الرياء وترك الاخلاص في عمل فيمكنه
استدراك ذلك وتلافيه على احد الوجوه التي ذكرناه والمقصود من نقل
مذاهب الناس في هذا الدقائق علمنا الان بقلة العالمين وقلة الراغبين في
سلوك هذه الطريق والنقوب في السعي في العبادة فان لم يجد العبد دواء في
هذا القول وجده في الاخر لاختلاف الاغراض وعلل الاعمال واقاويلها
واسئل الله ان شاء الله فان قلت كل عمل يحتاج الى الاخلاص مفردا فاعلم انه قد
اختلف في ذلك فقيل انه يجب لكل عمل اخلاص مفرد وقيل انه يجوز ان
جملة من العبادات اما العمل ذو الاركان كالصلوة والوضوء يكفيها اخلاص
واحد لان بعضها متعلق ببعض صلاحا وفسادا فصارت كشيء واحد فان قلت
ان اراد بعمله الخير من الله ولا يريد من الناس شيئا من مدح او سمعة او منفعة
ايكون ذلك رياء فاعلم ان ذلك محض الرياء قال علماؤنا الاعتبار في الرياء

بالمراد لا بالذي يزيد منه فان كان مرادك من عمل الخير نفعا دنيويا فانه رياء
سواء اراد ذلك من الله او من الناس قال الله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وليس الاعتبار بلفظة الرياء واشتقاقه
من معنى الرؤية وانما سميت هذه الارادة الفاسدة بهذا الاسم لانها اكثر
ما يقع تكون من قبل الناس ومن شيمهم فافهم فان قلت فاذا كان المقصد في الدنيا
التي يريدها من الله التعفف عن الناس والعدة على عبادة الله تعالى يكون
ذلك رياء فاعلم ان التعفف ليس في كثرة المال والحطام وانما هو في القناعة
والنفقة بكفاية الله واما العدة على عبادة الله فاذا كان مراده ذلك
فلا يكون رياء وكذلك ما يتصل بامر الآخرة واسبابها ويصير لطفا لذلك
فان اريد بعمل الخير هذا النوع لا يكون تلك الارادة رياء لان هذه الامور
يصير بتلك النية خيرا ويصير في حكم اعمال الخير ولا يكون ارادة الآخرة رياء وكذلك
ان اراد مثلا ان يكون له تعظيم عند الناس او محبة عند المشايخ والائمة يكون
قصده من ذلك التمكن من تأييد مذهب الحق والرد على اهل البدعة
والنشر للعلم او حث الناس على العبادة ونحو ذلك دون ان يقصد بذلك
شرف النفس وحب جاه وتنال لها فان هذه كلها ارادات شريفة
ونيات محمودة لا تدخل في شيء منها في باب الرياء اذ المقصود منها امر الآخرة
بالحقيقة واعلم اني سألت بعض مشايخنا عما يعتاده اولياء الناس من قراءة
سورة الواقعة في ايام العسرة للنيل المراد بذلك ان يدفع تلك الشدة
عنهم ويوسع عليهم شيء من الدنيا على ما جرت العادة فكيف يصح ارادة متاع

الدنيا

الدنيا بعمل الآخرة فقال في جوابه كلا بل معناه انما المراد منهم ان يرزقهم الله
قناعة او قوتا يكون لهم عدة على عبادة الله وقوة على درس العلم وهذه
من جملة ارادات الخير دون الدنيا واعلم ان هذه السيرة اعني قراءة هذه السورة
عند الشدة في امر الرزق والخصاصة انما هو شيء وردت به الاخبار المأثورة
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم حتى كان ابن مسعود حين عوتب في امر ولده في
ان لم يترك لهم الدنيا قال لقد خلفت لهم سورة الواقعة ومن ذلك اصل اجرى
هذه الخصلة في سير علمائنا والا فلا مبالاة بجمال الله تبارك من امر الدنيا
او سعة وهم الذين يغتنمون ضيق الدنيا وعسرها ويتفألون بذلك فيما بينهم
ويعدون من الله نعمة عظيمة ويخافون اذا بدلهم سعة من الدنيا التي لا يعجل
اكثر الناس الا للضيق والشدة استدراجا من الله ومصيبة كيف وبطانتهم
الاسفار والطي في عموم الاحوال واكثرهم يقولون الجوع رأس مالنا فقال
هذا موضع مذهب الصوفية واهله وهو مذهب اشياخي وبذلك جرت سيرة
سلفنا واما تفصيل اهل المتأخرين فلا يعتبر به وانما ذكرنا هذا الفصل لئلا
يغتر منهم غافل جاهل منهم مقاصد القوم في امورهم او يغلط منهم مبتدي
سليم الصدر لم يأخذ من العلم حقه بانه كيف يليق هذا بحال اهل الزهد
والتجرد وارباب الصبر والرياضة ولم يعلم ان هذا شيء مأخوذ من السنة ثم
المقصود حصول القناعة والعدة لا ابتاع الشدة والشهوة او الضعف
من احتمال العدة والشدة واكثر ما يرى في عقب ذلك قناعة في القلب وهدو
كلب الجوع وضعفه وسلوه عن الطعام وتهيئة على ذلك من اعظمه فاعلم هذه

الجملة ثم وفقنا انشاء الله تعالى العجب وانما يكون

اجتنابه لامرين احدهما ان العجب عن التوفيق والتأييد من الله فان المعجب مخذول
واذا انقطع عن العبد التأييد والتوفيق من الله تعالى فما اسرع ما يهلك
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
والثاني انه يفسد العمل الصالح ولذلك قال المسيح عم يا معشر الحواريين كم من سراج
اطفاته الريح وكم من عابد افسده العجب واذا كان المقصود والفايدة العبادة
وهذه الخصلة تحرم العبد حتى لا يحصل له خير فان حصل قليل من ذلك تفسده حتى
لا يبقى بيده شي فحقيق ان يحذر من ذلك ويتحفظوا الله تعالى ولي التوفيق
والعصمة فان قلت فما حقيقة العجب ومعناه وما اثره وحكمه بين لنا ذلك فاعلم
ان حقيقة العجب استعظام العمل الصالح وتفضيله عند علماينا ذكر العبد حصول
شرف العمل الصالح بشي دون الله او الناس او النفس قالوا وقد يكون العجب منه
بان يذكر ذلك من هذه الثلثة جميعا النفس والخلق والشي ومثى بان يذكر انه
بتوفيق الله تعالى وانه الذي شرفه وعظم ثوابه وهذا الذكر فرض عند دواعي
العجب نفل في ساير الاوقات واما اثر العجب في العمل قال بعض اصحابنا ينظر
ما الاحباط فان تاب قبل موته سلم والاحبط والبه ذهب محمد بن صابر من شيوخ
الكرامية والاحباط عنده ان يذهب عن العمل جميع الاسماء الحسنة حتى لا يستحق
بذلك ثوابا ولا مدحا البتة وفي قول غيره هو ذهاب الاضعاف لا غير فان قلت
كيف يلتبس على العبد العارف ان الله هو الذي وفق للعمل الصالح وعظم قدره
واكثر ثوابه بمنته وفضله فاعلم ان هيهنا نكتة لطيفة وذخيرة شريفة وهو ان الناس

في العجب

في العجب ثلثة اصناف صنف هم المعجبون بكل حال وهم المعتزلة والقدرية الذين لا يرون
لله عليهم منة في افعالهم ويتكون ان العون والتوفيق الخاص هو اللطف وذلك
لبشرية استولت عليهم وصنف هم الذاكرون المنة بكل حال وهم المستقيمون
لا يعجبون بشي من الاعمال وذلك لبصيرة اكرموا بها وتاييد خصوا به والثالث
المخلطون وهم عامة اهل السنة تارة يتنبهون فيذكرون منة الله وتارة
في البصيرة فان قلت كيف حال القدرية والمعتزلة في افعالهم فاعلم ان في ذلك
اختلافا فقيل انها محبطة لمكان اعتقادهم وقيل لا يحبط عمل باعتقاد الجملة
من حقوق الاسلام حتى يحض كل عمل باعجاب كما ان اعتقاد اهل السنة لا يمنع
العجب في كل عمل حتى يحضره بذكر منة فان قيل فهل سوى العجب والريا من قادح
في العمل قيل الرجل ان فيه لقوادح سواهما لكنا خصصناهما بالذكر لانهما الاصل
الذي يدور عليه معظم الباب وقد قال بعض المشايخ ان حق العبد ان يتحفظ في
العمل من عشرة اشياء النفاق والريا والتخليط والمن والاذى والندامة
والعجب والحسرة والتهاون وخوف ملامة الناس وذكر بعضنا ضد ذلك في ضد
كل خصلة منها واضدادها بالعمل فضد النفاق الاخلاص للعمل وضد التخليط الشرط
وضد المن تسليم العمل لله تعالى وضد الاذى تحصين العمل وضد الندامة تثبيت
النفس وضد العجب ذكر المنة وضد الحسرة اغتنام الخير وضد التهاون تعظيم التوفيق
وضد خوف الملامة الخشية واعلم ان النفاق يحبط العمل والريا يوجب رده
والمن والاذى يحبطان الصدقة اصلا في الوقت وعند بعض المشايخ يبطلان
اضعافها واما الندامة فانها تحبط العمل في قول جمهم والعجب يذهب اضعاف

حتى يبين الناس فيكون ذلك دليلا على الصفة وادانه الراي في الحظ له ويقال
له صاحبك الى رضا هذا الكتاب مع امكانك من رضاء المالك فكيف وقد يسخط
الكتاس عليك فطالب الكل فهذا حال المراوفاي حاجة له الى رضاء مخلوق حقير
ضعيف مهين وهو متمكن من تحصيل رضوان رب العالمين الكافي من الكل فان
ضعفت الهمة وكلت البصيرة حتى طلبت رضاء مخلوق لا محالة فسبيلك ان تجرد
ارادتك وتخلص عملك لله رب العالمين فان القلوب والنواصي بيده فهو يميل
اليك القلوب ويجمع لك النفوس ويتحفك من حيث الصدور ثناك من ذلك ما لا ينالك
جهدك وفضلك وان لم تفعل وقصدت بعملك رضاء المخلوقين دونه سبحانه
فانه يصرف عنك القلوب وينفر عنك النفوس ويسخط عليك الخلق فيحصل لك
بهذا الامر سخط الله وسخط الناس جميعا فيا له من خسران وحرمان ولقد ذكر
عن الحسن رضي الله عنه انه قال كان رجل يقول لا والله لا عبدن الله عبادة اذكر بها
فكان اول داخل المسجد واخر خارج منه لا يراه احد حين الصلوة الا قايما
يصلي وصايما لا يفطر ويجلس الى حلق الذكر فمكث كذلك سبعة اشهر فكان
لا يمر بقوم الا قالوا فعل الله بهذا المرائي وصنع فاقبل على نفسه وقال اراني
في غير شي لاجعلن عملي كله لله فلم يزد على عمله الذي كان يعمل قبل ذلك الا انه تغير
نيته الى الخير فكان بعد ذلك يمر بالناس فيقولون رحم الله فلانا الان اقبل
الى الخير ثم قرا الحسن ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا
قال يحبهم ويحببهم الى المؤمنين ولقد صدق القائل حيث يقول يا مخفي
بابتغي الحمد والثناء في عمل يبتغي الحمد الا فقد ابطل الله دار ريا وخيب السعي والعمل

من بلغ

من كان يرجو لقاء ربه اخلص من قلبه لفعاله الخلد والنار في يديه ثوابه يعطيك
النوال والناس لا يملكون لك شيئا فكيف رايتهم ضلالا
فلنذكر فيه فصولا احدها ان فعل العبد انما صارت له قيمة لما وقع من الله
موقع الرضاء والقبول والا فزيد الاجير يعمل طول النهار بدرهمين والحارس
يسهر طول الليل بدانقين وكذلك اصحاب الصناعات والحرف كل واحد يعمل
في الليل والنهار ما يكون قيمته دانقا او درهما معدودة فان صرف العمل الى الله
تعالى فضمن يوما قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وفي الخبر اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهذه يوم
الذي قيمته درهمان او دانقان صارت له كل هذه القيمة والقدر بل لو جملت
لله ساعة تصلي فيها ركعتين خفيفتين بل قلت لا اله الا الله قال الله تعالى ومن عمل
صالحا من ذكر او انثى الى قوله بغير حساب فهذه ساعة من انفاسك التي لا قيمة
لها عند اهل الدنيا ولا عندك فلم تضيعها ولا شي وكم يمر عليك بلا فايدة
فصارت لها كل هذا الصيد لما اذا لما انه وقع مرضيا لله فعظم قدرها وكثر قيمتها
بفضله فحق اذا للعاقل ان يرى حقارة عمله وقلة مقداره من حيث هو وان لا
يرى الا منة الله فيما شرف به من قدر عمله واعظم من جزائه وان يحذر حتى
فعله من ان يقع على وجه لا يصلح لله ولا يقع منه موقع الرضاء فيذهب عنه
القيمة التي حصلت له ويعود الى ما كان في الاصل من الثمن الحقير من دراهم او
دوانيق واحقر واخس من ذلك ومثاله ان العنقود من العنب لا من العجم
تكون قيمته في السوق دانقا وان اهدي واحد الى ملك وسخنه فوقعت منه

موقع الرضا فيهب له على ذلك الف دينار واذا لم يرض الملك ورده عليه رجع الى
بيته الخسيسة من حبة او دانق وكذلك ما نحن فيه فتنبه وابصر منة الله
حسن فعلك بما تشبه عند الله تعالى والثاني ما نعلم ان الملك في الدنيا
اذا اجرى على احد كل يوم شيئا من طعام وكسوة او دراهم او دنانير معدودة
فانه يخدمه فانه يتحمل ضروب الخدم اناء الليل والنهار مع ما في ذلك من الذل
والصغار ويقوم على راسه حتى يجلد رجلاه ويمشي بين يديه اذا ركب وربما
يحتاج بان يكون على بابه طول الليل حارسا وربما يبيت ولا علة فيحتاج
ان يقاتل عدوه فيبذل روحه الذي لا خلف عنها لاجله ويحتمل كل هذه المشقة
والكلفة والخطر والضرر لاجل تلك المنفعة النكدة الحقيرة مع انها بالحقيقة
من الله سبحانه وانما هو بمنزلة سبب لها فربك الذي خلقك ولم تك شيئا
ثم رباك واحسن التربية ثم انعم عليك من النعم الظاهرة والباطنة في دينك
ونفسك ودنياك ما لا يبلغ كنهه فهمك ووهمك فان عجزت عن ذلك وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انك تصلي ركعتين مع ما فيهما من المعايب والآفات
وضعفهما وعدم علمهما في المستقبل من حسن الثواب ضروب الكرامات حتى تستعظم
ذلك وتعجب منه فليس هذا من شأن عاقل اذا نظرت فهذه هذه
ان الملك الذي من شأنه ان يخدمه الملوك والامراء ويقوم على راسه
السادات والعظماء ويتوق حضرته الاولياء والحكماء ويطلب مدحه العقلاء
والعلماء ويمشي بين يديه الاكابر والرؤساء اذا اذن [illegible]
وغناءه لم يقف ببابه حتى تزاحم اولئك الملوك والسادات والافاضل في

حذمته

خدمته ويجعل له مقاما من حضرته معلوما وينظر الى خدمته بعين الرضا وان كانت
مشوشة معيبة الم تنبه انك اذا كثرت على هذا الحقير المذنب من الملك عظم شانه اعتنائه
به فان احد يمن على الملك بتلك الخدمة المعيبة ويستعظم ذلك ويعجب به الا
لان ذلك لسفيه جدا او مجنون لا يعقل شيئا ولما تقرر هذا فان الله سبحانه
هو الملك الذي يتخدم له السموات السبع والارض طوعا وكرها من الخدم على بابه
جبرئيل الامين وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكروبيين والروحانيين
وسائر الملائكة المقربين الذين لا يحصي عددهم الا الله رب العالمين في غاية
الوضعة وانفسهم الطاهرة وعباداتهم العظيمة ثم من الذين خدموا على بابه نوح
وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد خير العالمين مع سائر الانبياء والمرسلين صلى الله
عليهم اجمعين في مراتبهم المنيفة ومناقبهم العزيزة الشريفة ومقاماتهم الكريمة
وعباداتهم الجليلة الخطيرة ثم من العلماء والائمة الابرار والزهاد في مراتبهم
العظيمة الفاخرة وابدانهم النقية الطاهرة وعباداتهم الكثيرة الخالصة المنقاة
واذل الخدام على باب ملوك الدنيا وجبابرتها يخرون على الاذقان ساجدين
يعفرون الوجوه في التراب خاضعين ويرفعون حوائجهم اليه باكين ضارعين
ويعترفون له بالعبودية والنقص شاحبين متذللين حتى ربما ينظر اليهم نظرة
ويقضي لهم تفضلا حاجة او يتجاوز عنهم بكرمه زلة وانت مع هذه العظمة و
الجلال والملك والكمال فقد اذن لك في حضرته وعبوديته وانت الذي
لو استاذنت على رئيس بلدك فربما لا ياذن لك وان كلمت امير محلتك
فربما لا يكلمك وان صحبت السلطان ببلادك بالارض فربما لا يلتفت اليك وقد

اذن لك جل جلاله حتى تعبده وتثني عليه وتخاطبه ثم تدل عليه بالمسئلة وبسط
حاجتك وتسكينه فيها انك ثم ترضى بركعتين في معايبهما بل تعد لهما عليها الثواب
فلا يخطر بقلبك حيرة وانت مع ذلك تعجب بهاتين الركعتين وتستكثر ذلك وتستعظمه و
لا ترى منة الله عليك في ذلك فما اسواك من جاهل وما اجهلك من انسان والله
تعالى المستعان واليه المشتكى من هذا النفس الجاهلة وعليه التكلان فهذه هذه
وعلى وجه الآخر الملك العظيم اذا اذن لادخال الهدايا
اليه فيدخل بحضرته الامراء والكبراء والرؤساء والاغنياء بانواع الهدايا من الجواهر
الثمينة والهدايا النفيسة والاموال الجليلة فان جاء بها الرساتيق بقل او فول
بلدة عنب او حب رمان او حبة فيدخل في حضرته ويزاحم اولئك الاغنياء والاكابر
بهداياهم الكثيرة النفيسة وهذا الملك يقبل من هذا الفقير هديته وينظر اليه بنظر
القبول والرضا ويأمر له بافضل خلعة وكرامة لا يكون منه غاية الفضل والكرم
فان قلت احد هذا الفقير يمن بذلك على الملك ويعجب ويستعظم ويحسن كرمته
الملك الا بقال ان هذا المجنون مضطرب العقل او سفيه سيء الادب عظيم الجهل فلان
انك اذا صليت الليلة وصليت ركعات فاذا فرغت منها تفكر كرم الله سبحانه هذه
الليلة من الخدام من اقطار الارض بريها وبحرها جبالها وبلادها من المتعبدين
المتقين والصديقين والخائفين والمشتاقين والمجتهدين والمتضرعين و
كم حضرت في هذه الساعة بباب الله تعالى من عباده خاضعة وخدمة من انفس
خاشعة والسن ظاهرة وعيون باكية وقلوب طاهرة ومقاصد دقيقة وصلوات
ان كنت بذلت المجهود في تحسينها واحكامها واخلاصها فلا يكاد يصلح للحضرة

هذا

هذا الملك العظيم فلا ينبغي ان تعجب بتلك العبادات التي تعرض هنالك كيف وقد كانت منك على
قلب غافل مختلط بانواع الغفلة والعيوب وبدن يجنب قذارة الذنوب ولسان متلطخ بانواع
المعصية والفضول فكيف يصلح ان يحمل الى تلك الحضرة وكيف يستاهل ان يهدى الى
رب العزة قال بعضنا انظر ايها العاقل هل تصيب قطعة من صلواتك الى السماء وصيت ذو
كما يلقى تعبيها الى بيوت الاغنياء وكان ابو بكر الوراق يقول ما فرغت من صلوة
الا استحييت حين فرغت منها اشد حياء من امرأة فرغت من الزنا ثم ان الرب الكريم سبحانه
بمحض كرمه وفضله عظيم قدر هاتين الركعتين ووعد عليهما من جزيل الثواب ما لست له جزيل ذو
في جزائه وعلمت ما عملت بتوفيقه وتيسيره ومع ذلك تعجب بهما وتغفل منة الله عليك
هذا والله اعجب العجب ولا يكاد يذهب مثله الا على جاهل لا فكرة له وغافل لا تنبه له او قلب
متغير او لا خير فيه فهذه هذه نسأل الله الكفاية بمنه وفضله
ثم اقول بعد هذه الجملة تيقظ بم رغبتك ايها الرجل في هذه العقبة والا كنت
من الخاسرين فان هذه العقبة اشق واشد وامر واضر استقبلتك في هذا
الطريق اذ اليها تنتهي ثمرة كل ما مضى من العقبات فان سلمت غنمت وربحت وان
كانت الاخرى خسرت ضاع السعي كله وخاب الامل وبطل العمل ثم الشأن كله انه قد
اجتمع في هذه العقبة فيها ثلثة امور الاول ان الامر يشتبه جدا والعين [illegible]
والخطر عظيم اما دقة الامر فان مجاري الرياء والعجب في الاعمال دقيقة خفية بالغاية حتى لا
يكاد يتنبه لذلك الا كل حبر عظيم امر الدين بصير يقظان القلب حتى يطلع عليه الجاهل
المغرور الغافل النوّم ولقد سمعت بعض علمائنا يحكي ان عالما من الظلمة نسج ثوبا
فاحكمه واحسنه جدا ثم حمله الى السوق فعرضه فاستحضر البزاز فقال ان فيه عيوبا فاشتريه ذو

وبكى فاخذه عطا وجلس يبكي بكاء شديدا فندم الرجل على ذلك وجعل
يعتذر اليه ويسأل له في عتقه ما يريد فقال له عطا ليس ذلك ما تظن
انما انا عامل في هذه الصناعة وقد اجتهدت في احكام هذا الثوب
واصلاحه وتحسينه حتى لا يوجد به عيب فلما عرض على المشتري بعيب اظهر
فيه عيبا كنت عنها غافلا فكيف اعمالنا هذه اذا عرضت على الله تعالى
كم يبدوا منها من العيوب والنقصان الذي نحن اليوم عنه غافلون وعن
بعض الصالحين قال كنت ليلة في وقت السحر في غرفة لي فعزمت اقرأ سورة
طه فلما ختمتها اغفيت اغفاءة فرأيت شخصا نزل من السماء وبيده صحيفة
فنشرها بين يدي فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات
مثبتة الا كلمة واحدة فاني رأيت مكانها محوا ولم ار تحتها شيئا فقلت والله
لقد قرأت هذه الكلمة ولم ار لها ثوابا ولا اراها اثبتت فقال الشخص صدقت
قد قرأتها وكتبناها الا انا سمعنا مناديا ينادي من قبل العرش امحوها واسقطوا
ثوابها فمحوناها فقال فبكيت في منامي وقلت لم فعلتم ذلك فقالوا
مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب هذه واما شدة العين فانا لو رأينا
والعجب انه تقع في لحظة فتحبط عليك عبادة سبعين سنة وحكي ان
رجلا اضاف سفيان الثوري واصحابه فقال لاهله هاتوا الطبق الذي
اتيت به في الحجة الاولى بل الذي اتيت به في الحجة الثانية فنظر اليه سفيان
وقال مسكين قد افسد بهذا حجتيه وجميعه اخوف العين انا قبل
طاعة سلمت عن هذا العجب والرياء يكون لها من الله تعالى حسن القبول نهاية

لم اكن

لم اكن طاعة اذا اصابتها هذه الافة بقيت لا قيمة لها الا ان يتداركها الله
تعالى على ما روي عن علي عليه السلام انه قال لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل
مقبول وسئل النخعي عن عمل كذا وكذا ما ثوابه فقال اذا قبل فلا يحصى ثوابه وعن وهب
قال كان فيمن قبلكم رجل عبد الله سبعين سنة صائما يفطر من سبت الى سبت
وطلب الى الله حاجة فلم تقض فاقبل على نفسه وقال من قبلك اتيت ولو كان عندك
خير قضيت حاجتك فانزل الله ملكا فقال يا ابن ادم ساعتك التي ازريت
على نفسك خير من عبادتك التي مضت قلت فلينظر العاقل الى هذا الكلام
الى العين ان اصلا تكدع وتعيب سبعين سنة واخر ساعة افضل
من سبعين سنة فالعين العظيم ان تكون ساعة خير من
سبعين سنة وترك ذلك من خير جاحد الى الله انه لا اعظم العين وان
اعتابه لا شك خيرا وان الخصلة التي لها هذه القيمة بحيث يصير من
قام بها يحجب ومثل هذا المعنى انما وقع نظر اولى الابصار من العباد في مثل
هذه المعاني الدقائق واهتموا بمثل هذه الاسرار بحيث فيها اولا ثم رعايتها
والتحفظ عنها ثانيا ولم يهمهم كثرة الاعمال بالظاهر وقالوا الشان في الصفوة
لا في الكثرة وقالوا جوهرة واحدة خير من الف خرزة واما الذين قل علمهم
وكل في هذا الباب نظرهم جهلوا المعاني واغفلوا ما في القلوب من العيوب
واشتغلوا باتعاب النفوس في الركوع والسجود والامساك عن الطعام و
الشراب ونحوها فغرهم العدد والكثرة ولم ينظروا ما في المخ والصفوة عن
الجودة ولا لب منها وما ينفع دفع الصنوف ولم يحكم مبانيها وما ينقل هذا

الحقائق الا العالمون بالله المكاشفون واحد ولي الهداية بفضله واما عظم الخطر
من وجوه احدها انه ملك لا نهاية لجلاله وعظمته وله عليك نعم لا تعد ولا
تحصى ولك بدن معيب بعيوب خفية معروف بافات كثيرة وامر مخوف انه مع
ذلك مع تسارع النفس اليه فيحتاج ان يخرج عملا صافيا سالما من كل عيب
ويقتص بالذي الى اشد امارة بالسوء على وجه يصلح لرب العالمين في جلاله وعظمته
وكثرة اياديه ومننه ويقع عنده موقع الرضا والقبول والا فيفوتك الربح العظيم
التي لا تسع النفس بل ربما يصيبك منه مصيبة لا طاقة لك بها وهذا والله
شان عظيم وخطب جسيم اما جلال الملك وعظمته فحيث ان الملائكة المقربين
الابرار قائمون له بالخدمة بالليل والنهار حتى ان منهم من هو منذ خلقه الله
في قيام ومنهم من هو في تسبيح وتهليل فلا يتم القائم قيامه ولا الراكع ركوعه و
لا الساجد سجوده ولا المسبح تسبيحه ولا المهلل تهليله الى نفخ الصور ثم لما
من هذه الحق هذا العظمة قالوا باجمعهم سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وهذا سيد
وخير العالمين واعلم الخلق وافضلهم محمد صلى الله عليه وسلم يقول لا احصي ثناء عليك انت كما
اثنيت على نفسك يقول انا لا اقدر اثني عليك ثناء انت له اهل فضلا عن اعدائي
كما انت له اهل فهو الذي يقول لا احد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته واما النعم والايادي
فكما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وعلى ما روي انه يحشر الناس
على ثلاثة دواوين ديوان الحسنات وديوان السيئات وديوان النعم
فلا يوتى بحسنة الا ويؤتى بنعمة حتى تفنى الحسنات وتبقى السيئات

والذنوب

والذنوب فلله فيه المشية واما عيوب النفس وافاتها فقل من ينجو منها
والامر المخوف ان العبد يكدح ويتعب سبعين سنة غافلا عن عيوبه وافاته
فربما لا يكون واحد منها مقبولا وربما يتعب عمرا ما يفسده ساعة واحدة
واعظم الخطر من ذلك كله انه ربما ينظر الله الى العبد وهو يرائي الناس
ويخالف جعل ظاهره لله وقلبه وباطنه للخلق فيطرده طرد الامر لمن
العباد بالله ولقد سمعت بعض العلماء يحكي عن الحسن البصري انه راى في المنام
فسئل عن حاله فقال اقامني الله بين يديه وقال يا حسن اتذكر يوما كنت
في المسجد اذ رمقك الناس بابصارهم فزدت حسنا لصلوتك فلولا ان اول صلاتك
كان لي خالصا لطردتك اليوم عن بابي ولقطعتك عني مرة واحدة ولما كان
الامر في الجملة من الدقة والصعوبة الى حد عظيم نظر اولي الابصار فيه فخافوا
على انفسهم حتى ان منهم من لا يلتفت الى جميع ما يظهر للناس من اعماله حكي عن
رابعة انها قالت ما ظهر من اعمالي لا اعده شيئا وقال اخر اكتم حسناتك
كما تكتم سيئاتك واخر يقول ان امكنك ان تجعل لك خبيئا من الخير فافعل ولقد حكي
انه قيل لابراهيم بن ادهم ما تحبين اكثر ما تحبين قال السائل يا سيدي من حيث علي وحكي انه
اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار فقال مالك اما الطاعة واما النار فقال محمد بن
واسع اما رحمة واما النار فقال مالك ما احوجني الى معلم مثلك وعن ابي يزيد
البسطامي قال كابدت العبادة ثمانين سنة فرأيت قائلا يقول لي يا ابا
يزيد خزائنه مملوءة من العبادة ان اردت الوصول اليه فعليك بالذلة و
الافتقار وسمعت الاستاذ ابا الحسن يحكي عن الاستاذ ابي الفضل انه كان يقول

انى اعلم ان ما اعمله من الطاعات غير مقبولة عند الله فقبل لى ذلك فاجاب انى اعلم ما يحتاج الى العمل حتى يكون مقبولا واعلم انى لست اقوم بذلك فعلمنا انما غير مقبولة قبل له فلم تفعله قال عسى ان يصلحنى تعالى يوما فتكون النفس معودة العمل الخير فلا احتاج الى ان اعودها ذلك من الراس فهذه حال هو لا الاعلام وذوى المجاهدات والانظار فاطلب لنفسك صحبة مع عزمهم وقوة الاباعن ويجانب الاعمال فهيهات تدرك بالتوانى سادتهم كثرة النفوس وساعد الاقبال ثم رايت ان اثبت ههنا الخبر الماثور عن الصادق المصدوق وقد ذكرناه فى غير كتاب روى عبد الله بن المبارك عن رجل وهو خالد بن معدان انه قال لمعاذ بن جبل حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلعم وحفظته وذكرته فى كل يوم من شدته ودقته قال نعم ثم بكى بكاء شديدا طويلا ثم قال واشوقاه الى رسول الله والى لقائه ثم قال بينما انا عند رسول الله صلعم اذ ركب واردفنى ثم سوى فرفع بصره الى السماء وقال الحمد لله الذى يقضى فى خلقه ما يشاء ثم يا معاذ قلت لبيك يا سيد المرسلين قال احدثك بحديث ان حفظته نفعك وان ضيعته انقطعت حجتك عند الله يا معاذ ان الله خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات لكل سماء ملك وجعل على كل باب من ابواب السماء ملكا بوابا على قدر الباب وجلالته فتصعد الحفظة بعمل العبد له نور وشعاع كالشمس حتى اذا بلغ السماء الدنيا والحفظة تستكثر عمله وتزكيه فاذا انتهى الى الباب قال الملك للحفظة اضربوا بهذا على وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرنى ربى ان لا ادع عمل من يغتاب الناس يجاوزنى ثم يجيئ من الغد معهم عمل صالح له نور تستكثره الحفظة

دونكم

وتزكيه حتى اذا انتهى الى السماء الثانية قال الملك قفوا واضربوا بهذا العمل بوجه صاحبه هذا اراد به عرض الدنيا وامرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى الى غيرى فيلعنه الملائكة حتى تمسى وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجا فيه الصيام والصدقة وكثير من البر تستكثره الحفظة وتزكيه فاذا الى السماء الثالثة فان الملك البواب يقول قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا الملك صاحب الكبر امرنى ان لا ادع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان يتكبر على الناس فى مجالسهم وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهو كالشمس النجوم الزاهرة له دوى من تسبيح وصوم وصلوة وحج وعمرة فاذا انتهوا الى السماء الرابعة قال الملك الموكل قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانا الملك صاحب العجب امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب فيه وتصعد الملائكة بعمل العبد وتزفه كالعروس الى اهلها حتى اذا انتهوا الى السماء الخامسة بعمل العمل الحسن من جهاد وحج له ضوء كضوء الشمس فيقول الملك انا الملك صاحب الحسد انه كان يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وقد سخط ما رضى الله امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى الى غيرى وتصعد الحفظة بعمل العبد بضوء تام وصلوة كثيرة وحج وزكوة وعمرة وصيام يجاوزون بها الى السماء السادسة فيقول الملك الموكل بالباب انا صاحب الرحمة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم قط انسانا وان اصيب عبد شمت به امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى الى غيرى وتصعد الملائكة بعمل العبد نفقة كثيرة وصوم وصلوة وجهاد وورع له صوت كصوت

الرعد وضوء كضوء البرق فاذا انتهوا الى السماء السابعة يقول الملك الموكل بالسماء انا صاحب هذا العمل اراد به الذكر فى المجالس والرفعة عند القراء والجاه عند الكبراء امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى الى غيرى وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائى وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله وتشيعه الملائكة السموات السبع حتى يقطع الحجب كلها الى الله فيقفون بين يدى الرب جل جلاله ويشهدون له بالعمل الصالح له المخلص لله فيقول الله لهم انتم الحفظة على عمل عبدى وانا الرقيب على نفسه انه لم يردنى بهذا العمل ولا اخلصه لى وانا اعلم بما اراد بعمله عليه لعنتى غر الادميين وغركم ولم يغرنى وانا علام الغيوب المطلع على ما فى القلوب لا يخفى على خافية ولا يعزب عنى غائبة علمى بما كان كعلمى بما لم يكن وعلمى بما مضى كعلمى بما بقى وعلمى بالاولين كعلمى بالاخرين اعلم السر واخفى فكيف يغرنى عبدى بعمله انما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون وانا علام الغيوب عليه لعنتى ويقول الملائكة السبعة والثلثة الاف المشيعون يا ربنا عليه لعنتك ولعنتنا فيقول اهل السماء عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين ثم بكى معاذ وابكى بكاء شديدا وقال يا رسول الله كيف لى النجاة مما ذكرت قال يا معاذ اقتد بنبيك فى اليقين قلت انت رسول الله وانا معاذ بن جبل كيف لى النجاة والخلاص قال نعم يا معاذ ان كان فى عملك تقصير فاقطع لسانك عن الوقيعة فى الناس وعن اخوانك من حملة القران خاصة وليردك عن الوقيعة فى الناس ما تعلم من عيب نفسك ولا تزك نفسك بوضع اخوانك ولا ترى بعملك كى تعرف فى الناس ولا تدخل الدنيا

دولا

وتحولا ينسك امر الاخرة ولا تناج رجلا وعندك اخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خيرات الدنيا والاخرة ولا تتحدث فى مجلسك حتى يحذروك من سوء خلقك ولا تمزق الناس بلسانك يمزقك كلاب جهنم قوله تعالى والناشطات نشطا يقول تنزع اللحم عن العظام قلت يا رسول الله من يطيق هذه الخصال قال يا معاذ ان الذى وصفت لك يسير على من يسره الله عليه انما يكفيك من ذلك ان تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك فاذا انت قد سلمت قال خالد بن معدان وكان معاذ لا يكثر من تلاوة القران كما يكثر من تلاوة هذا الحديث ويذكره فى مجلسه فلما سمعت ايها الرجل بهذا الحديث العظيم نباؤه الكبير خطره الاليم اثره الذى يطير له القلوب ويحار له العقول وتضيق عن حمله الصدور وتخرج من هوله النفوس فاعتصم بحبل الله رب العالمين والزم الباب بالتضرع والابتهال والبكاء اناء الليل واطراف النهار مع المتضرعين المبتهلين فانه لا ينجى من هذا الامر الا برحمته ولا سلامة من هذا البحر الا بسفينة وعنايته فتنبه من رقدة الغافلين واعقل الامر جدا وجاهد نفسك فى هذه العقبة لعلك لا تهلك مع الهالكين والله تعالى المستعان على كل حال انه اكرم معين وارحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

وجملة الامر انك اذا احسنت النظر رايت عند طاعة الله ورايت ضعف الخلق وعجزهم وجهلهم فلا تلتفت اليهم بقلبك وكن زاهدا فى ثنائهم ومدحهم وتعظيمهم الذى لا فائدة فيه فلا تريد طاعتك شيئا من ذلك ورايت خسة الدنيا وحقارتها وسرعة زوالها فلا تريد بطاعتك من الله تعالى وتقول ان نفس

انها رب العالمين وشكره واعزازه جزاء اعزاز المخلوقين وثنائهم العاجزين
الجاهلين الذين لا يعرفون قدر عملك بالحقيقة وما يحلك منه وما يبلغون
حقك فيما عملت ويخلك بل ربما يفضلون عليك من هو دونك حالا بالف
درجة ويصنعونك في احوج الاوقات ويحسبونك وان لم يفعلوا
ذلك فما عسى ان يكون بيدهم والى ماذا يبلغ قدرهم ثم هم في قبضة الله
يعرفهم كيف يشاء والحق منها فاعقلي ايها النفس ولا تضيعي طاعتك العزيزة
بهم ولا تبيعها بثناء من ثناؤه كل فخر وعطاء من عطائه كل ذخر ولقد
صدق القائل * سهر العيون لغير وجهك باطل * وبكاؤهن لغير وصلك
ضائع * وقيل يا نفس لحبة الخلد جزاء تنطلي الحظة من الدنيا وسراجها النكد
الفاني وانت متمكنة من ان يحصل لك بطاعتك هذا النعيم المقيم فلا تكوني خسيسة
الهمة دنيئة الارادة دنية الافعال اما ترين الحمام اذا كان سماويا كيف
يعلوا ثمنه ويزداد قدره فارتقي بهمتك كلها الى السماء وجردي قلبك
لله الواحد الذي بيده الامر كله وتضيقي ما ظفرت بربح طاعتك بلا ثني
كما اذا احسنت التامل فرايت بادي احد الله تعالى ومننه عليك في هذه الطاعة عند
بان امكنتك منها واعطاك الالة واكرم ازاح العوائق حتى تفرغت لهذه
الطاعة ثم انه ثم خصك بالتوفيق والتاييد حتى يسرها عليك وزينها في
قلبك حتى عملتها تاتا ثم من جلاله وعظمته واستغنائه عنك وعن طاعتك
وكثرة نعمه عليك وعلمك على هذا العمل اليسير الثناء الجزيل والثواب
العظيم الذي لا تستحقه منه دائما ثم شكورك على ذلك واثنى عليك واحبك

فاجلك

واجبك بذلك خاصا فهذه كلها بفضله العظيم لا عن غناء اشفاقك
لك واي قدر لعملك الحقير المعيب فاذكري ايتها النفس منة ربك الكريم الرحيم سبحانه
فيما احسن اليك في هذه الطاعة واستحيي من ان تلتفتي الى عمل بل الفضل والمنة
لله علينا بكل حال فلا يكون لك شغل بعد حصول هذه الطاعة الا التضرع و
الابتهال الى الله سبحانه بان يتقبلها اما سمعت قول خليله ابراهيم لما فرغ
من بناء بيته كيف ابتهل الى الله تعالى في ان يتفضل عليه بالقبول
ربنا وتقبل منا انك انت السميع العليم لما فرغ من دعائه قال ربنا وتقبل دعاء
فلئن من عليك بقبول هذه الطاعة المزجاة فلقد تم لك المنة واعظم النعمة
وبالك من سعادة ودولة وعز وقيمة وكم من بين لك من خلعة ونعمة
ونحو وكرامة وان تكن الاخرى فيا لك من حرمان وغبن وحرمان فاصحي
واشتغلي بهذا الشان وانا واطنب على مثل هذا واكرره على قلبك عند
الفراغ عن طاعتك واستعنت بالله حرست عن الالتفات الى النفس
والخلق وشغلك عن رايات العجب بعملك على محض الاخلاص لله تعالى
في الطاعات بالتمسك بذكر منة الله تعالى عليك في جميع الحالات وادنى ماجرى
ان تحصل لك طاعة طاهرة لا عيب فيها وخالصة لا شوب فيها وعبادة
مقبولة لا نقص فيها بل مثل هذه الطاعات وان تحصلت في العمر مرة واحدة
مثلا لا عز فانها بالحقيقة لكثيرة لعمري انها وان قل عددها لكثير معناها
وعظم قدرها وكثر نفعها وطاب عيشها والمؤمنون لمثلها عازمون والفضل لله
على العبيد الكثير واي همة اجل من همة تقبلها رب العالمين واي سعي اكرم

من سعي يشكره ويثني عليه رب العالمين فتامل ايها المسكين واياك ان تكون من
المغبونين فاذا اجمع الامر على هذه الجملة كنت من المخلصين لله الخالصين الآن كريم
لمنة وكنت قد خلفت هذه العقبة وسلمت من افاتها وسيقت بخيراتها و
ثمراتها فابن اعلى الابد بكرامتها وسعاداتها والله ولي التوفيق والعصمة
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
العقبة السابعة وهي عقبة الحمد والشكر عليك وفقك الله واياك بالحسنى
ثم بعد تقطع هذه العقبات والظفر بالمقصود من العبادات السالمة
من الافات بالحمد والشكر على هذه النعمة العظيمة والمنة الجسيمة وانما يلزمك
ذلك لامرين احدهما لدوام النعمة والثاني لحصول الزيادة فاما دوام النعمة
الشكر قيد النعم به تدوم وتبقى وبتركه تزول وتحول قال الله تعالى ان الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال تعالى فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس
الجوع والخوف وقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا
عليما وقال الحكماء ان للنعم اوابد كاوابد الوحش فقيدوها بالشكر واما حصول
الزيادة فلما كان الشكر قيدا للنعمة فهو من الزيادة قال الله تعالى لئن شكرتم
لازيدنكم وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا زادهم هدى
قال السيد الحكيم اذا راى العبد قد قام بحق النعمة عليه بالاخرى ويراه اهلا
لها والا فيقطع ذلك عنه ثم النعم قسمان دنيوية ودينية فالدنيوية ضربان نعمة
نفع ونعمة دفع فنعمة النفع ان اعطاك المصالح والمنافع وهو ضربان
البدنية في سلامتها وعافيتها والملاذ المشتهية من المطعم والمشرب و

الملبس

والملبس والمنكح وغيرها من فوائدها ونعمة الدفع ان صرف عنك المفاسد والمضار
احدهما في النفس بان سلمك من مضارها وسائر افاتها وعللها والثاني
دفع ما يلحقك من غيرها من انواع العوائق ويتعرض لسوء من انس وجن وسباع و
هوام ونحوها واما النعم الدينية فضربان نعمة التوفيق ونعمة العصمة فنعمة التوفيق
ان وفقك الله اولا للاسلام ثم للسنة ثم للطاعة ونعمة العصمة ان عصمك اولا من
الكفر والشرك ثم عن البدعة والضلالة ثم عن سائر المعاصي وتفصيل ذلك لا يحصيه
الا الله العالم الذي انعم عليك كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وان
دوام هذه النعم كلها بعد ما من عليك بها والزيادة عليها من كل باب منها ما لا
يبلغ وهمك كلها يتعلق بشيء واحد وهو الشكر والحمد لله وان خصلة تكون لها
هذه القيمة كلها ويكون فيها كل هذه الفائدة لحقيق بان تتمسك بها من غير
اغفال لها فانه جوهر ثمين وكيمياء عزيز والله ولي التوفيق بفضله فان قيل
فما حقيقة الحمد والشكر ومعناهما وحكمهما فاعلم ان العلماء فرقوا بين الحمد و
الشكر عند اهل التفصيل بان الحمد اشكال التسبيح والتهليل فيكون من المساعي
الظاهرة والشكر من اشكال الصبر والتفويض فيكون من المساعي الباطنة لان الشكر
يقابل الكفران والحمد يقابل اللوم ولان الحمد اعم واكثر والشكر اخص واقل قال الله
تعالى وقليل من عبادي الشكور فثبت انهما معنيان متميزان ثم الحمد هو الثناء
على احد بالفعل الحسن هذا من مقتضى كلام شيخنا واما الشكر فحكوا في معناه اقاويل عن
ابن عباس انه قال الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لرب العالمين في السر والعلانية
والى نحوه ذهب بعض مشايخنا فقال الشكر هو اذا الطاعات في الظاهر والباطن

ثم رجع الى الله اجتناب المعاصي ظاهرا وباطنا وقال غيره الشكر الاحتراس عن اجتناب
معاصي الله تعالى بحرس على قلبك ولسانك واركانك حتى لا تعصي الله بشيء من
هذه الثلاثة بوجه من الوجوه والفرق بين قوله وقول الشيخ الاول ان جعل
الاحتراس معنا مبنيا زائدا على الاجتناب عن المعاصي وما هو الا ان لا يفعل
المعصية عند دواعيها ولا يكون في نفسه حتى يحصل يكون العبد بذلك مشتغلا
وعن الكفران معتصما وقال شيخنا ان الشكر تعظيم المحسن على مقابلة احسان
يكون من الله الشكر للعبد فيكون تحسين وعنه تفاصيل وقد شرحناها في كتاب
احياء علوم الدين وغيره ولكن المحصل لك الشكر من العبد تعظيم بمنع من
جفاء من احسن اليه وذلك بتذكر احسانه وهو حال الشاكرين في شكره ونتيجة
حال الكافرين في كفرانه قلنا ان اول ما يستوجب النعم تعظيمه ان لا يتوسل بها الى معصية
وما اقبح حال من جعل نعمة المنعم سلما على عصيانه فعلى العبد اذا من فرض الشكر في
حقيقته ان يكون له من تعظيم الله سبحانه ما يحول بينه وبين معاصيه على حسب ذكر
نعمه وانا انبهك لذلك فقد التك عما هو الاصل فيه ثم بقلبك بذلك تحدث الطاعة
وجعل في القيام بالخدمة اذ هو من حقوق النعمة فلا بد من الاحتراس عن المعصية وبالله
التوفيق فان قلت فما موضع الشكر فاعلم ان موضع النعم دينية ودنياوية على الابدا
واما الشدائد والمصائب في الدنيا في نفس او اهل او مال فتكلموا في ذلك هل يلزم العبد
الشكر عليها قال بعضهم لا يلزم للعبد الشكر عليها من حيث هي وانما يجب فيها الصبر وانما
الشكر يتوجه على النعمة لا غير قالوا ولا شدة الا وفي جنبها نعم الله فيلزم الشكر على تلك
النعم ما قال ابن عمر رضي الله عنهما ما ابتليت ببلية الا كان لله علي فيها اربع نعم اذ لم يكن في ديني

واذلم

واذ لم يكن اعظم منها واذ لم احرم الرضاء بها واذ رجوت الثواب عليها وقيل
ايضا من تلك النعم ان تلك الشدة زائلة غير دائمة وانها من الله تعالى دون غيره
وان كانت بسبب مخلوق فانها لك عليه لا له عليك فاذا يلزم العبد الشكر على النعم
المقترنة بالشدة وقال الجمهور وهو الاولى عند شيخنا ان شدائد الدنيا مما
يلزم العبد الشكر عليها لان تلك الشدائد نعم بالحقيقة بدليل انها تعرض
العبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة وعواض كريمة في العاقبة يتلاشى في
جنبها مشقة هذه الشدائد واية نعمة تكون اكثر من هذه ومثاله لك من
يطعمك دواء كريها من داء شديد او يفصدك ويحجمك لعلة عظيمة تخوفه الخطر
فيتأدى بك ذلك الى صحة النفس وسلامة البدن وصفوة العيش فيكون ذلك الا
ابالك بمرارة الدواء وجراحة الفصد والحجامة نعمة بالغة في الحقيقة ومنة
ظاهرة وان كانت في صورة مكروها ينفر عنه الطبع ويستوحش منه النفس
الا ترى ان العاقل الذي يعقل مثل هذا بل يحسن اليه ما امكنه فكذلك حكم هذه الشدائد
اما ترى ان النبي كيف حمد الله تعالى وشكره على الشدائد بشكره على المسار حيث
قال الحمد لله على ما ساء وسر اما ترى كيف يقول جل وعلا فعسى ان تكرهوا شيئا
ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وما سماه الله خيرا فهو اكثر مما يبلغه فهمك ثم لك
هذا القول ان النعمة ليست جزاء عن اللذة وما يشتهيه النفس ويقتضي الطبع
وانما هو ما يزيد في رفعة الدرجات ولذلك انها يسمى نعمة من معنى الزيادة واذا كانت
الشدة مما يصير سببا في زيادة شرف العبد ورفعة درجته فيكون نوعا من النعمة
وان كانت بمعنى الشدائد والمحن بظاهرها فاعلم ذلك موفقا فان قلت فالشاكر

افضل بدليل قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وجعلهم اخص الخواص وقال في نوح
عليه السلام انه كان عبدا شكورا وقال قتادة بصيغة شاكرا لانعمه اجتباه ولانه في منزلة
الانعام والعافية ولذلك قيل لان انعم فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر وقيل بل
الصبر افضل لانه اعظم مشقة فيكون اعظم ثوابا وارفع درجة قال الله تعالى
انا وجدناه صابرا نعم العبد وقال تعالى انما يوفى الصابرون قلت اما الشاكر
بالحقيقة لا يكون الا صابرا والصابر بالحقيقة لا يكون الا شاكرا لان الشكر في
المحنة لا بد من عقيدة تصبر عليها لا محالة ولا تجزع فان الشكر تعظيم المنعم على حد
يمنع من عصيانه والجزع عصيان والصابر لا بد تحمله اذ كرنا ان الشدائد نعم
بالحقيقة اذ صبرا لا يحبس نفسه عن الكفران مع مضض النفس شدة تصبر عليها الشاكر
وتوفيق الصبر والعصمة نعمة يشكر عليها الصابر فاحدهما لا ينفك عن الاخر لان
البصيرة الباعثة عليهما واحدة وهي بصيرة الاستقامة في قول بعض العلماء فمن هذه
الوجوه قلنا ان احدهما لا ينفك عن الاخر فاعرف هذه الجملة وبالله التوفيق
فعليك ايها الرجل ببذل المجهود في قطع هذه العقبة الشاقة
المعروفة الكبيرة الجليلة العزيزة العظيمة القدر وتامل اصلين احدهما
ان النعمة انما يعطى من يعرف قدرها وانما يعرف قدرها الشاكر ودليل ما قلنا
قوله تعالى في الحكاية عن الكفار اهؤلاء من الله عليهم من بيننا
اليس الله باعلم بالشاكرين ظنوا اولئك الجهال ان النعم العظيمة والمنة الكبيرة
انما يعطي من يكون اكثر مالا واشرف حسبا ونسبا فقالوا اما بال الصعاليك الفقراء
من بينهم من العبيد والاحرار اعطوا هذه النعمة العظيمة من عند الله دوننا فقال الله تعالى

سبيل

سبيل الاستنكار ومجرى الاستهزاء اهؤلاء من الله عليهم من بيننا فاجابهم الله تعالى
بهذه النكتة الزاهرة فقال اليس الله باعلم بالشاكرين تقدير الكلام ان السيد الحكيم
انما يعطي نعمته من يعرف قدرها من اقبل عليها بنفسه وقلبه فاختارها على
غيرها ولا يعبأ بما يحتمل من اعباء المؤنة في تحصيلها ثم لا يزال انما بالباب يروى
شكرها وكان في علمنا السابق ان هؤلاء الضعفاء يعرفون هذه النعمة كلها
ويقومون بشكرها فكانوا اولى بهذه النعمة منكم فلا اعتبار بغنائكم وجاهكم
وبروعتكم في الدنيا وحشمكم ولا نسبكم في الانساب ولا حسبكم انما يحبون النعم كلها
الدنيا وحطامها والحسب والنسب وعلوه لا الدين والحق ومعرفته وانما يعظمون
ذلك ويتفاخرون بها تروك انكم لا تكادون تقبلون هذا الدين والحق الا منة
على ما اتاكم به ولا يستخفا دكم ذلك وقلة مبالاتكم وان هؤلاء الضعفاء تقبلون انعمهم
على ذلك ويبذلون مهجهم فيه ولا يبالون بما فاتهم وبمن عاداهم مع ذلك ليعلموا
انهم هم الذين عرفوا قدر هذه النعمة ووقع في قلوبهم لعظمها وهان عليهم فوت
كل شيء دونها وطاب لهم احتمال كل شدة فيستوجبون جميع الحق بشكره فلذلك
استأهلوا هذه المنة الكبيرة والنعمة العظيمة في سابق علمنا وخصصناهم بها دونكم
فهذه هذه ثم اقول لك كل فريق من الناس خصهم الله تعالى بنعمة من نعم الدين
علما وعبادة فانك تجدهم بالحقيقة اعرف الناس بقدرها واشدهم تعظيما
واجدهم في تحصيلها واعظمهم مذاكرة لها واقومهم بشكرها والذين حرمهم فلعله
حظهم ولعظمهم حقها بعد القدر السابق فلو كان تعظيم العلم والعبادة في
قلوب المتصوفة والعامة مثل ما هو في قلوب العلماء والمتعبدين لما اثروا سواهم

عليه وهان عليهم تركها الا ترى ان ضيفها اذا لحظ بتعليم مسئلة كانت ملتبسة عليه كيف
يرتاح قلبه وتعظم سروره ويجد موقعه في قلبه حتى ربما لو وجد الف دينار لما كان
يعدل ذلك وربما يتحمله امر مسئلة في باب الدين فيتفكر سنة بل عشرا بل عشرين
واكثر ولا يستكثر ذلك ولا يمل حتى يمادي فيه الله فهم ذلك فيعتقده اعظم منة
واكبر نعمة ويرى نفسه بذلك اغنى كل غني واشرف كل شريف ثم ربما يتبين فضل
هذه النعمة او متعلم كسلان يرى من نفسه انه مثله في الرغبة في العلم والمحبة لله
تعالى ولا ينبغ الجهد وربما ان طال عليه الكلام مل وسئم وان تبين ذلك له
فلا يعده كبيرا وكذلك المنيب الى الله تعالى كم يجتهد ويدأب بالرياضة وصيانة
النفس عن الشهوات واللذات والتمام الاركان في الحركات والسكنات عسى
ان يفتح الله تعالى له ركعتين في ادب طهارته وكم يتضرع الى الله تعالى عسى ان يرزقه
ساعة مناجاة بصفوة وحلاوة فلئن ظفر بذلك في شهور مرة بل في عمره
كلها مرة عد ذلك اكبر منة واعظم نعمة وكم يسرع وكم يشكر الله تعالى ولا يكترث بما فات
من المشتهيات وكان يعض الليالي ويهجر من اللذات بهما ثم الذي يتنعم انه راغب
العباد يجب ان يحصل له شيء منها او احتاج احدهم في تحصيل مثل هذه الطاعة
الى نقصان لقمة في عشائهم او ترك كلمة لا يعنيهم او دفع نوم ساعة عن اعينهم
فلا يسمح انفسهم بذلك ولا تطيب قلوبهم فان اتفق لهم في النادر حصول عبادة في
صفوة فلا يعده خطرا ولا يقدرون فيه كثير شكرا انما يعظم سرورهم ويكثر بالكلام
احدهم اذا حصل لهم درهم او استقام لهم كسوة او طاب لهم مرقة او طالت في
سلامة البدن مدة فيقولون الحمد لله هذا من فضل الله الى يساوي هذا و
الغافلون

الغافلون العاجزون اولئك السعداء المجدين ولذلك صار هؤلاء المساكين
عن هذا الخير محرومين واولئك المؤيدون مرتقين وكذلك قسم الامر احكم
الحاكمين وهو اعلم بالعالمين فهذا تفصيل قوله الفضل بيده وهو اعلم بالشاكرين فتفهم
وراع جهدك واعلم ان لم تحرم قطرا انت تسماه الاخرة فبل النفس فابد الجهود
لتعرف قدر نعمة الله تعالى وتعظمها حق تعظيمها فتكون اهلا لها ولا تعطاكها
ثم يمن عليك بابقائها كما من عليك بابتدائها على ما نذكره في الاصل الثاني
انه رؤوف رحيم النعمة انما تسلب
ممن لا يعرف قدرها والذي لا يعرف قدرها الكفور الذي لا يكفرها ولا يؤدي
شكرها ودليل ذلك قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها
فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها الاية فتدبر الكلام
انما انعمنا على هذا العبد بالنعم العظام والايات الجسام في باب الدين ومكناه
بذلك من تحصيل الرتبة الكبيرة والمنزلة الرفيعة على ما بينا فنحن رفعنا عندنا
عظيم القدر كبير الجاه ولكنه جهل قدر نعمتنا فمال الى الدنيا الدنية الحقيرة و
اتبع شهوته النفسية الدنية الردية ولم يعلم ان الدنيا كلها بمنزلة الكلب الذي
لا يعرف الاكرام من الاهانة ولا الرفعة والشرف من الخفاء فهذه الكرامة كلها عنده
في كسرة يطعمها او عراق ما ئدة يرمي اليه سواء تفعل ذلك على سرير مملكة او نعمة في
التراب فالعبد يعني بذلك منصبه ورفعته وكرامته كلها في ذلك فهذا العبد
السوء انما جهل قدر نعمتنا ولم يعرف حق ما اتيناه من كرامتنا وكلت بصيرته وساء
في مقام القرب لذة ادنى انتفاث الى عرضها والاستقبال عن ذكر نعمتنا بدنياه الحقيرة

ولذة خسيسة فنظرنا اليه نظر السياسة واخرجناه من ميدان العدل وامرنا فيه
بحكم الجبروت فسلبناه جميع خلعنا وكرامتنا ونزعنا من قلبه معرفتنا فانسلخ عاريا
من جميع ما اتيناه من فضلنا فصار كالباطل طريدا وشيطانا رجيما نعوذ بالله ثم نعوذ
بالله من سخطه واليم عقابه انه شبيه رجل عند حكيم ثم افنع ممثال الملك يكرم عبده
فيخلع عليه خاصة ثيابه ويقربه من نفسه ويجعله فوق خواصه وحجابه واص
تملأن منه بابه ثم امر له ان يبني في موضع اخص القصور ويرفع له الاسرة وينصب
الموائد ويزين له الجواري ويقام له الغلمان حتى اذا بحجرتها من الخدمة هنا اجلس
لك مكانك وماهكرها وما بين خواطن منه الى ملكه ولا ينبغي الا ساعة
من نهار او اقل فان ابصر هذا العبد بجانب باب الملك كلبا ميتا للدواب يأكل
عفنها او كلبا يمضغ عظما فيشتغل عن خدمة الملك ينظر اليه ولا يلتفت الى ما
يلتفت اليه من الخلع والكرامة فيمشي الى ذلك السائل ويمد يده ويسأله كرة
من رغيفه ويزاحم الكلاب على عظمه ويضبطها ويعظم ما هو فيه الملك
اذا نظر اليه على هذه الحالة يقول هذا سفيه خسيس الهمة لم يعرف حق
نعمته ولم يتقدر اعزازنا بخلعنا والنفوس الخطير مع ما عرفنا اليه من
عنايتنا وامرنا له في الذخاير وضرورب الايادي ما هذا الا ساقط الهمة
قليل التمييز اسلبوه الخلع واطردوه عن بابنا هذا حال العالم اذا مال
الى الدنيا والعابد اذا اتبع الهوى بعدما اكرمه الله تعالى بعبادته ومعرفته
اياته وشريعته واحكامه ثم لم يعرف قدر ذلك فيصير الى الحضيض عند الله
واهون اليه ما عنده ويرغب فيه ويحرص عليه ويكون في قلبه احب اليه من جميع ما اعطي من
تلك

تلك النعم العزيزة من العلم والعبادة والحكم والحقائق وكل من خصه الله تعالى
بانواع توفيقه وعصمته وزينه بانوار خدمته وعبادته ويديم النظر اليه بالاكرام
في اكثر اوقاته ويباهي به ملائكته واعطاه على بابه العبادة والوجاهة في
احله محل الشفاعة وانزله منزلة الاثرة حتى اذا صار بحيث لو دعاه لاجابه
ولباه ولو سال له اعطاه واغناه ولو شفع في عالم لشفعه فيهم وارضاه و
لو اقسم عليه لابره وارضاه ولو خطر بباله شيء لاعطاه قبل ان يسال له بلسانه ثم
من كانت هذه حالته ثم لا يعرف قدر هذه المنة فيقول الى شهوة نفس دنية
لاحيا له ونفقة من الدنيا الدنية التي لا بقاء لها ولم ينظر الى تلك الكرامات
والخلع والهدايا والمنن العظام ثم وعدوا وعد في الاخرة من الثواب العظيم
والنعيم المقيم فما احقرها من نفس وما اسوأه من عبد وما اعظم خطره لو علم
وما افحش صنعه لو فهم نسأل الله البر الرحيم ان يصلحنا بعظيم فضله وسعة رحمته
انه ارحم الراحمين فعليك ايها الرجل ببذل المجهود حتى تعرف قدر نعم الله عليك
واذا النعم بنعمة الدين اما تسمع قوله تعالى حيث قال لسيد المرسلين ولقد اتيناك
سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا الاية تقديره
ان كل من اوتي القرآن العظيم حق له ان لا ينظر الى الدنيا الحقيرة نظرة باستحلاء
فضلا عن ان يكون له رغبة فيها فليدم الشكر على ذلك فانه الكرامة التي عرض
خليله ابرهيم ان يمن بها على ابيه فلم يفعل وعرض حبيبه المصطفى ان يمن بها
عمه ابي طالب فلم يفعل واما حطام الدنيا فانه يصبه على كل كافر وفرعون وملحد
وزنديق وجاهل وفاسق الذين هم اهون عليه حتى غرقوا فيه ويصرفه عن كل نبي

وصفي وصديقين وعالم وعابد الذين اعز خلق الله عليه حتى انهم لا يكادون
يصيبون كسوة وخرقة ومن علمهم بان لا يلتفتوا الى ذلك قال الله تعالى
لموسى وهرون ولو شئت ان ازينكما بزينة يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز
عنها لفعلت ولكني ازوي عنكما وارغب بكما عنه وكذلك افعل باوليائي واني لاذودهم
كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك الغرة واني لاجنبهم سكونها وعيشها
وليس ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي وقال الله تعالى ولولا ان يكون
الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية فانظر
الفرق بين الامرين ان كنت بصيرا ثم قل الحمد لله الذي من علينا بمن اوليائه
واصفيائه وصرف عنا ما صرف عن اعدائه ثم اعلم انه لحقيق بالشكر الاوفر والحمد الاكثر والمنة
الكبرى والنعمة العظمى التي هي الاسلام فانه الاولى والاحرى بان لا تغفل ولا تغافل
عن شكرها فان كنت عاجزا عن عرفان قدرها فاعلم بالحقيقة انك لو خلقت من
اول الدنيا واحدث في شكر الاسلام من اول الوقت الى الابد ما كنت تقوم بذلك
ولما قضيت بعض الحق لما هيا لك من الفضل العظيم قلت واعلم ان الموضع
لا يحتمل ذكر ما يبلغه علمي من قدر هذه النعمة ولو اكتب فيه العمر لكان مبلغ
علمي فوق ذلك مع اعترافي بان ما اعلمه في جنب ما لا اعلمه كنقطة في بحار
الدنيا باسرها اما تسمع وصفك قوله تعالى لسيد المرسلين ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان الاية وقوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم الاية وقال تعالى للقوم بل الله
يمن عليكم ان هداكم للايمان اما تسمع قوله صلى وقد سمع رجلا يقول الحمد لله على الاسلام
فقال انك لتحمد الله على نعمة عظيمة ولما قدم البشير على يعقوب عم قال على اي دين تركته

قال على

قال على الاسلام قال الآن تمت النعمة وقيل ما من كلمة احب الى الله تعالى
ولا ابلغ عنده في الشكر من ان يقول العبد الحمد لله الذي انعم علينا وهدانا
للاسلام فاياك ان تغفل الشكر وتغتر بما انت فيه الحال من الاسلام والمعرفة
والتوفيق والعصمة وانه مع ذلك لا موضع للامن والغفلة فان الامور بالعواقب
وكان سفيان الثوري يقول ما امن احد على دينه ان يسلب الا سلب وكان يبكي ويقول
اذا سمعت بحال الكفار وخلودهم في النار فلا تأمن على نفسك فان الامر على
الخطر ولا تدري ما ذا يكون من العاقبة وما سبق في حكم الغيب فلا تغتر بصفاء
الاوقات فان تحتها غوامض الافات وقال بعضهم يا معشر المغترين بالعصمة ان
تحتها انواع النقم ذلك ان الله اتى بانواع عصمته وهو عنده في خطابه علام
وعن علي كم من مستدرج بالاحسان وكم من مفتون بحسن القول فيه وكم
من مغرور بالستر عليه وقيل لذي النون ما اخفى ما يخدع به العبد قال الالطاف
والكرامات وكذلك سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قيل نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر
واليها اشار القائل • احسنت ظنك بالايام اذ حسنت • ولم تخف سوء ما يأتي
به القدر • وسالمتك الليالي فاغتررت بها • وعند صفو الليالي يحدث الكدر •
واعلم انك كلما ارتفعت في المرتبة فامرك اخوف واصعب والمعاملة اشد وادق
والخطر عليك عظيم فان الشيء كلما كان ابلغ علوا فاذا انقلب كان اصعب وقوعا كما
قيل • ما طار طير فارتفع • الا كما طار وقع • فاذا لا سبيل الى الامن واغفال الشكر
ولذلك الابتهال الى الحفيظ تعالى وكان ابرهيم بن ادهم يقول كيف نامن وابرهيم عم
يقول واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ويوسف الصديق يقول توفني مسلما والحقني

بالصالحين وكان سفيان الثوري لا يزال يقول سلم سلم كانه في سفينة يخشى الغرق
وبلغنا عن محمد بن يوسف انه قال تاملت سفيان الثوري ليلة فبكى الليل اجمع فقلت
ابكاؤك هذا على الذنوب فحمل تبنا فقال الذنب على الله اهون من هذا انما اخشى
ان يسلبني الاسلام والعياذ بالله وسمعت بعض العارفين يقول ان بعض
الانبياء سال الله تعالى عن امر بلعام وطرده بعد تلك الايات والكرامات
فقال الله تعالى لم يشكرني يوما من الايام على ما اعطيته ولو شكرني على ذلك مرة لما سلبته
فتيقظ ايها الرجل واحتفظ بركن الشكر جدا جدا واحمد الله تعالى على امنه
في الدين اعلاها الاسلام والمعرفة وادناها مثل توفيق تسبيحة او عصمة عن كلمة
لا يعنيك عسى ان يتم نعمته عليك ولا يبتليك بمرارة الزوال فانما امر الامور
واصعبها الاهانة بعد الكرامة والتبعيد بعد التقريب والطرد والفراق بعد الوصال وهو نعم المنان
الكريم الرؤف الرحيم وجملة الامر انك اذا احسنت النظر في منن الله الظاهرة
والبادية الجسام التي لا تحصيها فلبك ولا يحيط بها وهمك حين خلفت
هذه العقبات الصعاب من تحصيل العلوم والبصائر وتطهيرك من الاوزار
والكبائر وسبقت العوائق ودفعت العوارض وظفرت بالبواعث وسلمت
من القوادح فلم يحصل لك منها من خصلة شريفة ورتبة منيفة اولها اليقين
والتعريف واخرها التقريب فتاملت فيها بقدر عقلك وتوفيقك وشكرت الله تعالى
على قدر طوقك بان شغل لسانك بحمده وثنائه وملأ قلبك بعظمته مبلغا
يحول بينك وبين عصيانه ويبعثك على الجهد لربما امكنك ان تسقط انفك
معترفا بالقصور من حق نعامه واحسانه وكلما اعقلت شكره اوفرت شاهد

ذلك

ذلك عاودت واجتهدت وتضرعت اليه وتوسلت وقلت يا الله يا مولاي
كما ابدأت بالاحسان بفضلك من غير استحقاق وتناهيه سيدا واولياء الذين
صحبوا ناج هدايته وذاقوا حلاوة معرفته فخافوا على انفسهم حرقة الطريق
الاهانة ووحشة البعد وانضل الرمراية الغربة الا انا نضرعوا بالباب
مستغيثين وصدوا اليه لاكف مبتهلين ونادوه في الخلوات مستصرخين ربنا لا
تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا الاية فلنا نا والله اعلم نعتديه انا وحدنا
مثل نعمة قطعتنا في اخرى لانك انت الجواد الوهاب فلا تصيب مزية الانعام
في الابتداء ومهب لنا رحمة الاتمام في الانتهاء اما تسمع ويحك ان اول دعاء علمه رب
العالمين عباده المسلمين الذين اصطفاهم من بين خلقه هذا الدعاء وهو قوله تعالى
اهدنا الصراط المستقيم اي ثبتنا عليه وادمه واقدمه لنا هكذا التضرع اليه فان
الخطر عظيم وقيل ان الحكماء نظروا فوجدوا اصناف العالم ومحنتها الحبس والمرض
الصعوبة والموت في السبات والعمى بعد البصر والنكرة بعد المعرفة واحسن من ذلك
قول من قال • لكل شيء اذا فارقته عوض • وليس لله ان فارقت من عوض •
ولغيره • انا البقت اللذا على السواد • بيد فما توفر منها ملبس بصاك •
وكذلك كل نعمة انعم بها عليك وتأييد ايدك به في قطع عقبة من العقبات
ليثبت عليك ما اعطى ويزيدك فوق ما تحوذ وتتمنى فاذا فعلت ذلك كنت قد
خلفت هذه العقبة الخطرة وظفرت بالكنزين الكريمين العزيزين الذين
بهما الاستقامة والاستزادة فيدوم لك النعم الموجودة التي اعطاكها الله وتحوز
فوائتها وكنت حينئذ من العارفين العاملين الذين التائبين الطاهرين الزاهدين

في الدنيا المتجردين للعبادة القاهرين الشيطان المنقطعين حق الانقطاع بالقلب والاركان
القاهرين للباطل الناصحين الخاشعين المتواضعين المتوكلين المفوضين الراضين
الصابرين الخائفين الراجين المخلصين الذاكرين الحامدين الشاكرين لانعم
رب العالمين ثم نظر بعد ذلك من المستقيمين المكرمين الصديقين فتامل هذا كله
والله ولي التوفيق فان قلت اذا كان الامر كذلك فقد قل من الناس العابد لهذا الطريق
والواصل الى هذا المقصود ومن الذي على هذا المؤن ويحصل هذه الشرائط فاعلم
ان الله سبحانه كذلك يقول وقليل من عبادي الشكور ولكن اكثر الناس لا يشكرون ولا يعقلون
لا يعلمون ثم ان ذلك يسير على من يسره الله تعالى عليه وعلى العبد الاجتهاد وعلى الله
الهداية قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فاذا كان العبد الضعيف يقوم
بما عليه فما ظنك برب العالمين الغني الكريم الرحيم فان قلت فالعمر قصير وهذه عقبات
طويلة شديدة ولكن اذا اراد الله تعالى ان يجتبي عبده قصر عليه طويلها وهون
عليه شديدها حتى يقطعها بعض قطعها ما اقرب هذا الطريق واقصره وما اهون هذا
الامر وايسره وفي مثل ذلك قلت انا شعر وقرب على صدده الغاية علم المحجة
لزينة واري القلوب عن المحجة في عمى ولقد عجبت لهالك ونجاته موجودة ولقد عجبت
لمن نجا حتى ان منهم من يقطع تلك العقبات في سبعين سنة ومنهم في عشر سنين
ومنهم من يحصل له في سنة ومنهم من يقطعها في عشرين شهرا في جمعة بل في ساعة
حتى ان منهم من يحصل له في لحظة بتوفيق خاص وعناية سابقة اما تذكر اصحاب الكهف
قالوا ربنا رب السموات والارض وابصروا ما في هذا الطريق من العقبات وقطعوا
هذا الطريق قصارا متعرضين متوكلين مستقيمين اذ قالوا لما اووا الى الكهف ينشر لكم

ربكم

ربكم من رحمته فكان ذلك انما حصل لهم في مقدار ساعة او لحظة اما تذكر سحرة فرعون
ما كان مدتهم الا كلحظة حينئذ او معجزة موسى عم فقالوا امنا برب العالمين فابصروا
الطريق وقطعوه حينئذ فصاروا من ساعة الى ساعة بل اقل من العارفين بالله الراضين
بقضائه الصابرين على بلائه الشاكرين لالائه المشتاقين الى لقائه فنادوا
لا ضير انا الى ربنا منقلبون ولقد حكينا ان ابرهيم بن ادهم كان على ما كان عليه
من امر الدنيا فعدل عن ذلك وقصد هذا الطريق فلم يكن مقدار سيره من بلخ الى
مرو الروذ حتى صار بحيث اشار الى رجل سقط من القنطرة في الماء الكثير هنالك ان
قف فوقف الرجل مكانه في الهواء فتخلص وان رابعة البصرية كانت امة كبيرة تطاف
في سوق البصرة ولا يرغب فيها احد لكبر سنها فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مائة
درهم واعتقها فاختارت هذا الطريق واقبلت على العبادة فما تمت لها سنة حتى
زارها زهاد البصرة وقراؤها وعلماؤها لعظم منزلتها واما الذي لم ترشحه العناية
ولم تعامل بالفضل فيكل الى نفسه فربما يبقى في شعب عقبة واحدة ولا يقطعها وكم يصيح
ويصرخ ما اظلم هذا الطريق واشكله واصعب هذا الامر واعضله فان الشان كله في
اصل واحد وذلك تقدير العزيز العليم الحكيم فان قلت لم اختص هذا بالتوفيق الخاص
وحرم هذا وكلاهما مشتركان في ربقة العبودية فقد هذا السؤال ينادي من سرادقات
الجلال ان الزم الادب واعرف سر الربوبية فانه لا يسال عما يفعل وهم يسالون قلت انا
ومثال هذا الطريق في الدنيا الصراط في الاخرة في عقباتها ومسافاتها ومقاطعها
واختلاف احوال الخلائق فيها فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه
كالريح العاصف والاخر كالفرس الجواد واخر كالطائر واخر يعدو واخر يزحف حتى

حتى يصير فحمة واحد ثم يمشي ويمر حبوا واخر يوخذ بكلاليب فيطرح في جهنم فكذلك
حال هذا الطريق مع سالكيها في الدنيا فصار الطريقان صراط في الدنيا وصراط في الاخرة
فصراط الاخرة للانفس يرى اهوالها اهل الابصار وصراط الدنيا للقلوب يرى اهوالها
ذوو البصائر والالباب اما اختلاف الاحوال للسالكين في الاخرة واختلاف احوالهم في
الدنيا فما طرق للحقيقة بهذه هذه ثم اعلم ما هو الحقيقي في هذا الباب
وهو انه ليس هذا الطريق في طوله وقصره مثل المسافات الكائنة التي تسلكها الانفس فتقطعها
بالاقدام فيقطع قطعها على حسب قوة الانفس وضعفها وانما هو طريق روحاني تسلكها
القلوب فتقطعها بالافكار على حسب العقائد والبصائر اصلها نور سماوي ونظر الهي
يقع في قلب العبد فينظر نظرة يرى بها امر الدارين في الحقيقة ثم هذا النور ربما يطلبه العبد مائة سنة
فلا يجده ولا اثرا منه وذلك لخطائه في الطلب وتقصيره في الاجتهاد وجهله بطريق ذلك
واخر يجده في خمسين واخر في عشر واخر في يوم واخر في ساعة ولحظة بعناية رب العالمين
وهو الله ولي الهداية ولكن العبد مامور بالاجتهاد فعليه بما امر والامر مقسوم مقدر
والرب حكم عدل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فان قلت فما اعظم هذا الخطر واشكل هذا
الامر وما اكثر ما يحتاج اليه العبد الضعيف فكل هذا العمل والجهد وتحصيل هذه الشرائط
لماذا فاقول انك صادق في قولك ان الامر شديد والخطر عظيم ولذلك قال الله تعالى لقد
خلقنا الانسان في كبد وقال انا عرضنا الامانة الاية وكذلك قال سيد المرسلين صلعم لو
علمتم ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما روي ان المنادي ينادي من السماء ليت
هذا الخلق لم يخلقوا وليتهم اذا خلقوا علموا لماذا خلقوا ولذلك يقول السلف فذلك
وعن ابي بكر وددت اني كنت خضرا تاكلني الدواب مخافة العذاب وعن عمر انه سمع انسانا

يقرا

يقرا هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فقال ليتها تمت
قال ابو عبيدة وددت اني كنت كبشا لاهلي فيتفقون لحمي ويحسون مرقي ولم اخلق
وعن وهب بن منبه خلق خلق ابن ادم احمق ولولا حمقه ما هناه عيش وعن
الفضيل اني لا اغبط ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا عبدا صالحا اليس هؤلاء
يعاينون يوم القيامة انما اغبط من لم يخلق وعن عطاء السلمي لو ان نارا اوقدت
فقيل من القى نفسه فيها صار لا شيء لخشيت ان اموت من الفرح قبل ان
اصل اليها فاذا الامر اذا ايها الرجل شديد كما تقول بل اشد واعظم مما تظن
وتتوهم ولكنه امر سبق في العلم القديم وذلك تقدير العزيز العليم فلا حيلة
للعبد الا بذل المجهود في العبودية والاعتصام بحبل الله والابتهال دائما الى الله
عسى ان ينصره الله فيسلم بفضله واما قولك كل هذا لماذا فهذا كلام يدل مثلا
على غفلة عظيمة بل الصواب ان تقول كل هذا من جنب ما يطلبه العبد الضعيف ماذا
فمطلب العبد على الجملة شيئان احدهما السلامة في الدارين اما السلامة في
الدنيا وفتنها وغوائلها فعجب لم يسلم منها الملائكة المقربون وقد سمعت حديث
هاروت وماروت حتى روي انه اذا اعرج بروح العبد الى السماء يقول ملائكة
السماء متعجبين كيف نجا هذا من دار فسد فيها خيارنا وان الاخرة في احوالها
وشدائدها بحيث يصرخ فيها الانبياء والرسل نفسي نفسي لا اسالك اليوم الا نفسي حتى
روي انه لو كان الرجل عمل عمل سبعين نبيا لظن انه لا ينجو فمن اراد ان يسلم من
هذه فيخرج منها بالاسلام سالما لا تصيبه فتنة ومن اهوال هذه فيدخل
الجنة سالما لا يصيبه في الدنيا ايكون ذلك امرا هينا واما الملك الكريم

فان الملك بعا فاد النصوف المشبة وان ذلك بالحقيقة في الدنيا لاولياء الله
سبحانه واصفيائه الواصلين بعضا انزا البحر والبر والارض لهم قدم والجو المدى
لهم ذهب وفضة والجن والانس والبهايم والطيور لهم مسخرون لا يريدون
شيئا الا وهو كاين لانهم لا يشاؤون الا ما شاء الله وما شاء الله كان ولا يخافون
احدا من الخلق ويهابهم كل الخلق ولا يحتاجون احدا الا بالله ويخدمهم كل
من دون الله وابن الملوك الذين يعيشون حيشا وهذه الرتبة بل هم اذل واذل
واما ذلك الاخرة فيقول الله سبحانه واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا وانت تعلم
ان الدنيا باسرها قليلة وان بقاوها من اولها الى اخرها القليل ونصيب احدنا
من هذا القليل قليل ثم الواحد منا قد يتبدل ما به ووجد حتى عافى
قليل من هذا القليل في بقا وقليل فان حصل ذلك فعذاب بل ينغص بالتنكد وحائل
فنهد عن المال والنفس بحوماذكر من امرئ القيس حيث يقول بكى صاحبي لما راى الدرب
دونه وايقن انا لاحقان بقيصرا فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت
فنعذرا فكيف حال من يطلب الملك الكبير في دار النعيم شكر مع ذلك ان يصلي
لله تعالى او يتقي درهمين او يصوم ليلتين كلا بل لو كان الف الف نفس والف الف
روح والف الف عمر مثل عمر الدنيا واكثر فبذل ذلك كله في هذا المطلوب العزيز
ذلك قليلا ولمن يظفر به بالطلب كان ذلك غنما عظيما وفضلا من الذي اعطا
كثيرا فانتبه ايها المسلمين من رقدة الغافلين ثم انى لما تاملت ما يعطيه الله العبد
اذا اطاعه ولزم خدمته وسلك هذا الطريق وجدت على الجملة اربعين كرامة
وخلعة عشرين منها في الدنيا وعشرين منها في العقبى فاما التي في الدنيا الاول

ان يذكره سبحانه ويثني عليه والزم يصير يكون رب العزة جل علا في ذكره الثاني
ان يشكره جل وعز ويعظمه ولو شكرك مخلوق ضعيف مثلك وعظمك الشرف
به فكيف بالاله الاولين والاخرين الثالث انه يحبه ولو احبك رئيس بلد او امير
لافتخرت بذلك وانتفعت به في مواطن عديدة فكيف بمحبة رب العالمين
الرابع ان يكون له وكيلا يدبر امره الخامس ان يكون له رزقه كفيلا يوصل اليه من
حال الى حال السادس ان يكون له نصيرا يكفيه كل عدو ويدفع عنه كل بلية ومكروه
السابع لا يستوحش بحال ولا يخاف التغير والاستبدال الثامن عز النفس فلا
يلحقه ذل خدمة الدنيا واهلها بل لا يرضى ان يخدمه ملوك الدنيا وجبابرتها
التاسع رفعة الهمة فتترفع عن مقاذر الدنيا والتلطخ بها وباهلها وكلا يلتفت
الى زخارفها وملاهيها ترفع الرجال الالباب عن ملاعب الصبيان والنسوان
العاشر غنى القلب فيكون اغنى من كل غني في الدنيا لا يزال الطيب النفس منشرح الصدر
ولا يفزعه حادث ولا يهمه عدم الحادي عشر نور القلب فيهتدي بنوره الى علوم
اسرار وحكم لا يهتدي الى بعضها غيره الا بجهد جهيد وعمر مديد الثاني عشر
شرح الصدر فلا يضيق صدره بشي من محن الدنيا ومصايبها ومؤنتها ومكايدها
الثالث عشر المهابة والوقع في نفوس الناس حتى يهابه الاخيار والاشرار ويهابه
كل فرعون وجبار الرابع عشر المحبة في القلوب يجعل لهم الرحمن ودا اي القلوب
كلها مجبولة على حبه والنفوس كلها مطبوعة على تعظيمه واكرامه الخامس عشر
البركة العامة في كل شي من كلام او نفس او فعل او ثوب او مكان حتى يتبرك بتراب
وطيه وبمكان جلس فيه يوما وباناس يصحبه وراه حينا السادس عشر تسخير الارض

من البر والبحر حتى اذا شاء سار في الهواء او مشى على الماء او قطع وجه الارض في اقل
ساعة السابع عشر تسخير الحيوان من السباع والوحوش والهوام وغيرها فتحبه
وتبصبص له الاسد والاسود الثامن عشر ملك مفاتيح الارض حيث ما يضرب
يده فلو كنز ان اراد وحيث ما يضرب برجله فلو عين ان احتاج واين ما نزل اقله
ماييده حضر ان قصد التاسع عشر الحشمة والوجاهة على باب رب العزة فيبتغي
الخلق الوسيلة الى الله بجاهه منه ويستنجح الحاجات من الله بوجاهته وبركته
العشرون اجابة الدعوات من الله تعالى فلا يسال الله شيئا الا اعطاه ولا
يشفع بحال الا شفع ولو اقسم على الله تعالى لابره بما شاء حتى ان منهم ان لو اشار الى
جبل لزال فلا يحتاج الى السوال باللسان بل لو خطر بباله شي حصل فلا يحتاج الى الاشارة
باليد فهذه كرامات في الدنيا واما التي في الاخرة الاول ان يهون عليه سكرات
الموت وهي التي وجلت قلوب الانبياء حتى سالوا الله ان يهونها عليهم حتى ان منهم
من يكون الموت عنده مثل شربة الماء للظمآن قال الله سبحانه الذين تتوفاهم
الملائكة طيبين الثاني التثبيت على المعرفة والايمان وهو الذي عنده كل الخوف
والفزع وعليه البكاء والجزع قال الله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
الثالث ارسال الروح والراحة والريحان بالبشرى والامان قوله تعالى الا تخافوا
ولا تحزنوا فلا يخاف مما يقدم عليه في العقبى ولا يحزن على ما خلفه في الدنيا الرابع
الخلود في الجنان الخامس الحيوة في البرزخ لو وحصر على ملائكة السموات بالاكرام و
الالطاف والانعام ولبدنه في العلانية بتعظيم جنازته والمزاحمة عليه والمبادرة
الى تجهيزه ويرجعون بذلك اكثر ثوابا بعد موته اعظم غنم السادس الامان من فتنة السؤال

العز وتلقين الصواب فيامن بذلك الخوف السابع توسيع القبر وتنويره فيكون في
روضة من رياض الجنة الى يوم القيمة الثامن ايناس الروح ونسمه واكرامه
فيجعل في اجواف طيور خضر مع الاخوان الصالحين فرحين مستبشرين بما اتاهم الله من
فضله التاسع الحشر في العز والكرامة من حلل وتاج وبراق العاشر بياض الوجه
ونوره قال الله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة الحادي عشر الامن من اهوال
يوم القيمة قال الله تعالى ام من ياتي امنا يوم القيمة الثاني عشر الكتاب باليمين فمنهم
من كفى الكتاب باسا الثالث عشر تيسير الحساب فمنهم لا يحاسب اصلا الرابع عشر
ثقل الميزان ومنهم من لا يوقف للوزن الخامس عشر ورود الحوض على النبي عليه السلام
شربة لا يظما بعدها ابدا السادس عشر جواز الصراط والنجاة من النيران حتى
منهم من لا يسمع حسيسها ويخمد له النار السابع عشر الشفاعة في عرصة القيامة
بمنزلة من شفاعة الانبياء والرسل الثامن عشر ملك الابد في الجنة التاسع عشر
الرضوان الاكبر العشرون لقاء رب العالمين اله الاولين والاخرين بلا كيف
اقول وانما عددت ذلك حسب فهمي ومبلغ علمي في قصوره ونقصه ومع ذلك فقد
اجملت واوجزت وذكرت الاصول والجمل ولو فصلت بعد ذلك لما احتمله الكتاب
الاترى اني جعلت ملك الابد خلعة واحدة ولو فصلتها لارتفعت عن اربعين خلعة
من نوع الحور والقصور وغير ذلك ثم كل نوع يشتمل على تفاصيل لا يحيط بها الا عالم
الغيب والشهادة فان الذي هو حقايقها وما كيهاواءه مطمع لنا في معرفة ذلك وربنا سبحانه
يقول فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ثم رسول الله صلعم يقول اخلق فيها ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان المغرور يقول في قوله لكم تنفد البحر قبل

ان نتفكل كلمات ربي ان نحن هو الكلمات التي يقول الله تعالى لاهل الجنة باللطف
والاكرام وما يكون باللطف والاكرام وما يكون بهذا الحال الى ان يبلغ جزا الفنا في جزء
منه وهو نبش ويحيط به علم مخلوق كلا بل تقاعدت الهمم وتقاصرت دونه العقول
وحق ان يكون كذلك فهو عطاء العزيز العليم على مقتضى الفضل العظيم وحسب الجود القديم
الا فليعمل العاملون وليبذل المجتهدون جهدهم لهذا المطلوب العظيم وليعلموا ان ذلك
كله امل قليل في جنب ما هم اليه محتاجون واياه يطلبون ولم يتعرضون وليعلموا ان
العمل لا يبلغ في الجملة من ارتفاع العلم والعمل والاخلاص والخوف فتعلم اولا الطريق
والا فهو اعمى ثم يعمل بالعلم والا فهو محجوب ثم يخلص العمل والا فهو مغبون ثم يخاف
ويحذر من الافات الى ان يجد الامان والا فهو مغرور ولقد صدق ذو النون قال
الخلق كلهم موتى الا العالمون والعلماء كلهم نيام الا العاملون والعاملون كلهم
مغرورون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فلذا انا والعجب كل العجب من رجل
احمد خامس غافل عن عالم اما يهتم لمعرفة ماهو بين يديه اما يعرف ماهو مطلع عليه
بعد الموت بالنظر في هذه الدلايل والاستماع الى هذه الايات والنذر والانزعاج
لهذه الخواطر والخواطر في هذا النفس قال الله تعالى افلم ينظروا في ملكوت السموات
والارض وما خلق الله من شيء وقال تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم
الثاني من عالم غير عامل اما يتفكر بالعلم بقينا فيما بين يديه من اهوال العظام والعقبات
الصعاب وهذا هو النبا العظيم الذي هم انتم عنه معرضون الثالث من عامل غير مخلص الا
يتامل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه الاية الرابع من مخلص غير خائف الا ينظر
الى معاملة جل جلاله مع اصفيائه واوليائه حتى يقول الاكرم الخلق عليه والله اني

البك

والهواجس

اليك والى الذين من قبلك الاية ونحوها حتى كان النبي صلعم شيبتني هود واخواتها
ثم جملة الامر تفصيله ما قال الله رب العالمين في اربع ايات من الكتاب العزيز قوله افحسبتم
انما خلقناكم عبثا ثم قال جل وعز ولتنظر نفس ما قدمت لغد الاية ثم قال
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الاية ثم اجمل الكل فقال وهو اسبق الايات
ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه الاية نستغفر الله لكم من كل ما زل به
القدم وجرى به القلم ونستغفره مما ادعيناه واظهرناه من العلم ودين الله
مع التقصير فيه ونستغفره من اقوالنا واعمالنا التي لا يوافق اعمالنا ونستغفره من كل خطوة
دعتنا الى تصنع وتزين سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه ونسال الله ان يجعلنا
واياكم معشر الاخوان بما علمنا عاملين ولوجهه به مريدين وان لا يجعله وبالا
علينا ويضعه في ميزان الصالحات اذا ردت اعمالنا الينا انه جواد كريم فهذا ما
اردنا ان نذكره في شرح كيفية سلوك طريق الاخرة وقد وقع المقصود والحمد لله الذي
تتم بنعمته الصالحات وبفضله تنزل البركات وصلى الله على خير مولود دعا الى افضل
معبود محمد النبي واله وسلم تسليما الى يوم الدين ۞ ولقد وقع الفراغ بيد اذل
الطلاب للسادات في ضحوة يوم الاثنين السابع من شهر شوال المكرم السيد محمد الموسوي
الخوانساري وكان منتسخ هذا الكتاب نسخة مغلوطة كثيرة التحريف والاغلاط فالتمس من الاخوان
ان لا يطالبوني من كثرة تحريفه واغلاطه فالسهو والنسيان من الانسان
وكان الفراغ في عام سبع وتسعين ومائتين بعد
الالف من الهجرة النبوية في دار السلطنة
اصفهان صانها الله عن الحدثان



